
في سبيل
"الحوار الإسلامي المسيحي"
١
مدخل
إلى
الحوار الإسلامي المسيحي
منشورات المكتبة البولسية

مدخل
الى
الحوار الإسلامي المسيحي

طبعة ثانية

١٩٨٦

✲

منشورات المكتبة البولسية
شارع لبنان - بيروت - ص.ب: ٤٤٥٩-١١ لبنان
هاتف: ٤٤٤٩٧٣ - ٤٤٨٨٠٦ - ٤٤٩٨٠١
شارع القديس بولس - جونيه - ص.ب: ١٢٥ لبنان
هاتف: ٩١١٥٦١ - ٩٣٣٠٥٢

في سبيل «الحوار الاسلامي المسيحي»

١

مدخل
الى
الحوار الاسلامي المسيحي

الأستاذ الحدّاد

منشورات المكتبة البولسيّة



فهرس





من شعارات الحوار القرآنية

— « قلْ : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم » .
(آل عمران ٦٤)

— « ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ! وجادلهم بالتي هي أحسن » .

(النحل ١٢٥)

— « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن — إلاَّ الذين ظلموا منهم (أي اليهود) — وقولوا : آمنَّا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » .

(العنكبوت ٤٦)

— « ومِن الناس مَن يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » .
(الحج ٨ ؛ لقمان ٢٠)



مقـدّمة

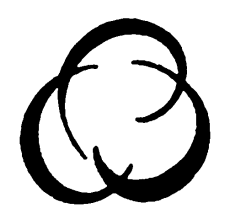
إلى اخواني ، المسلمين والمسيحيين ،

أقدم هذه الدراسات في **قواعد الحوار الصحيح ما بين المسيحيين والمسلمين** ، القائم على التوحيد الكتابي المنزل الواحد بينهم أجمعين ؛ وعلى تقرير القرآن أن أهل الانجيل وأهل القرآن « أمة واحدة » في الايمان بعيسى وأمه « آية للعالمين » !

« والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين : إنّ هذه أمتكم ، **أمة واحدة** ، وأنا ربكم فاعبدونِ » (الانبياء ٩١ — ٩٢)

« وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذاتِ قرار ومعين . . . وإن هذه أمتكم ، **أمة واحدة** ، وأنا ربكم فاتّقونِ » (المؤمنون ٥١ — ٥٣) .

هدانا الله جميعاً الى الصراط المستقيم في الحوار الصحيح بين المسيحية والاسلام .





تمهيد

أسس الحوار الصحيح بين الاسلام والمسيحية

إن المسلمين والمسيحيين هم أهل كتاب : فلا يصح حوار في ما بينهم إلاّ على أساس كتابهم الانجيل والقرآن .

وكل حوار بينهم يعتمد غير الانجيل والقرآن انما هو « حوار الطرشان » .

وهذا ، مع الاسف الشديد ، ما جرى حتى اليوم بين المسلمين والمسيحيين — فكان الحوار التاريخي في ما بينهم جدالاً وخصاماً ..

من أجل ذلك رأى الجانب المسيحي ، في المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ، أن يُسدل الستار على الماضي البغيض ؛ ويفتح في علاقة المسيحية بالاسلام صفحة جديدة مبنية على التسامح والتفاهم والاخاء في سبيل **التوحيد الكتابي المنزل** الذي هو واحد في ما بينهما ، تجاه الالحاد الذي يطبق على المسكونة من الشرق والغرب معاً .

فلأول مرة في تاريخ المسيحيـــة يعلن مجمع مسكوني شيئاً من الرضى عن

الاسلام وأركان الدين فيه . ففي « التصريح بشأن الديانات غير المسيحية » يقول : انها « تعكس شعاعاً من الحق الذي ينير العالمين » ؛ ويقول : « وتنظر الكنيسة أيضاً بتقدير الى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الأحد ، الحي القيّوم، الرحمان الرحيم ، القدير الذي خلق السماء والارض ، وكلّم الناس بالأنبياء . فهم مثل المسيحيين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويقيمون أركان الدين من شهـــادة بالله وصلاة وزكاة وصوم . وهم يجلّون المسيح وأمه « آية للعالمين » . فدعوة أهـــل الانجيل الى الحوار موجهة قبل الجميع الى أهل القرآن .

ونعرف من تصاريح القرآن أنه ينتسب الى الكتاب انتساباً ونسباً ، فقد جاء ليعلِم العرب « الاميّين » : « **الكتاب والحكمة** » أي التوراة والانجيـــل (البقرة ١٢٩ و ١٥١ ؛ آل عمران ١٦٤ ؛ الجمعة ٢) . هذا هو الدين الذي شرعه للعرب : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً — والذي أوحينا اليك — وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرّقوا فيه . . . وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى ١٣ — ١٥) . وهذا هو ايمان القرآن : « قولوا : آمنّا بالله . . . وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦ ؛ قابل آل عمران ٨٣ — ٨٥ ؛ النساء ١٦٢ — ١٦٤) .

ورئيس المسيحية ، في رسالته الجامعة ، « كنيسة المسيح » ، يتوجّه الى جميع « المتقين الله في الارض » او بصورة خاصة « **الى الذين يعبدون الله بحسب دين التوحيد ، ولا سيا الدين الاسلامي ، ويستحقون التقدير بحسب ما تنطوي عليه** ديانتهم من حق وخير » .

بهذه الوثائق الرسمية **تعلن المسيحية رسمياً** فتح الحوار الصحيح مع الاسلام . وعلى المتحاورين ، مـن مسلمين ومسيحيين ، أن يجدوا ويعتمدوا القواعد القويمة للحوار الصحيح .

بحث اول

الحوار الصحيح من وجهة النظر الاسلامية

من وجهة النظر الاسلامية ، لا يقوم الحوار الصحيح على أساس الفلسفة ، ولا الكلام (علم اللاهوت) ، ولا الصوفية الاسلامية ، ولا التاريخ المقارن في الأديان .

١ — مع أهل القرآن ، لا يقوم الحوار الصحيح على أساس الفلسفة

في الحوار مع المسلمين ، قد يعتمد بعضهم البديهيات في الإلهيات ، والمنطق في البرهان على صحة الايمان ؛ لكن الفلسفة ، والمدخل اليها في علم المنطق ، كان على الدوام موضع شبهة عند أهل السنة والجماعة ، حتى قيل : « من تمنطق فقد تزندق » ! فجرت مجرى المثل السائر .

والفلسفة ، ومدخلها المنطق ، كانت من « علم الأوائل » التي يعدها أهل السنة والجماعة بدعة ، في مقابلة العلوم الشرعية ؛ وأنها باب الى الالحاد في الاسلام . وكان مَن يسلك في تصنيفاته وتأليفاته طريق الحكمة يُرمى بالزندقة ، كما نقل

صاحب الفهرست[١]. وكان الكِندي، الفيلسوف العربي الشهير، يخشى على نفسه، في زمن المتوكل، من تعاطي الفلسفة. والغزالي نفسه، الذي كتب كتاب «تهافت الفلاسفة» لم يتجاسر على تسمية أحد كتبه في علم المنطق باسمه الحق، بل سمّاه «معيار العلم»؛ وفيه يقول: «حتى ان علم الحساب والمنطق الذي ليس فيه تعرُّض للمذاهب بنفي ولا إثبات، إذا قيل انه من علوم الفلاسفة الملحدين نفر طباع أهـل الدين عنه[٢]». وفي «تهافت الفلاسفة» يقول فيه: «الكتاب الذي سميناه (معيار العلم) الذي هو الملقب بالمنطق عندهم[٣]». وفي «المنقذ من الضلال» يقول: «اعترضوا بجاحدة علم الهندسة والمنطق وغير ذلك مما هو ضروري لهم[٤]».

وكانت تلك النزعة قوية خصوصاً عند الحنابلة، حتى انهم نفَروا ونفّروا من كل علم غير العلوم الشرعية. قال تقي الدين بن تيمية: «العلم الموروث عن النبي (صلعم) هو الذي يستحق أن يسمّى علماً. وما سواه، إمّا أن يكون علماً فلا يكون نافعاً، وإمّا أن لا يكون علماً، وإن سمّي به. ولئن كان علماً نافعاً فلا بدّ أن يكون في ميراث محمد (صلعم[٥])». وقال الشاطبي: «إن عامة المشتغلين بالعلوم التي تتفق بها ثمرة تكليفية تُدخِل عليهم فيها الفتنة والخروج عن الصراط المستقيم[٦]».

---

(١) ابن النديم: الفهرست ١١٩ و١٣٨.

(٢) الغزالي: معيار العلم ١١٧.

(٣) الغزالي: تهافت الفلاسفة ٦.

(٤) الغزالي: المنقذ من الضلال ٢٩.

(٥) ابن تيمية: مجموعة الرسائل الكبرى ١: ٢٣٨.

(٦) الشاطبي: كتاب الموافقات ١: ٢٦.

وهذا ما نقله لنا الجامعون المحققون. فقد نقل ياقوت[١] ما أجمع عليه القوم: ان الفلسفة «**حكمة مشوبة بكفر**»! ونقل السيوطي[٢] عن الفيلسوف حسن الأربلي الذي عاصر ابن خلكان، وكانت داره بدمشق ندوة للمسلمين وأهل الكتاب وأتباع الفلسفة، يأخذون عنه ويتعلمون منه، أنه قال وهو على فراش الموت: «صدق الله العظيم، وكذب ابن سيناء». ونقل الجاحظ[٣] أن **بين الاشياء التي تخفى بعناية عن عيون الناس**، الى جانب الشراب المكروه، «**الكتاب المتهم» من علوم الأوائل**.

ولم تجدِ نفعاً عاجلاً محاولة الغزالي توطين الفلسفة والكلام والصوفية في الاسلام — مع نقضه لما فيها جميعاً من انحراف في نظر أهل السنة والجماعة — لخدمة الاسلام نفسه. فقد أفتى من بعده ابن الصلاح الشهرزوري[٤] **بتحريم الفلسفة والمنطق**. قال: «الفلسفة أسُّ السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة. ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهّرة المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة. ومَن تلبّس بها تعليماً وتعلّماً قارنه الخذلان والحرمان واستحوذ عليه الشيطان ... وأمّا المنطق فهو مدخل الفلسفة، ومدخل الشرّ شرّ؛ وليس الاشتغال به ممّا أباحه الشارع، ولا استباحه احد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، والسلف الصالح ... فالواجب على السلطان أن يدفع عن المسلمين شرّ هؤلاء المباشيم، ويخرجهم عن المدارس، ويبعدهم **ويعاقب على الاشتغال بفنهم، ويعرض مَن ظهر عنه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف أو الاسلام**».

---

(١) ياقوت — نشر مرجليوث ٢ : ٤٨.

(٢) السيوطي : بغية الوعاة ٢٢٦.

(٣) الجاحظ : كتاب البخلاء — نشر فون فلوتن ٨٧

(٤) قابل عبد الرحمان البدوي : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ١٦٠ — ١٦١.

بعد تلك الفتوى القاضية اعتُبر الاشتغال بالفلسفة محرّماً كما نرى، عند تاج الدين السبكي[١]، وهو «يوافق موافقة تامة وبدون شرط على ما أفتى به جماعة من أئمتنا ومشيختنا، ومشيخة مشيختنا **بتحريم الاشتغال بالفلسفة**». كما نرى عند ابن تيمية الذي كان عدوّاً مرّاً للفلسفة، كما يظهر من سائر مؤلفاته، خصوصاً في (الرد على عقائد الفلاسفة)، وفي (نصيحة أهل الايمان في الرد على منطق اليونان)؛ وعند السيوطي الذي كان يقول: «ان المنطق – **وهو فضلاً عن ذلك من علوم اليهود والنصارى** – علم يُحرّم الاشتغال به». تلك فتوى خاتمة المحققين.

فكان على النسّاخ المحترفين في بغداد، عام ٢٧٧ هـ، أن يقسموا بأنهم لن يشتغلوا بانتساخ اي كتاب في الفلسفة او في الكلام[٢].

وقد حمل عبد القادر الجيلاني، المتصوّف الحنبلي الكبير – وقد توفي عام ٥٦١ هـ – على أحد القضاة لانه سمح بأن تكون في مكتبته مؤلفات الفلاسفة العرب[٣] وقد انتقم من أسرته، في شخص حفيده عبد السلام بن عبد الوهّاب، الملقب بركن الدين المتوفّى عام ٦١١ هـ، أهل السنّة بحرق كتب الأوائل التي كانت في مكتبته، بحضور القضاة والعلماء ومن بينهم ابن الجوزي. وحُكم على الشيخ عبد السلام بأنه فاسق وجُرّد من طيلسان العلماء، وزجّ به في السجن[٤].

قال العلامة جولد سيهر[٥]: «ومن دوائر المتكلمين أنفسهم، **سواء المعتزلة**

---

(١) المصدر نفسه ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه ١٣٥.

(٣) المصدر نفسه ١٣٦.

(٤) المصدر نفسه ١٣٦ – ١٣٧.

(٥) المصدر نفسه ١٤٨.

منهم والأشاعرة، خرجت كتب عديدة ضد الفلسفة عموماً وضد المنطق على وجه التخصيص ».

وقد جرى كل هذا في عصر كان فيه علم اللاهوت المسيحي يرتكز على فلسفة أرسطو عند « المدرسيّين » في أوج ازدهاره مع توما الأكويني .

تلك الحملة على الفلسفة بتحريمها كانت بدء عهد الانحلال والجمود وختم باب الاجتهاد ، طيلة العهد العثماني .

فلما جاءت النهضة العصرية تبدّلت فيها المفاهيم ورجّعت الى الفلسفة مكانتها في نظر أهل السنّة والجماعة ، لأن الفلسفة والدين ميدانان من ميادين المعرفة متقابلان . وقد قام بهذا التوطين الاستاذ الإمام محمد عبده على طريقة سلفه الغزالي[1] .

مع ذلك لم تزل الفلسفة مشبوهة في نظر أهل السنّة والجماعة ، لخطرها على النبوّة والشريعة . لذلك لا يصح أن تكون الفلسفة أساساً للحوار الصحيح بين الاسلام والمسيحية ، كما كان عليه الامر في العهود الماضية .

●

٢ — مع أهل القرآن، لا يقوم الحوار الصحيح على أساس الكلام (علم اللاهوت)

نشأ علم الكلام ، في الاسلام ، مع المعتزلة . لذلك كان هو ايضاً مشبوهاً عند أهل السنّة والجماعة . فقد قاومه اهل الحديث ، والفقهاء من الحنابلة ، وخصوصاً الصفاتيون منهم . وشهير الجدل في علم الكلام بين الذات والصفات

---

(١) عباس محمود العقاد : محمد عبده ٢٤٠ و ٢٦٩ .

في الله، وبين الجبر والحرية في الانسان. ولم يكن الكلام الأشعري الذي ساد الاسلام فيما بعد، بقوله بالمنزلة بين المنزلتين، كافياً ليرفع الشبهة عن علم الكلام.

نقل ابن الأثير[١]، في أخبار سنة ٢٧٧ هـ، أنه كان على النسّاخ المحترفين في بغداد أن يُقسموا بأنهم لن يشتغلوا بانتساخ أي كتاب من كتب الكلام، كما كان ذلك مطلوباً منهم ايضاً تجاه كتب الفلسفة.

ونقل أبو المحاسن في تاريخه عن الذهبي أن أبا المعالي الجويني استاذ الغزالي، قد ندم وهو على فراش الموت على اشتغاله بالكلام؛ وكان يقول ان آلام علّته سببها تلك الدراسة الآثمة[٢].

ويقول العلامة جولد تسيهر[٣]: «وكان طبيعياً أن تتّجه كراهية أهل السنة أولاً وبالذات الى الهيات أرسطو، لأن مقدماتها ونتائجها كانت تعتبر متعارضة أشد التعارض مع مقتضيات عقائد الاسلام، على الرغم مما بذله الفلاسفة الاسلاميون في عدة محاولات للتوفيق بينهما».

ونكتفي من ذلك بما نقله الغزالي في (احياء علوم الدين[٤])، قال: «**مسألة**: فإن قلت، تعلّم الجدل والكلام مذموم كتعلّم النجوم، او هو مباح، او مندوب اليه؟ — فاعلم ان للناس في هذا غلواً واسرافاً في أطراف. فمن قائل: **انه بدعة** وان العبد، إنْ لقي الله عزّ وجلّ بكل ذنب سوى الشرك **خير له من أن يلقاه بالكلام**! ومن قائل: إنه واجب وفرض إمّا على الكفاية او على الاعيان؛ وإنه أفضل الاعمال وأعلى القربات؛ فإنه تحقيق لعلم التوحيد، ونضال عن

(١) فابل عبد الرحمان البدوي: التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ١٣٥.
(٢) المصدر نفسه ١٣٥ حاشية ٢.
(٣) المصدر نفسه ١٣٨.
(٤) الغزالي: أحياء علوم الدين ١: ٨٤ و ٨٦ — ٨٧.

دين الله تعالى . **والى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف** . قال الشافعي : حكمي في اصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد ويُطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسُّنّة ، وأخذ في الكلام . وقال احمد بن حنبل : لا يُفلح أهل الكلام ابداً ! ولا تكاد ترى احداً نظر في الكلام إلاّ وفي قلبه دغَل ! وبالغ في ذمه حتى . . . قال : **علماء الكلام زنادقة** ! وقال مالك : أرأيت ، إن جاءه مَن هو أجدل منه ، أيدع دينه كل يوم لدين جديد ! وقال أبو يوسف : **مَن طلب العلم بالكلام تزندق** ! ولذلك قال النبي (صلعم) : هلك المتنطعون ! هلك المتنطعون ! هلك المتنطعون ! اي المتعمقون في البحث والاستقصاء » .

وأنت ترى ، بحسب الغزالي نفسه ، أن « جميع اهل الحديث » وأن ثلاث مذاهب من المذاهب الاربعة في فقه السُّنّة **تحرّم علم الكلام** .

أمّا الغزالي نفسه فيقول فيه : « نعود الى علم الكلام ونقول : **ان فيه منفعة وفيه مضرة** . فهو باعتبار منفعته ، في وقت الانتفاع ، حلال او مندوب اليه او واجب كما يقتضيه الحال . وهو باعتبار مضرته ، في وقت الاستضرار ومحله ، حرام . أمّا مضرّته فإثارة الشبهات او تحريك العقائد وإزالتها من الجزم والتصميم » . والغزالي نفسه يعتبره من فروض الكفايات : « والآن قد ثارت البدع ، وعمّت البلوى ، وأرهقت الحاجة ، فلا بدّ ان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات » .

ولم تمنع محاولة الغزالي وتأليفه كتاب (احياء علوم الدين) — وهو افضل كتب الكلام في الاسلام — مَن أتى بعده **بتحريم الكلام مثل تحريم الفلسفة** ، لأن المتكلمين ، في نظر اهل السُّنّة والجماعة وعلى رأسهم اهل الحديث وأهل الفقه ، قد مزجوا كلامهم بأقوال الفلاسفة .

وكان ذاك التحريم للفلسفة والكلام نفسه بدء دور الجمـــود وغلق باب الاجتهاد مدى اجيال، حتى جاء عهد النهضة العصرية، وعاد لعلم الكلام منزلته. ويرجع الفضل في ذلك ايضاً الى الاستاذ الامام محمد عبده[1] ، في تعليقه عـــلى « العقائد العضدية » ، التي كانت فاتحة لاعتماد « السنوسية » للامام السنوسي المتوفّى عام ٨٩٢ هـ في علم الكلام بالمدارس السنيّة في الاسلام[2] .

مع ذلك فلا يشتغلون بعلم الكلام لذاته ، بـــل لردّ البدع ، دفاعاً عن العقيدة الاسلامية ، لا تفصيلًا لها بأصول وفصول ، ومقدمات ونتائج . فالكلام الاسلامي من طبيعته جدال للدفاع عن العقيدة لا عرض لها . مع ان الغزالي قد حدّده : « تحقيق لعلم التوحيد ، ونضال عن دين الله تعالى » .

لذلك لا يصح الحوار ، مع أهل القرآن ، على اساس علم الكلام ، وعلى مقابلة الكلام الاسلامي بعلم اللاهوت المسيحي ، لأن الحوار عَرْض لا جدل .

•

٣ – مع أهل القرآن، لا يقوم الحوار الصحيح على أساس الصوفية الاسلامية

هو مذهب العلامـــة الكبير ماسّنيون ومدرسته الحديثة الذين يعتبرون التصوف الاسلامي، لقربه من المسيحية، القنطرة الذهبية بين الاسلام والمسيحية. وفاتهم ان التصوّف الاسلامي موضع شبهات ، عند أهل السنة والجماعة ، منذ ظهوره حتى اليوم .

من هذه الشبهات **انتساب الصوفية الى الامام علي** ، في فهم القرآن فهماً باطنياً قد لا ينسجِم ، في نظر أهل السنة، مع ظاهر الشريعة . وقد أعلن ذاك الانتساب المشبوه ابن الفارض بتائيته :

---

(١) قابل العقاد : محمد عبده ٢٥٠ و ٢٥٨ و ٢٦٩ .

(٢) قابل عبد الرحمان البدوي : التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ١٦٦ – ١٦٧ .

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلًا علي بعلم ناله بالوصيّة

فإنّ علياً في نظرهم إمام التصوّف الاسلامي[1] : فعلى الصوفية لذلك شبهة شيعية . ونحن نسجل واقعاً ، ولا ندخل طرفاً بين السنّة والشيعة .

ومن هذه الشبهات ايضاً **قول الصوفية بالفيض الإلهي ، وبوحدة الوجود**، كما تقول بها الأفلوطينية الحديثة التي عمّت الشرق قبل الاسلام . والقول بالفيض ينقض القول بالخلق ، والقول بوحدة الوجود ينقض القول بالتنزيه في التوحيد. ومن قولهم في ذلك : « لم تكن روحانا في الاصل سوى روح واحدة ، كذا كان ظهوري وظهورك ! فمن الخطل الكلام عني وعنك ! فقد بطل فيما بيننا كلمة أنا وأنت[2] » !

ومن هذه الشبهات ايضاً **شبهة الزهد الصوفي** التي تقوم على فساد البشرية في الانسان . والاسلام السني لا يعترف بفساد فطري في الانسان كما تقول به المسيحية في عقيدة « الخطيئة الاصلية » الموروثة عن آدم . والافراط في الزهد على طريقة الصوفية ، هو مذهب رهباني ، ولا رهبانية في الاسلام ، كما يقول حديث شريف . **والقرآن صريح في اباحة الطيبات** : « يا ايها الذين آمنوا لا تحرّموا طيّبات ما أحلّ الله لكم ! ولا تعتدوا (أمر الله) ان الله لا يحب المعتدين ! وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيّباً ، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون» (المائدة ٩٠ — ٩١) . فتحريم الطيّبات على النفس اعتداء على شريعة الله .

ومن هذه الشبهات ايضاً **شبهة الحلول** التي تتجلّى في شعر ابن الفارض ، وابن العربي ، وقد بلغت ذروتها عند الحلّاج الذي كان يقول في شطحاته الصوفية :

---

(١) قابل جولد سيهر : العقيدة والشريعة في الاسلام ١٤٠ .

(٢) آمالي القالي ٢ : ٢٦٧ .

«انا الحق، والحق انا»! «ما في الجبّة إلا الله»! «سبحاني ما أعظم شأني»! فكفّروه وقتلوه مصلوباً.

ومن هذه الشبهات ايضاً **شبهة الوصال بالله والغناء في الله**. وهذا الهدف الصوفي يتعارض، عند اهل السنة والجماعة، مع التجريد والتنزيه في التوحيد، فان الله «يدرك الأبصار ولا تدركه الابصار» (الانعام ١٠٣).

ومن هذه الشبهات **شبهة شرب الخمر** للاستعانة بها، عند الصوفية، على احداث النشوة الروحية التي تستهلّ الاتصال بالله. لذلك فهم يسمونها «بنج الاسرار». ومعروف تحريم الخمرة في القرآن والسنّة.

ومن هذه الشبهات **شبهة تشبيه الحب الالهي بالغزل الحسي**، بتعابير حسية كالغزل بالحبيبة عند الشعراء. لذاك يأنف اهل السنة من هذا الغزل الصوفي الهجين. وكان ابن تيميّة يشنّع عليه ويصفه بالغزل الشهواني لا الروحاني.

ومن هذه الشبهات **شبهة رؤية الله في هذه الدنيا**، ويسميها الصوفية «الحقيقة» اي رؤية ذات الله. ومشهور الجدل الكلامي في امكان رؤية الله في الجنة: فكيف لا يتورّعون من القول بها في هذه الفانية!

ومن هذه الشبهات أخيراً **شبهة وحدة الاديان** عند الصوفي، كقول ابن العربي:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ: فمرعى لغزلانٍ، ودير لرهبانِ
وبيت لأوثانٍ، وكعبة طايفٍ، وألواح توراةٍ، ومصحف قرآنَ
أدين بدين الحب أنّى توجّهت ركائبه، فالحب ديني وإيماني!

وهذا الدين الصوفي، عند اهل السنة والجماعة، يناقض قول القرآن: «ان الدين عند الله الاسلام».

وقد حاول الغزالي أن يحرّر التصوف مــن تلك الشبهات، ويعطيه صفة الشرعية، ويوطّنه عند أهل السنّة والجماعة. لكنه لم يُفلح، لأن عقيدة وحدة الوجود، وعقيدة الحلول كانتا غالبتين على التصوف الاسلامي: فظل موضع شبهة قائمة لا تزول.

ومصير الحلاج، الصوفي الكبير، دليل عــلى الخطل الأكبر في اعتبار التصوّف الاسلامي أساساً صالحاً للحـوار بين الاسلام والمسيحية. فالمرحوم الاستاذ ماسنيون يعتبره «**شهيد الاسلام**»، بينما أهل السنّة والجماعة اعتبروه **كافراً** فقتلوه!

لذلك لا تصح الصوفية أساساً للحوار الصحيح بين الاسلام والمسيحية.

●

٤ — مع أهل القرآن، لا يقوم الحوار على اساس التاريخ المقارن بين الاديان

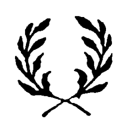
كثيرون يتّخذون من نشأة المسيحية والاسلام، ومــن أحوال السيرة والرسالة ما بين الانجيل والقرآن سبيلاً الى الحوار في مقارنة تاريخية موضوعية.

إن علم مقارنة الأديان جليل ومفيد في ذاته. لكنه لا يصلح سبيلاً الى الحوار المقبول. فكل مــا يُشتمُّ منه رائحة الطعن في النبوة والقرآن باسم التاريخ، ينفّر ولا يقرّب، ويحمل المسلم الصحيح على التنكر لدين المسيح، من هذا السبيل القبيح! كذلك كل طعن في الانجيل والمسيحية منقول عن الملحدين الذين لا يؤمنون بالتنزيل والدين، هو طعن في كل دين، ما دام في الدنيا دين!

وقد كانت الردود بين المسلمين والمسيحيين قائمة حتى اليوم على هذا التاريخ المقارن بين الأديان. فالمسلمون يطعنون بصحة الأناجيل وصحة تعليم المسيحية الهية المسيح؛ والمسيحيون يطعنون بصحة القـرآن والنبوة، تصريحاً أو تلميحاً

من طرف خفي . وهـــذا كله باسم التاريخ المقارن . فهذا جدال الاخصام ، لا حوار الاخوان .

وبما أنه لا يمكن التجرّد من التاريخ والواقع حتى اليوم ، فقد أخذ كثيرون يقولون : إن الحوار بين الاسلام والمسيحية غير ممكن . وإنهم لمخطئون ، اذا اعتُمدت الأسس الصحيحة .



بحث ثان

الحوار الصحيح من وجهة النظر المسيحية

إنه لا يقوم حـــوار صحيح بين فريقين متقابلين إلا على أساس مقبول من الطرفين . وهذا الأساس المقبول في الحوار الاسلامي المسيحي هو الانجيل والقرآن . فقد جاء في القرآن نفسه : « ومن الناس من يجادل في الله ، بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (الحج ٨ ؛ لقمان ٢٠) ؛ « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ؛ وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢؛ هود ١٧) . فالقرآن يجادل بهدى الكتاب الإمام وعلم الانجيل الحكيم ، في تعليم العرب « الكتاب والحكمة » .

فالحوار الاسلامي المسيحي الصحيح انما يُبنى على التوراة والانجيل والقرآن «وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن» (التوبة ١١٣)، لأن «الله ـ لا إله إلا هو ـ الحي القيوم نزّل عليك الكتاب بالحق، مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس، وأنزل الفرقان» (آل عمران ٢ ـ ٣).

لذلك، من وجهة النظر المسيحية، لا يقوم حوار صحيح مع المسلمين إلا على أساس الانجيل والقرآن، ومن ورائهما التوراة والنبيين. ولا يمكن ان تقوم له قائمة مع أهل الانجيل على اساس السيرة ولا الحديث ولا التفسير ولا علم الكلام.

١ ـ مع أهل الانجيل، لا يقوم حوار صحيح على أساس السيرة النبوية الموضوعة

يقبل أهل الانجيل الحوار بين المسيح والنبي العربي على أساس الانجيل والقرآن، أو على أساس القرآن وحده؛ لكنهم لا يقبلون المقارنة على أساس السيرة النبوية الموضوعة، لأنها مظنة شبهات.

قال السيد محمد عبدالله السمان[1]: «إن الكثيرين، حين يحاولون دراسة شخصية الرسول، يعمدون الى كتب السيرة ليأخذوا منها جزافاً بكل ما ورد فيها. وهذه الكتب على كثرتها **لا يجوز ان تكون مرجعاً أصيلاً في هذا الصدد**، لأنها كتبت في عصور لم يكن النقد مباحاً فيها؛ ومعظمها كان يدوّن **لغاية تعبّدية؛ والخلافات الكثيرة في رواياتها** تحتّم على الباحث ان يقف منها موقف الحذر والحيطة. وقد استوعبت كتب السيرة هذه **سيلاً من الخوارق والمعجزات** التي تزيد وتنقص تبعاً لاختلاف الأزمان التي دوّنت فيها... وكتب

(١) عبدالله السمان: محمد الرسول البشر ١١ ـ ١٢

السيرة مزدحمة بالرواة القصّاصين الذين عـرفوا بالصناعة القصصية في ما يروون. وهؤلاء لا يتحرّون الدقة في سند الرواية او متنها، لأنهم يعنيهم — فحسب — صياغة الاسلوب وعنصر التشويق».

وما يقوله الاستاذ السمان بـــدأ القوم يجهرون به منذ «حياة محمد» لحسين هيكل؛ لأن السيرة النبوية، كما وردت في كتب السيرة، لا تستقيم للنقد الحديث إلا في خطوطها العامة التي تتّفق مع القرآن المصدر الوحيد للعقيدة والسيرة.

فبسبب تلك الشبهات القائمة، لا يقوم الحـــوار الصحيح على أساس السيرة النبوية.

●

٢ — مع أهل الانجيل، لا يقوم ايضاً حوار صحيح على أساس الحديث

لا شك أن الصحابة نقلوا عن النبي العربي بعض الاحاديث الصحيحة. لكن تلك الاحاديث النبوية ضاعت في زحمة الاحاديث الموضوعة. وعـــلى كل حال ليس الحديث قرآناً.

يقول الاستاذ محمد عبدالله السمان ايضاً[1]: «واذا تركنا كتب السيرة الى كتب الحـــديث ألفينا أنفسنا **إزاء مشكلة معقّدة** تجعل الباحث في حيرة لا تنتهي ولا تقف عند حد... ولم يكد يتولى الخليفة الثالث عثمان حتى بدأت تتولّد الخلافات السياسية بين بني هاشم وبني أمية (بـــل رجعت الى عهدها الاول كما كانت قبل البعثة). وقُتل عثمان وتولّى علي ثم قُتل؛ وآلت الخلافة

(١) محمد الرسول البشر ١٢ — ١٣

بالقهر الى معاوية. **فظهر وضع آلاف الأحاديث** ونسبتها الى النبي لتكون مؤيداً لحزب سياسي، او ناقضاً لحزب آخر. وانتهز اليهود والزنادقة فرصة هذه الخلافات التي تدثرت بالدماء، في معظم الاحايين وراحوا يختلقون الاحاديث ليهدموا بها الاسلام ويشغلوا العامة عن أصوله لتنصرف الى شكلياته. كما تطوع كثير من السذّج والبسطاء فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب، ظنّاً منهم ان في هذا خدمة للدين. ولو عقلوا لأدركوا أنهم أساءوا الى الدين أكبر إساءة... **ولم يبدإ التدوين** إلا في عهد المأمون، وذلك بعد ان اختلط النقيّ بالدخيل وأصبح الحديث الصحيح في الحديث الكذِب **كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود**، كما يقول الدارقطني أحد جامعي الحديث المعروفين... وحسبك ان تعلم أن البخاري، وهو شيخهم، قد وجد أن الاحاديث المتداولة تزيد على ستمائة ألف حديث، ولكنه لم يعتمد منها في صحيحه إلا قرابة أربعة آلاف».

وجاء مِن بعده في جامعي الحديث مَن زاد عليه. ويعتقد العلماء في الحديث اليوم أنه حتى في صحيح البخاري وصحيح مسلم لا يزال «الحديث الصحيح في الحديث الكذب كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود». ويذهب بعض العلماء الى ان الاحاديث التاريخية لا تتجاوز الستة عشر حديثاً.

لذلك لا يصح الحديث، في علم النقد الحديث، أساساً سليماً صحيحاً للعقيدة والشريعة والسيرة، خصوصاً ما يتعارض منها مع حرف القرآن وروحه.

لهذه الشبهات القائمة على صحة الحديث لا يقوم الحوار الصحيح على أساس الحديث.

•

٣ ـ مع أهل الانجيل، لا يقوم أيضاً حوار صحيح على أساس التفسير

إنه يحسن، في فهم القرآن، الاعتماد على أئمة المفسرين. ويصح الحوار على

أساس اجماع المفسرين، مع ابقاء باب الاجتهاد مفتوحاً لانه في اجماع المفسرين نفسه تظل رواسب البيئة تتفاعل فلا يجرؤ أحد على تخطّيها؛ واختلاف المفسرين، في مذاهب التفسير، قد لا يوجد اجماعاً يحمل على اليقين.

فالطبري، إمام المفسرين بالمأثور، يفسّر القرآن بالحديث. وهو ينقل من الاحاديث أكثر من الصحيحين. وقد رأينا الشبهات القائمة على أكثر الحديث.

والزمخشري، وهو ذروة التفسير الاعتزالي، ينكر فيه على الاشاعرة، قادة السُنّة والجماعة، مواقفهم استناداً الى تفسير القرآن بالرأي واللغة والبيان.

والفخر الرازي يحشو تفسيره بالاستطرادات الكلامية. وتحوم على الكلام والمتكلمين شبهات عند أهل السنّة والجماعة.

والبيضاوي والجلالان يمثلان أهل السُنّة والجماعة، لكن على جمود القرون المتأخرة، ويعتمدان اللغة والحديث في التفسير، ويفوتهم احياناً اصطلاح القرآن.

ناهيك عن التفسير بحسب الصوفيــة او بحسب الباطن، او بحسب الفرق الاسلامية التي تجد لها جميعاً ما يبرّرها. وكل تفسير يقوم على أساس المذاهب الكلامية او الفقهية او الصوفية او الفرقية لا يمثل التفسير الامثل.

وفي العصر الحديث يتأثر رشيد رضـا في «تفسير المنار» بالخصومة بين الاسلام والمسيحية، فيشحن تفسيره بحملات على المسيحية ليست من روح القرآن في شيء.

ففي التفسير رأي ونقل وحديث واجتهاد، ومذهب وكلام وفقه وجهاد، لذلك لا يصح الحوار بين الاسلام والمسيحية على أساس المطلق، واعتماد أقوال

المفسّرين بدون اجماع. انما يصح الاستئناس بها استئناساً لا يقتضي اليقين **إلّا في اجماع المفسرين** من فوق شبهات الحديث والكلام.

•

٤ ـ مع أهل الانجيل، لا يقوم حوار صحيح على اساس الكلام الاسلامي

نشأ الكلام في الاسلام للدفاع عن العقيدة الاسلامية. وبدأ به المعتزلة. وكما تشعب الفقه مذاهب، تنوع الكلام مدارس.

فعلى الكلام عند اهل السنّة والجماعة شبهات: لذلك لا يرضاه اهل الانجيل أساساً صحيحاً للحوار، ولو قال بذلك بعضهم وحاوله.

والكلام هو تحكيم العقل في القرآن: فإن اتحد النقل والعقل صحّ اعتمادهما في الحوار؛ وإن نبا النص فلا حوار إلا بالقرآن مع اعتماد القرائن القريبة والبعيدة فيه لجلاء الدعوة والسيرة فيه.

فلا يقوم حوار صحيح على أساس الكلام المقارن وحده، من دون الكتاب. فأساس الحوار الصحيح بين الاسلام والمسيحية هو الانجيل والقرآن. وعلى هذا الاساس نفهم الحوار المسيحي الاسلامي، من دون النظريات الكلامية وحدها.

فعلى أساس الانجيل والقرآن يصح الحوار، **مع التسليم بصحتهما التاريخية الجوهرية** من قبل المتحاورين أجمعين، وإلا فلا سبيل الى حوار صحيح. وعلى هذا الاساس فالحوار ممكن ومفيد.



بحث ثالث

ان الحوار بين الاسلام والمسيحية ممكن على اساس الانجيل والقرآن

إن الحوار بين الاسلام والمسيحية ممكن على اساس الانجيل والقرآن ؛ وهو مفروض بالقرآن والانجيل ، متى صحت شروطه .

١ – إن الحوار بين المسيحية والاسلام ممكن ومفيد

يقول كثيرون من المسلمين والمسيحيين : ان **تاريخ الصلات** بين الاسلام والمسيحية حتى اليوم شاهد عدل على ان الحوار بينهما غير ممكن وعقيم . لكن فاتهم أنه قام حتى اليوم ، من قبل الفريقين ، على أسس غير صحيحة ، وعلى نوايا غير طيّبة من كلا الطرفين .

ويقول بعضهم : ان بين المسيحية والاسلام **اختلافاً جوهرياً** ما بين التوحيد والتثليث ، وبنوّة المسيح لله والهيته ، واستشهاد المسيح على الصليب . ناهيك عن القول بالتجسد مع التنزيه والتجريد في التوحيـــد ، والقول بالفداء للبشر بصلب المسيح او القول بالايمان وحده للخلاص ، فالخلاص قدر وقضاء ، ومِنّة وعطاء لا شفيع فيه ولا وسطاء .

ونحن لا ننكر ما في تلك المواقف الجوهرية من تعارض . لكن الحوار على أساس قرآني سمح ، وعلى عرْض انجيلي صحيح ، يتخطّى ظواهر الفروق الى بواطن الامور ، والى ما بين الانجيل والقرآن من انتساب ونسب حتى وحدة الأمة : «وان امتكم هذه امة واحدة» (المؤمنون ٥٣ ؛ الانبياء ٩٢) ـ هو حوار ممكن مقبول مرضي .

وهو ، على أساس العرْض النزيه ، مفيد لانه يبين النسب الاصيل بين القرآن والكتاب ، كما في قوله : «ولا تجادلوا اهل الكتاب إلّا بالتي هي أحسن ـ إلّا الذين ظلموا منهم (اي اليهود) ـ وقولوا : آمنّا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٥) . فلا جدال مع أهل الانجيل إلّا بالحسنى ، والحسنى هي الشهادة بأن الاله واحد ، والتنزيل واحد والاسلام واحد .

فالحوار ممكن ومفيد مهما قال المتشائمون ، متى صحّت شروط الحوار الصحيح .

●

٢ ـ ان الحوار بين الاسلام والمسيحية يصح على اساس الانجيل والقرآن

هذا ما رأيناه في البحثين السابقين . فأهل الانجيل لا يرضون بالحوار إلا على أساس القرآن ؛ وأهل القرآن لا يرضون بالحوار إلا على أساس الانجيل . فالأمتان متفقتان على أساس الحوار الصحيح .

إن القرآن **دعوة كتابية** لعرض التوحيد الكتابي المنزل على العرب . فهو يشرع للعرب دين ابراهيم وموسى وعيسى ديناً واحداً بلا تفريق (الشورى ١٣) : «لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» (البقرة ١٣٦ ؛ آل عمران ٨٤) .

وهو جاء ليعلم العرب « الكتاب والحكمة » اي التوراة والانجيل ، بحسب لغة القرآن (البقرة ١٢٩ و ١٥٠ ؛ آل عمران ١٦٤ ؛ الجمعة ٢) .

إن القرآن ايضاً **دعوة نصرانية** لاهل الكتاب أنفسهم الى اقامة التوراة والانجيل : « قلْ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » (المائدة ٧١) .

فالقرآن يدعو أولاً للتوحيد الكتابي ، ثم للمسيح وأمـــه « آية للعالمين » . (الأنبياء ٩٢ ؛ المؤمنون ٥٣) . وهذا هو **الجامع الاساسي** للحوار الاسلامي المسيحي . وسنرى ان تكفيرات القرآن لبعض الفرق المسيحية ، قد كفرتها المسيحية الصحيحة من قبـــله ، فليست المسيحية الصحيحة المسيطرة اليوم على العالم بالمقصودة في تكفيرات القرآن ، وإن وهم ذلـــك بعض المسلمين وبعض المسيحيين .

فصفة القرآن المتواترة أنه « **تفصيل الكتاب** » ، الكتاب كله ، وتصديقه بين العرب . وهو يجاور الجميع بالكتاب الإمام لموسى (الاحقاف ١٣ ؛ هود ١٧) والكتاب المنير لعيسى (لقمان ٢٠ ؛ الحج ٨) .

لذلك فالقرآن هو الاساس الوحيد الصحيح للحوار بين الاسلام والمسيحية الصريح ، في عرْض صحيح على الانجيل .

•

٣ ـ ان الحوار بين الاسلام والمسيحية مفروض بالانجيل والقرآن

إن الانجيل والقرآن **دعوة** ؛ وكل دعوة تدعو الناس للحوار ؛ وكل دعوة من اصل واحد ، مثل « **كتاب الله** » ، هي دعوة للحوار الداخلي والنقد الذاتي قبل ان تكون للعالمين .

ودعوة المسيح في الانجيل هي لجمع المؤمنين في العالم «رعية واحدة» (يوحنا ١٠ : ١٧) وختم رسالته قبل استشهاده بصلاة لوحدة المؤمنين في العالم (يوحنا ١٧ كله). وقبل رفعه الى السماء كانت كلمات المسيح الاخيرة الامر بالدعوة والحوار مع الخليقة كلها في العالم أجمع : «لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الارض : فاذهبوا وتلمذوا الامم جميعها» (متى ٢٨ : ١٨ — ١٩)؛ «ثم قال لهم : اذهبوا في العالم أجمع وادعوا بالانجيل الخليقة كلها» (مرقس ١٦ : ١٥). فكيف لا يكون الحوار مفروضاً على أهل الانجيل مع أهل القرآن الذين يؤمنون معهم بالمسيح وأمه «آية للعالمين» (الانبياء ٩٢؛ المؤمنون ٥٣).

والقرآن يشهد لنفسه : «إن هو إلاَّ ذكرى للعالمين» (الاعراف ٩٠)، «إلاَّ ذكر للعالمين» (القلم ٥٢)؛ «إن هو إلاَّ ذكر للعالمين» (١٢ : ١٠٤؛ ٣٨ : ٨٧؛ ٨١ : ٢٧).

ويوجه القرآن الدعوة للعرب بقوله : «ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن» (النحل ١٢٥)؛ لان «من الناس مَن يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (الحج ٨؛ لقمان ٢٠).

ويوجه الدعوة الى أهل الكتاب أنفسهم : «**قلْ : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم**» (آل عمران ٦٤). والكلمة القرآنية السواء هي في قوله : «ولا تجادلوا أهل الكتاب **إلاَّ بالتي هي أحسن** — إلا الذين ظلموا منهم — وقولوا : آمنَّا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٦). فالقرآن يبني الحوار مع اهل الكتاب عامة على وحدة الاله ووحدة التنزيل ووحدة الاسلام؛ ويبنيه مع أهل الانجيل خاصة على الايمان بالمسيح أنه «كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠) وهو بذلك مع أمه «آية للعالمين».

فالحوار بين الاسلام والمسيحية مفروض بالانجيل والقرآن على المسيحيين والمسلمين «بالحكمة والموعظة الحسنة»، فهو جـدال «بالتي هي أحسن» أي حوار أخوي، بهدى وعلم وكتاب منير، للوصول «الى كلمة سواء».



بحث رابع

لكنه للحوار الصحيح بين المسيحية والاسلام شروطاً

شرط اول: الحوار جدال «بالتي هي أحسن».

لقد حدّد القرآن الحوار الصحيح تحديداً وافياً: انه جـدال «بالتي هي أحسن» (العنكبوت ٤٦)، ودعوة «بالحكمة والموعظة الحسنة» (النحل ١٢٥). وهذا الحوار ليس خصاماً او كبتاً للحرية الدينية في التعبير والتفكير.

والجدال الذي هو **خصومة** مذموم، يضر ولا ينفع. وقد فصّل الغزالي[١] ذم الجدل وحمل على عزل الناس عنه: «وينبغي ان يتحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة: فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهّده، وما يفسده أكثر مما يصلحه».

---

(١) الغزالي: احياء علوم الدين ١ : ٨٣.

شرط ثانٍ : الحوار عرْض لا تبشير .

والحوار عرْض سمح لموقف المتحاورين : « وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » (النحل ١٢٥) . فليس الحوار تبشيراً لاصطياد الخصم ؛ والتبشير هو نشر العقيدة بكل وسيلة لاقتناص المؤمنين .

انما الحوار الصحيح عرْض ودود لعقيدة الفريقين للتعارف والتفاهم، ومن ثمّ للتقارب والاتحاد في سبيل الله .

شرط ثالث : الحوار الصحيح تعارف لا تجاف ، مناظرة لا مهاترة .

إن الحوار الحق اطّلاع موضوعي ودّي علـــى تعليم الفريقين ، يفترض التسامح والتفاهم ، والاحترام والتقدير بين المتحاورين .

فالبحث الموضوعي الرصين النزيه يقوم على العرض الكامل المكشوف لمواقف المتباحثين . ولا يكون ذلك مناظرة أخوية إلا بالتقدير لعقيدة الآخرين، لا مهاترة بين متخاصمين .

شرط رابع : الحوار حديث مودة ، لا حديث بغضاء .

إن شرْعة اللاعنف التي نادى بها الزعيم غاندي في السياسة ، إنما هي شرعة الحوار الصحيح في الحقيقة الدينية . وما هي إلا شرْعة الانجيـــل والقرآن : « لا اكراه في الدين » !

يجب احترام المحاور مهما كان رأيه فينا . ويجب تقدير عقيدته الدينيـــة لا تكفيرها ، وان كنّا لا نأخذ بها . بدون ذلك يُعدّ الحوار حرباً باردة ، كما يقولون في لغة السياسة؛ بينما الحوار في حد ذاته حديث مودة، لا حديث بغضاء .

شرط خامس : الحوار حديث ايمان ، لا حديث تكفير .

لقد علمنا الخطيب الشهير لاكوردير قاعدة الحوار الذهبية : « اني لا أقصد بالحوار إفهام محاوري بالخطإ ، انما ابغي الاتصال به في سبيل حقيقة أسمى » .

ان الايمان يدفع الى الغيرة والدعوة، لكنه يُبنى ويَبني على المحبة والوداعة، لا على التحقير والتكفير . فما أسهل شتم الآخرين ! وما أسرع تكفيرهم ! لكن ذلك يهدم ولا يبني . فالحوار حديث مودة ، لا حديث تكفير !

شرط سادس : الحوار الصحيح يقتضي فهم الغير قبل الحكم عليه .

شرط كل حوار صحيح ان نفهم غيرنا كما نريد ان يفهمنا غيرنا ؛ ولا نتسرّع في الحكم عليه : فالحوار الصحيح يقتضي فهم الغير قبل الحكم عليه .

ولا يصح ان يصدر حكمنا على محاورنا بالاستناد الى ما عندنا وحده ، فقد يكون ما عنده صحيح كما نعتقد صحة ما عندنا . والحقيقة تنشد الحقيقة .

لا بدّ من اختلاف وجهات النظر بين الاديان عند بني الانسان . والحوار الصحيح يقضي بفهم وجهات النظر المختلفة في سبيل التقارب بينها ، للوصول الى الاصول المشتركة فيما بينها لان الحق واحد، والحقيقة منه واليه واحدة، مهما اختلفت السبل والوسائل . فشرعة فهم الغير سبيل الى التفاهم معه .

شرط سابع : الحوار الصحيح يجمع ولا يفرق ، ييسّر ولا يعسّر ، بدون خيانة للحقيقة .

إن صحّت هذه القاعدة في كل حوار صحيح ، فهي أصـــحّ ما تكون بين الاسلام والمسيحية ، لان الجامع الاساسي بينهما هو الايمان بالتوحيد المنزل ، مهما تباين فيه التأويل . فالقرآن انما هو « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) ،

والكتاب «امام» القرآن في الهدى والبيـــان (هود ١٧؛ الاحقاق ١٢)؛ والقرآن يجادل بهدى وعلم الكتاب المنير اي الانجيل (لقمان ٢٠؛ الحج ٨)، «وقد شهد شاهد من بني اسرائيل (النصارى) على مثله» (الاحقاف ١٠).

فعلى المسلمين والمسيحيين ان يتحاوروا عن «علم وهدى وكتاب منير». فالحوار فيما بينهم، من دون خيانة للحقيقة، يجب ان يجمع ولا يفرّق، وأن ييسّر ولا يعسّر. فقد «كان الناس أمة واحـــدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيـــه» (البقرة ٢١٢).

هذا هو «كتاب الله» (٢ : ١٠١؛ ٣ : ٣٣؛ ٥ : ٤٧؛ ٨ : ٧٥؛ ٩ : ٣٧؛ ٣٠ : ٥٦؛ ٣٣ : ٦)؛ وهو الحكَم بين الناس في كل حوار صحيح: «قلْ: فأتوا بكتاب من عند الله أهدى منهما أتّبعه، إن كنتم صادقين» (القصص ٤٩).

تلك هي بعض الشروط للحوار الصحيح بين المسيحية والاسلام.

* * *

فصل الخطاب: مثال الحوار الصحيح في «رسالة الهاشمي الى الكندي».

تلك هي أسس الحوار الصحيح بين المسلمين والمسيحيين. وقـــد فشل كل حوار في ما بينهم حتى اليوم، لانه لم يُبنَ عليها. ونفتح **صفحة جديدة في التاريخ** ببناء الحوار الودّي على تلك الاسس الصحيحة.

ولنا في الحوار الصحيح بين المسلمين والمسيحيين مثالًا رائعاً في «رسالة الهاشمي الى الكندي» ــ والهاشمي هو ابن عم الخليفة الاموي. قال في صفة الحوار المطلوب مع المسيحيين:

« ورأيت ايضاً مطارنة وأساقفة ، مذكورين بحسن المعرفة وكثرة العلم ، مشهورين بشدة الاغراق في الديانة النصرانية ، مظهرين غاية الزهد في الدنيا ، فناظرتهم مناظرة نصفة ، طالباً للحق ، **مسقطاً بيني وبينهم اللجـــاج والمراء والمكابرة بالسلطة** ، والصلف والبذخ بالحسب . **وأوسعتهم أمناً أن** يقولوا بحجتهم ، ويتكلموا بجميع ما يريدونه ، غير مؤاخذ لهم بذلك ولامتعنت بشيء ، كمناظرة الرعاع والجهّال والسقاط والعوام والسفهاء من أهل ديانتنا ، الذين لا أصل لهم ينتهون اليه ، ولا عقل فيهم يعوّلون عليه ، ولا دين ولا أخـــلاق تحجبهم عن سوء الادب ، **وانما كلامهم العنف والمكابرة والمغالبة بسلطان الدولة ، بغير علم ولا حجة** » .

ثم يطلب الامير الهاشمي من الكندي المسيحي ، **« فاكتب بما عندك من أمر دينك** ، والذي صحّ منه في يدك ، وما قامت به الحجة عندك ، مناً مطمئناً ، غير مقصّر في حجتك ، ولا مكاتم لما انت معتقده ، ولا فَرِق ولا وجِل . فليس عندي إلا الاستماع للحجة منك ، والصبر والاقرار بما يلزمني منه ، طائعاً غير منكر ، ولا جاحد ، ولا هائب ، حتى نقيس ما تأتينا به وتتلوه علينا ، ونجمعه الى ما في أيدينا ، ثم نخبرك بعد ذلك . **على ان تشرح لنا علته ، وتدعَ الاعتلال علينا بقولك : ان الفزع حجبك وقطعك عن بلوغ الحجة** ، واحتجتَ أن تقبض لسانك ولا تبسطه لنا ببيان الحجة . **فقد أطلقناك وحجتك** ، لئلا تنسبنا الى الكبرياء ، وتدّعي علينا الجور والحيف ، فإن ذلك غير شبيه بنـــا : فاحتج ، عافاك الله ، بما شئت وتكلّم بما أحببت ، وانبسط في كل تظن انه يؤيدك الى وثيق حجتك ، **فإنك في اوسع الامان** .

ولنا عليك ، أصلحك الله ، إذ أطلقناك هذا الاطلاق ، وبسطنا لسانك هذا البسط ، أن تجعل بينـــا وبينك **حكَماً عادلاً لا يجور** ولا يحيف في حكمه وقضائه ، ولا يميل الى غير الحق ، اذا ما تجنّب دولة الاهواء ، وهو العقل الذي

يأخذ به الله ، عزّ وجل ، ويعطي . فإننا قد أنصفناك في القول ، وأوسعناك في الأمان . **ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا ، اذ لا اكراه في الدين »** .

فعلى مثل هـــذا الانصاف والتحكيم يقوم الحوار الصحيح الحكيم ، بين الانجيل والقرآن ، والمسيحية والاسلام .

وقد أعطى اغسطين ، احد قادة الفكر في الانسانية ، **القاعدة المثلى للحوار :** « إن قارئي ، اذا شاطرني عقائدي ، فليماشِني ؛ واذا شاطرني شكوكي فليبحث معي ؛ واذا وجد نفسه على خطإٍ فليرجع عنه معي ؛ واذا وجدني ، أنا نفسي ، على خطإٍ فليردّني عنه » .





المبدأ العام :

الانجيل والقرآن يدعوان الى الحوار

كل دعوة موجهة للناس هي بحدّ ذاتها دعوة للحوار ؛ والانجيل والقرآن دعوة للناس ، فهما دعوة للحوار .

والقرآن نفسه ينتسب دائماً الى الكتاب وأهله : « فاسألوا أهل الذكر ، ان كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزبر » (النحل ٤٣ – ٤٤) – ويدعو نبيّه نفسه لمحاورة أهل الكتاب : « فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك ، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (يونس ٩٤) . وفي مثل هذه الاوامر ارشاد لنا وتحريض وترغيب . فالقرآن ، والانجيل كذلك ، يدعوان الى الحوار .

أولا : الانجيل يدعو جميع الناس الى الحوار

١ – باختيار ميدان دعوته بين بني اسرائيل

أجمع الانجيل بأحرفه الثلاثة ، حرف متى ومرقس ولوقا ، على ان دعوة يسوع المسيح بالانجيل كان ميدانها الاساسي في الجليل : « وبعد ما أُلقي يوحنا المعمدان في السجن ، أتى يسوع الى الجليل يدعو بانجيل الله . قال : لقد تمّ الزمان ، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٤– ١٥).

واختار السيد المسيح الجليل ميدان دعوته الاكبر لانه «جليل الأمم» حيث يمتزج المشركون بأهل الكتاب، فيسمعون كلام الله من فمه. فيحقق التاريخ نبوة أشعيا العظيم في دعوة المسيح: «ولماً سمع (يسوع) ان يوحنا قد قبض عليه، انطلق الى الجليل. ثم ترك الناصرة، وأتى فسكن في كفرناحوم على شاطئ البحر... ليتم ما قيل في أشعيا النبي قال:

أرض زبولون ونفتاليم، على طريق البحر،
عبْر الاردن، جليل الأمم:
الشعب الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً
والمقيمون في بقعة الموت وظله أشرق عليهم النور

ومنذئذٍ شرع يسوع يدعو ويقول: توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات» (متى ٣: ١٢ — ١٥).

فالنبوة والانجيل يسميان ميدان دعوة المسيح «جليل الامم». فالأميون يسمعون الانجيل من يسوع نفسه مثل أهل الكتاب.

●

٢ — المشركون يتبعون يسوع

هذه لوحة عامة عن حركة الدعوة: «**وكان يطوف الجليل كله** يعلّم في جوامعهم، ويدعو بانجيل الملكوت، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب. **فذاع خبره في سوريا كلها**... وتبعته جموع غفيرة من الجليل **والمدن العشر** واورشليم واليهودية وعبر الاردن» (متى ١٠: ٢٣ — ٢٥).

فهو يذكر بين اتباع المسيح جموعاً من سوريا الكبرى كلها. ويخص بالذكر «المدن العشر» وهي عشر مدن أنشأها الاستعمار السوري والروماني في شرق

الاردن ، ما بين عمان ودمشق ، يستعمرها المشركون . فالمشركون من المدن العشر يتبعون يسوع .

•

٣ ـ رحلات يسوع الى أرض المشركين

يتوهم كثيرون ان السيد المسيح اقتصر دعوته على بني اسرائيل . وفاتهم أن المشركين في سوريا الكبرى وخصوصاً في المـــدن العشر أتوا الى يسوع يسمعون دعوته . وفاتهم خصوصاً ان يسوع نفسه قام **بأربع رحلات** الى أرض المشركين للدعوة بالانجيل : رحلة أولى الى شرق بحيرة طبرية في منطقة جرش (مرقس ٤ : ٣٥ ـ ٥ : ٤٣) ؛ رحلة ثانية الى نواحي صور وصيدا (مرقس ٧ : ٢٤ ـ ٣٠) ؛ رحلة ثالثة ما بين المدن العشر الوثنية في شرق الاردن (٧ : ٣١ ـ ٨ : ٢٦) ؛ رحلة رابعة الى ارض المشركين في منطقة بانياس وجبل الشيخ ، حيث كشف لصحابته سر شخصيته وسر رسالته (مرقس ٨ : ٢٧ ـ ٩ : ٣٠) . فقد قسم يسوع دعوته بين أهل الكتاب والمشركين المجـــاورين شرقاً وغرباً ، جنوباً وشمالاً . أما قول المسيح : « لم آتِ إلا للخراف الضالة من بيت اسرائيل» فهو قول مخصوص ، بظرف مخصوص ، لمعنى مخصوص ، تدل عليه قرائن النص ، فلا يصح فيه التعميم ، كما تدل احداث الانجيل وتلك الرحلات .

•

٤ ـ المسيح يدعو لتاسيس ملكوت الله في العالم كله

كان بنو اسرائيل يظنون ان المسيح يخصهم وحدهم ، وأن ملكوت الله الذي يؤسسه هو دولتهم القومية العالمية . فكشف لهم « أسرار ملكوت

السماوات» (متى ١٣ : ١١) بأمثال كاشفة من الادب الرفيع الذي عزّ نظيره في الآداب والاديان (متى ١٣ كله).

ففي مثل **الزؤان بين القمح**، يرينا ان ابن البشر – وهو لقب يسوع في الانجيل – يزرع في العالم قمحاً جيداً؛ لكن عدو الله، ابليس، يندسّ ويزرع بينه زؤاناً. ويفسر هذه الاستعارة التمثيلية بقوله: «الذي يزرع الزرع الجيّد هو ابن البشر اي يسوع؛ **والحقل هو العالم**؛ والزرع الجيّد هم بنو الملكوت؛ والزؤان هم بنو الشرّير (اي ابليس)؛ والعدو الذي زرعه هو الشيطان؛ والحصاد هو منتهى الدهر؛ والحصادون هم الملائكة: فكما ان الزؤان يُجمع ويُحرق في النار، كذلك يكون في منتهى الدهر» (متى ١٣ : ٢٤ – ٣٠ ثم ٣٦ – ٤٣). ان حقل الدعوة المسيحية هو العالم كله.

فالدعوة الانجيلية موجهة للعالم أجمع، وان قامت بين بني اسرائيل. فالمسيح يدعو لتأسيس ملكوت الله في العالم كله.

●

٥ – صحابة المسيح، بأمر منه، سيشهدون بالانجيل للمشركين كلهم

اقتصر يسوع **تدريب صحابته** بالرسالة على بني اسرائيل (متى ١٠ : ٥). لكنه أخبرهم بما ينتظرهم عندما سيرسلهم الى العالم كله ينقلون دعوته بين أهل الكتاب في مهاجرهم، وبين الأميين في مواطنهم: «احذروا من **الناس**! فإنهم سيسلمونكم الى المحافل (الوثنية) ويجلدونكم في جوامعهم (اليهودية)! وستساقون الى الولاة والملوك من أجلي لتشهدوا أمامهم، **وأمام الوثنيين**» (متى ١٠ : ١٧). فدعوة المسيح موجهة من أصلها الى المشركين أيضاً في العالم كله.

●

٦ – المسيح يربط الشهادة العالمية لدعوته باستشهاده

قبل استشهاده – وكل دعوة سماوية تتم في الاستشهاد، على انواع – يعلن يسوع للجماهير المحتشدة في الهيكل، للحج الأكبر في فصحهم، معنى استشهاده في دعوته: «الآن دينونة هذا العالم! الآن رئيس هذا العالم (إبليس) يُلقى خارجاً! وأنا متى رفعتُ عن الارض اجتذبت إليَّ الجميع – قال يسوع هـذا ليدل على أية ميتة كان مزمعاً ان يموتها» (يوحنا ١٢: ٣١ – ٣٢). يربط السيد المسيح الشرك والكفر في العالم بعمل ابليس. ويعلن ان استشهاده دينونة للعالم الكافر، ونهاية لسلطان ابليس عليه. لذلك يكون استشهاده شهادة تجتذب العالم الى الايمان.

وأول من اعترض على صلب المسيح لمّا تنبّأ لهم عنه كان اليهود أنفسهم؛ «فأجابه الجمع: لقد علمنا من الشريعة ان المسيح يحيا الى الابد: فكيف تقول أنت: ينبغي ان يُرفع (يُصلب) ابن البشر؟ مَن هو هذا ابن البشر؟ فقال لهم يسوع: إن النور معكم بعد الى حين... فما دام النور معكم فآمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور» (يوحنا ١٢: ٣٤ – ٣٦). إن سر صلب المسيح نور، يكشفه المسيح النور، لان الاستشهاد أعظم شهادة للدعوة؛ وشهـادة الدم لا تُرد: «وأنا متى ارتفعت عن الارض (بالصلب) اجتذبت الي الجميع». فالاعتراض على صلب المسيح سير في الظلام، لا سلوك في النور (يوحنا ١٢: ٣٥ – ٣٦)، لان المسيح يربط الشهادة العالمية الفعلة لدعوته باستشهاده.

●

٧ – بعثة رسل المسيح بالانجيل الى العالم كله

بعد قيامته من الموت والقبر، وقبل ارتفاعه حيّاً الى السماء، «دنا يسوع

منهم وكلمهم . قال : لقد أوتيتُ كل سلطان في السماء وعلى الارض : فاذهبوا وتلمذوا **جميع الامم** ... وها أنا معكم كل الايام الى نهاية الدهر » (خاتمة متى) .

وفي حرف مرقس نقرأ : « ثم قال لهم : **اذهبوا في العالم أجمع** ، وادعـــوا بالانجيل **الخليقة كلها** ؛ فمن آمن واعتمد يخلص ، ومَن لا يؤمن يهلك » .

« وها هي ذي المعجزات التي تشهد للمؤمنين : باسمي يخرجون الشياطين ! وبألسنة جديدة ينطقون ! والحيات بأيديهم يأخذون ! وإذا شربوا سماً قاتلاً فلا يتضرّرون ! ويضعون ايديهم على المرضى فيُبرأون ! »

« ومن بعد ما كلمهم الرب يسوع ، ارتفع الى السماء ، وجلس عن يمين الله » .

« وأمّا هم فخرجوا ودعوا في كل مكان ؛ والرب يوآزرهم ، ويؤيد الدعوة بالمعجزات التي تصحبها » (خاتمة مرقس) .

وهكذا بعد ان سلم يسوع صحابته الانجيل ، ودربهم على الرسالة بين بني اسرائيل ، واعطى دعوته شهادة الدم ، المعجزة الكبرى التي لا تُرد ، بعثهم في « العالم أجمع يدعون بالانجيل الخليقة كلها » .

فالانجيل يدعو جميع الناس الى الحوار .

ولوقا ، تابع الصحابة بإحسان ، يُتبع الانجيـــل بسيرة رسل المسيح في دعوتهم ، في سفر « **أعمال الرسل** » . ويرينا كيف اكتسحت المسيحية ، في ظرف **عشرين سنة** ، العالم الاسرائيلي والسوري واليوناني والروماني ، لانه تحقق ذلك بنفسه واشترك فيه . ولم يذكر شيئاً عن دعوة رسل المسيح في العوالم الشرقية والافريقية ، لانه لم يطلع عليها بنفسه ، بل ذكرهـــا جملة في انتشار الرسل الحواريين في العالمين . وفي مطلع تاريخه يذكر سر نجاح دعوتهم ، بتأييد الروح

القدس لهم ، وقد أرسله عليهم المسيح نفسه من السماء ، فملأهم قوة ونوراً ، فسبوا العالم الى «طاعة الايمان» ، بسلطان «الكلمة والمعجزة» وبالروح القدس ، وبكمال اليقين» (افسس ١ : ٥) ؛ «والله يؤيد شهادتهم بالآيات والخوارق وأنواع المعجزات ، وبتوزيع مواهب الروح القدس على حسب مشيئته» (عبر ٢ : ٤) .

فتمت على يد جماعة من الأمّيين - ما عدا بولس - **معجزة انتشار المسيحية في العالم** ، بأمر المسيح نفسه ، وقد وصفها الاديب الكبير العقاد ، بقوله :

«وبعد ، فمن الحق ان نقول : ان معجزة المسيح الكبرى هي هذه المعجزة التاريخية التي بقيت على الزمن : رجل ينشأ في بيت نجار ، في قرية خاملة ، بين شعب مقهور ، **يفتح بالكلمة دولاً تضيع في أضوائها دولة الرومان** ! ولا ينقضي عليه من الزمن في انجاز هذه الفتوح ما قضاه الجبابرة في ضم اقليم واحد ، قد يخضع الى حين ، ثم يتمرّد ويخلع النير ؛ **ولا يخضع كما خضع الناس للكلمة** ، بالقلوب والاجسام» (حياة محمد ص ١٩٧) .

* * *

ثانياً : القرآن يدعو أهل الكتاب خصوصاً الى الحوار

القرآن **دعوة عامة** للمشركين العرب الى الايمان بالتوحيد الكتابي ، دين ابراهيم وموسى وعيسى ، الذي شرعه للعرب (الشورى ١٣ — ١٥) . وهذه هي الوحدة الجذرية بين أهل القرآن وأهل الكتاب .

١ — والقرآن أيضاً **دعوة خاصة** لاهل الكتاب الى الحوار : «إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون» (النمل ٧٦) .

أهل الكتاب هم اليهود والنصارى : ففيمَ هم يختلفون ؟

أليس **خلافهم في المسيح وأمه** اللذين جعلها الله «آية للعالمين» ؟ فالقرآن يدعو أهل الكتاب من اليهود الى الايمان بالمسيح : «ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ، ابن مريم ، البيّنات ، وأيّدناه بروح القدس : أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم ، وفريقاً تقتلون» ! (البقرة ٨٧) .

والقرآن يدعو ايضاً أهل الكتاب من المسيحيين **للكفّ عن «الغلو» في شأن** المسيح : «يا اهل الكتاب ، لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلاّ الحق ! إنما المسيح عيسى ، ابن مريم ، رسول الله ، وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه» (النساء ١٧٠) .

فالقرآن دعوة خاصة لاهل الكتاب الى الحوار .

●

٢ - الحوار هو « الجدال بالتي هي أحسن » مع أهل الانجيل

يحدّد القرآن الحوار بأنه «الجدال بالتي هي أحسن» : «ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن» (النحل ١٢٥) .

لكن هذا الجدال بالحسنى هو مخصوص بأهل الانجيل ، من دون اليهود من أهل الكتاب ، الذين ظلموا بكفرهم بالمسيح ، وبمحمد ، «النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلمته» (الاعراف ١٥٧) : «**ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن** — إلا الذين ظلموا منهم — وقولوا : آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، والهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٦) ، فهو يجيز الجدال

مع اليهود بغير الحسنى، لأنهم ظلموا، فلعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم (المائدة ٨١). **لكن القرآن لا يجيز الجدال مع أهل الانجيل إلا بالحسنى**. وهذا الجدال بالحسنى مع اهل الانجيل هو الامر للمسلمين بالقول **بوحدة التنزيل، ووحدة الاله، ووحدة الاسلام**، فيما بينهم وبين أهل الانجيل.

●

٣ ــ القرآن يشهد مع أهل الانجيل المقسطين بالاسلام

الاسلام قائم قبل القرآن، بنص القرآن القاطع: «**هو سماكم المسلمين من قبلُ، وفي هذا**» القرآن (الحج ٧٨). والنصارى يعلنون لمحمد عند دعوتهم للايمان: «إنَّا كنَّا من قبله مسلمين» (القصص ٥٣). إنهم مسلمون منذ اعلان الحواريين، صحابة المسيح، اسلامهم، لمّا سأل عيسى: «مَن أنصاري الى الله؟ قال الحواريون: نحن أنصار الله! آمنَّا بالله! واشهد بأنَّا مسلمون» (آل عمران ٥٢).

والقرآن نفسه يشهد بالاسلام، بشهادتهم نفسها: «شهد الله أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط، لا إله الا هو العزيز الحكيم، انَّ الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨ ــ ١٩). سنرى ان القرآن يرادف بين اهل الكتاب، وأهل الذكر، وأولي العلم؛ ويقسمهم الى فريقين: اليهود الظالمين (العنكبوت ٤٦) والنصارى المقسطين. فهؤلاء النصارى المقسطون هم الذين يشهدون مع الله وملائكته «ان الدين عند الله الاسلام»؛ والقرآن يشهد بشهادتهم.

●

٤ ـ القرآن مع أولئك النصارى «أمة واحدة»

يختم القرآن ذكر أنبياء الكتاب بقوله : «والتي أحصنت فرجها، فنفخنا فيها من روحنا، وجعلناها وابنها آية للعالمين : انّ هذه أمتكم **أمة واحدة** وأنا ربكم فاعبدون» (الانبياء ٩١ ـ ٩٢) . فالذين يؤمنون بالمسيح وأمه آية للعالمين هم أهل القرآن واهل الانجيل .

إنهم «أمة واحدة» مع أنبياء الله ، منذ نوح الى ابن مريم ؛ والقرآن يختم أيضاً ذكرهم بقوله : «وجعلنا ابن مريم وأمه آية ! وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين : يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ، واعملوا صالحاً ، إني بما تعملون عليم . وإن هذه امتكم **امة واحدة** ، وأنا ربكم فاتقون» (المؤمنون ٥١ ـ ٥٣) .

فالايمان بالمسيح وأمه ـ بعد التوحيد الكتابي الواحد ـ هو الذي يجعل اهل القرآن وأهل الانجيل ، في عرف القرآن نفسه ، أمة واحدة .

●

٥ ـ الامم الثلاث الكتابية ، في عرف القرآن

ان القرآن صريح كل الصراحة في التمييز بين اليهود والنصارى من أهل الكتاب ، وفي طريقة الحوار بالحسنى مع كل فريق ؛ فهو بعد ان يذكر أمة محمد بأنها «خير أمـــة أخرجت للناس» (آل عمران ١١٠) ، ويذكر اليهود بأنهم ضربت عليهم الذلّة والمسكنة لأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون الانبياء بغير حق (آل عمران ١١١ـ١١٢)؛ **يقول في النصارى** : «ليسوا سواء : من أهل الكتاب أمـة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ؛ يؤمنون بالله واليوم الآخر ؛ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ؛ ويسارعون في

الخيرات . وأولئك من الصالحين . وما يفعلوه من خير فلن يكفروه . والله عليم بالمتقين » (آل عمران ١١٣ – ١١٤) . « فالصالحون » من أهل الكتاب هم في الايمان والاحسان جماعة واحـدة مع « المتقين » من العرب الذين آمنوا بالدعوة القرآنية . فهم في الاسلام أمة واحدة .

•

٦ ـ تكفيرات القرآن لاهل الكتاب مخصوصة لا يصح تعميمها

عندما يقول القرآن : « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، في نار جهنم خالدين فيها ، أولئك هم شرّ البرية » (البينة ٦) ، فالتكفير للمشركين مطلق ، بينما هو مخصوص بحق أهـــل الكتاب ، كما يتضح من حرف التبعيض : « الذين كفروا من أهل الكتاب » . فهو يقصد اليهود من دون النصارى ، لأن القرآن في سورة المائدة ، وهي مـن أواخر السور نزولاً إن لم تكن الاخيرة ، يعلن اشتراك اليهود والمشركين في الكفر بالدعـوة القرآنية وعداوة المسلمين ؛ بينما يعلن **ايمان النصارى ومودتهم** : « لتجدنّ أشد الناس عـــداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ! ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنا نصارى! ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ، وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع ، **مما عرفوا** من الحق ، يقولون: **ربنا آمنّا ، فاكتبنا مع الشاهدين** ! » (المائدة ٨٤ – ٨٦) . هذه شهادة صريحة بإيمان النصارى « بما عرفوا من الحق » في الدعوة القرآنية .

لذلك فتكفيرات القرآن لبعض النصارى القائلين « بالثلاثة » (النساء ١٧٠) أو بأن « الله هو المسيح ، عيسى ابن مريم » (النساء ١٩ و ٧٥) ، **هي تفكيرات مخصوصة** بفئات منهم ، كفرتها المسيحية قبل القرآن .

فهو لا يأخذ على أهـــل الانجيل إلا «**الغلو**» في شأن المسيح : «يا أهل الكتاب ، **لا تغلوا في دينكم**، ولا تقولوا على الله إلا الحق : انما المسيح عيسى ، ابن مريم ، رسول الله ، وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه » (النساء ١٧٠) .

وهذا الاعلان لايمان القرآن بالمسيح هـــو **موضوع الحوار** بين أهل القرآن وأهل الانجيل .

•

٧ ــ الشهادة الواحدة الجامعة لاهل القرآن وأهل الانجيل

إنهم متفقون جميعاً على هذه الشهادة الواحدة الجامعة :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن المسيح عيسى ابن مريم ، رسول الله ، وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه » .

إنهم يتفقون جميعاً عـــلى **حرف** هذه الشهادة ، ويختلفون في **تأويلها** . والخلاف في التأويل كان قائماً بين « النصارى » والمسيحيين في عهد « الفترة » بين المسيح ومحمد .

ولما جاء وفـد نجران المسيحي ــ وهم من أهل « الغلو » في شأن المسيح ــ وكان أعظم الوفود وأخطرها ، ليفاوض النبي العربي في **نبوة المسيح مـــن الله**، كان ختام الحوار معهم بالحسنى ، قول القرآن : «قلْ : يا أهل الكتاب **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** : ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً مـــن دون الله ! فإن تولوا ، فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون» (آل عمران ٦٤) .

فالكلمة السواء بين أهل القرآن وأهل الانجيل تنحصر في **تأويل** تلك الشهادة الواحدة الجامعة، التي يتفقون جميعهم على حرفها.

والخلاف بين أهل الانجيل وأهل القرآن على تأويل تلك الشهادة الواحدة الجامعة، لا يمنع أنهم **«أمة واحدة» في اصل الاسلام**، بنص القرآن القاطع: «وقولوا: آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم، والهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٦)، اي الاله واحد، والتنزيل واحد، والاسلام واحد، بين أهل القرآن وأهل الانجيل.

فالدعوة القرآنية لأهل الانجيل **«الى كلمة سواء»**؛ والأمر بجدالهم **«بالتي هي أحسن»**؛ هو الحوار بعينه، المفروض بالقرآن نفسه.

وبما ان الانجيل والقرآن يدعوان معاً الى الحوار؛ وأقرب الحوار ما قام بين أهل القرآن وأهل الانجيل، لأنهم «أمة واحدة» في أصل الاسلام القرآني الكتابي؛ فما على المسيحيين والمسلمين جميعاً إلا إقامة هذا الحوار — لا بلغة الماضي، بل «بالتي هي أحسن». وهذه الصفة القرآنية للحوار الاسلامي المسيحي المطلوب والمفروض معاً، هي **الشرط الاساسي للحوار الصحيح** فيما بينهم. وكل حوار ليس «بالتي هي أحسن» — من كلا الطرفين — هو حوار فاشل، وغير صحيح.




www.christianlib.com

الفصل الأوّل

الاسلام في عرف القرآن

بحث أول : اسلام القرآن هو اسلام الكتـــاب ، في « أمة واحدة »

بحث ثانٍ : اسلام القرآن هو الاسلام « النصراني » في « أمة وسط »



توطئة

« الاسلام » اصطلاح لدين الله المنزل في الكتاب

دين القرآن ، بل دين الله على الاطلاق ، هو الاسلام : « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٩) . لذلك « ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً ، فلن يُقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٥) .

يظن الجاهلون أو المتجاهلون أن هذا « الاسلام » هو اسلام آل محمد من دون سواهم . لكن القرائن القرآنية ، في الآيتين ، وفي القرآن كله ، تشهد بأن اسلام القرآن هو اسلام الكتاب الذي يبلغه النبي العربي لبني قومه (الشورى ١٣) ؛ وهو اسلام « النصارى » على الخصوص . هذا هو **الركن الاساسي** للحوار الاسلامي المسيحي .

•

بحث اول

اسلام القرآن هو اسلام الكتاب

(القاعدة الأولى للحوار الاسلامي المسيحي)

١ ــ الاسلام بين القرآن والكتاب واحد

١ ــ في عرف القرآن ، « ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٩) .

لكن هذا الاسلام هو اسلام الكتاب نفسه، بنص القرآن القاطع: «افغير دين الله يبغون، وله اسلمَ مَن في السماوات والارض طوعاً وكرهاً، واليه يرجعون. قلْ: آمنّا بالله وما أُنزل علينا، وما أُنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط، وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، **لا نفرّق بين احد منهم**، ونحن له مسلمون: ومَن يبتغي غير الاسلام ديناً، فلن يُقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران ٨٣ — ٨٥). فالاسلام هو دين ابراهيم وموسى وعيسى، «لا نفرّق بين احد منهم، ونحن له مسلمون». واسلام القرآن هو اسلامهم، اي اسلام الكتاب، لا اسلام غيره.

٢) **والقرآن يشرع للعرب اسلام الكتاب نفسه**: «شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً — والذي اوحينا اليك — وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدين، ولا تتفرقوا فيه! كبر على المشركين ما تدعوهم اليه» (الشورى ١٣). فالدين الذي يشرعه الله في القرآن للعرب هو دين ابراهيم وموسى وعيسى؛ وهذا هو اسلام الكتاب: فإسلام القرآن هو اسلام الكتاب.

٣) **والقرآن اخذ الاسلام اسماً ومعنى من الكتاب**: «هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا» (الحج ٧٨) اي «من قبل القرآن في الكتب المتقدمة، وفي هذا القرآن، والضمير لله؛ ويدل عليه انه قُرِئ: الله سماكم؛ او لابراهيم. وتسميتهم مسلمين في القرآن لم يكن منه» (البيضاوي). فالله تعالى منذ ابراهيم يسمّي المؤمنين بالتوحيد الكتابي المنزل مسلمين. فورث القرآن اسلام الكتاب اسماً ومعنى: فإسلام القرآن هو اسلام الكتاب.

٤) محمد نفسه، في هدايته وبعثته، **يُؤمر بأن ينضم الى المسلمين من قبله**: «إنما أُمرتُ ان أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها، وله كل شيء؛ وأُمرت أن اكون من المسلمين، وان اتلو القرآن» (النمل ٩١ — ٩٢). فالمسلمون موجودون من قبل محمد، وهو يُؤمر بأن ينضم اليهم ويتلو معهم «القرآن». وما قاله محمد عن نفسه، قاله نوح عن نفسه من قبله: «واتل عليهم

نبأ نوح اذ قال لقومه : ... وأُمرت ان اكون من المسلمين » (يونس ٧١ ـ ٧٢). فالاسلام من نوح الى محمد واحد ، وهو اسلام الكتاب

٥) **وفرعون عند غرقه يعلن اسلامه** بحسب اسلام بني اسرائيل : « وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ، فاتبعهم فرعون وجنوده ، بغياً وعدْواً ، حتى اذا ادركه الغرق قال : آمنت انه لا إله الاَّ الذي آمنت به بنو اسرائيل ، وانا من المسلمين » (يونس ٩٠). فبنو اسرائيل ، ورثة نوح وابراهيم وموسى ، هم المسلمون ، لأنهم أوتوا الكتاب : « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على العالمين » (الجاثية ١٥) ؛ ولأنهم ورثوا الكتاب : « ولقد آتينا موسى الهدى ، وأورثنا بني اسرائيل الكتاب » (المؤمن ٥٣) . فالاسلام هو اسلام الكتاب قبل اسلام القرآن . وما اسلام القرآن سوى اسلام الكتاب الذي شرعه الله للعرب (الشورى ١٣) .

●

٢ ــ وحدة الكتاب المنزل في التوراة والانجيل والقرآن

١) لذلك يعلن القرآن **وحدة الكتاب المنزل** في التوراة والانجيل والقرآن: « كان الناس امة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (البقرة ٢١٢) . وهذا الكتاب الواحد نزل توراةً وزبوراً وانجيلاً وقرآناً : « نزّل عليك الكتاب بالحق ، مصدقاً لما بين يديه (قبله). وأنزل التوراة والانجيل من قبلُ ... وانزل الفرقان » (آل عمران ٣) . قال الزمخشري : ان الله تعالى بتنزيل التوراة والانجيل والقرآن أنزل الفرقان كله اي « جنس الكتب السماوية ، لأنها كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل » . وقال البيضاوي : « وانزل الفرقان : ذكر

ذلك بعد الكتب الثلاثة ليعم ما عداها. وقد يراد بهُ الزبور؛ او القرآن، كرّره مدحاً». ورأي الزمخشري اقرب الى الصواب. الفرقان تفصيل القرآن.

٢) **وهذه الكتب المنزلة يصدّق بعضها بعضاً**: «وقفينا على أثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور. وأنزلنا اليك الكتاب بالحق، مصدقاً لما بين يديه (قبله) من الكتاب ومهيمناً عليه» (المائدة ٤٦ — ٥١) — «مهيمناً عليه اي شاهداً له» (الجلالان).

٣) **وما القرآن نفسه سوى نسخة عربية للكتاب**: «والكتاب المبين، إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» (الزخرف ١ — ٢). فكتاب موسى هو الإمام، وقرآن محمد تصديق له: «ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة، وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً» (الاحقاف ١٢)، كأنه لشدة مطابقته لا يختلف عنه الاّ باللسان العربي. فالقرآن تصديق للكتاب وتفصيل: «أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلاً (في القرآن)؛ والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق، فلا تكونن من الممترين» (الأنعام ١١٤). لاحظ من تعريف «الكتاب» في الموضعين ان المنزل على محمد والمنزل من قبل واحد؛ وما القرآن سوى تفصيل الكتاب.

٤) **فليس القرآن سوى تصديق وتفصيل للكتاب**، بلسان عربي مبين: «وما كان هـذا القرآن ان يُفترى من دون الله، ولكن تصديق الذي بين يديه (قبله) وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه، من رب العالمين» (يونس ٣٧).

فوحدة الكتاب بين التوراة والانجيل والقرآن شاهد عدل على وحدة الدين ووحدة الاسلام، في عرْف القرآن

●

٣ ــ وحدة الايمان من وحدة الاسلام

١) ويعلن القرآن ايضاً **وحدة الايمان** بين القرآن والانجيل والتوراة : « يا ايها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزّل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل ! ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » (النساء ١٣٥) .

٢) ايمان واحد واسلام واحد : « قولوا : آمنا بالله وما أُنزل الينا ، وما أُنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أُوتي موسى وعيسى ، وما اوتي النبيون من ربهم ؛ لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦) .

٣) فلا تفريق في الايمان والاسلام ما بين موسى وعيسى ومحمد : « قلْ : آمنا بالله وبما أُنزل علينا ، وما أُنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٣ ــ ٨٥) .

•

٤ ــ وحدة الايمان والاسلام تقوم على وحدة الوحي

١) وان وحدة الكتاب والاسلام والايمان تقوم على **وحدة الوحي** : « إنا اوحينا اليك ، كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ؛ وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ؛ وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان ؛ وآتينا داود زبوراً ؛ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلاً لم نقصصهم عليك ؛ وكلّم الله موسى تكليماً ؛ رسلاً مبشرين ومنذرين ، لئلا

يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ! وكان الله عزيزاً حكيماً» (النساء ١٦٢ — ١٦٤) .

فوحدة الاسلام بين اهل القرآن واهل الكتاب تقوم على وحدة الكتاب المنزل ، ووحدة الدين الكتابي ، ووحدة الايمان الاسلامي ، ووحدة الوحي الالهي .

٢) لذلك لما تلا محمد القرآن على اهل الكتاب ، اجابوه بأنهم مسلمون من قبله : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم يؤمنون به ؛ واذا يُتلى عليهم قالوا : آمنا به ، إنه الحق من ربنا ! **إنا كنا من قبله مسلمين** . أولئك يؤتون اجرهم مرتين » (القصص ٥٢ — ٥٤) .

فكان جواب القرآن لتصريح اهل الكتاب بأنهم مسلمون من قبل القرآن : أن لهم اجرين لايمانهم باسلام الكتاب واسلام القرآن ، أو كما يقول البيضاوي : **« لكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم »** .

فاسلام القرآن هو اسلام الكتاب في « امة واحدة » .

وهكذا اتضحت لنا **القاعدة الاولى من الحوار الاسلامي المسيحي** : اسلام القرآن هو اسلام الكتاب ؛ و من يبتغ غير هذا الاسلام الكتابي القرآني ديناً فلن يُقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين (آل عمران ٨٣ — ٨٥) .



بحث ثان

اسلام القرآن والاسلام « النصراني »

توطئة : « الامة الواحدة » و« الامة الوسط » في القرآن

اسلام القرآن هو اسلام الكتاب اي دين ابراهيم وموسى وعيسى الذي يشرعه القرآن للعرب ديناً واحداً بلا تفرقة ولا تفريق (الشورى ١٣) ، في « **امة واحدة** » تؤمن بالمسيح وامه «آية للعالمين» (الانبياء ٩٢ ، المؤمنون ٥٣) .

وهذه « الامة الواحدة » هي « امة وسط » (البقرة ١٤٣) بين اليهودية التي تكفر بالمسيح وامه ، وبين المسيحية التي « تغلو » في شأن المسيح وامه .

وهذه « الامة الوسط » كانت قائمة في عهد « الفترة » ما بين المسيح ومحمد . فقد انقسم اتباع المسيح ، بعد العهد الرسولي الى **سُنة وشيعة** ، وكان الفاصل بينهما مؤتمر صحابة المسيح في اورشليم عام ٤٩ م . الذي حرر المسيحيين من الاميين من شريعة موسى والختان ، وترك النصارى من بني اسرائيل احراراً في اقامة التوراة والانجيل : فتشيّع « النصارى » من بني اسرائيل الى التوراة فأقاموها مع الانجيل ، فكانوا « شيعة النصارى » (اع ٢٤ : ٥) ؛ وتبع المسيحيون من الاميين شرعة الرسل فكانوا السُنة المسيحية .

والفارق الجوهري بين الشيعة والسنة من اهل الانجيل ، هو في الايمان بالمسيح ، « كلمة الله » . فقد فسرها « شيعة النصارى » على ضوء الكلام الفيلوني .

وكان فيلون، المتكلم اليهودي الاكبر في عصر الميلاد، يفهم «كلمة الله» بأنه «ملاك كلمة الله»[١]؛ فهو عنده «اقدم الملائكة»، و «اول الملائكة»[٢]، اي «اول خلق الله»، وواسطة الخلق كله. فقال «النصارى» من بني اسرائيل بأن المسيح هو «كلمة الله القاها الى مريم وروح منه» كما سيأتي ايضاً في القرآن. وقال اهل السُّنة المسيحيون بأن المسيح، «كلمة الله» أي نطقه الذاتي الذي يتسلسل فيه كتسلسل ابن عن ابيه في عالم المخلوق، ولله المثل الاعلى (فاتحة الانجيل بحسب يوحنا).

فكان «النصارى» من بني اسرائيل بعقيدتهم في المسيح «امة وسطاً» بين اليهودية الكافرة، والمسيحية المغالية في نظرهم.

وهذه هي «الامة الوسط» في الاسلام القرآني.

●

١ — اسلام القرآن هو اسلام أولي العلم المقسطين

هذه هي شهادة القرآن للاسلام :

«شهد الله انه لا إله الاَّ هو، والملائكة **وألو العلم قائما بالقسط** — لا إله الاَّ هو العزيز الحكيم — ان الدين عند الله الاسلام. وما اختلف الذين اوتوا الكتاب إلا من بعـــد ما جاءهم **العلم** بغياً بينهم. ومن يكفر بآيات الله، فإنه سريع الحساب. فإن حاجوك فقل : أأسلمتم ؟ فإن اسلموا فقد اهتدوا؛ وإن تولوا،

(١) فيلون : في الارواح ١ : ٢٣٩

(٢) فيلون : في بلبلة الالسن ١٤٦ — ١٤٧

فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد . ان الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق ، **ويقتلون الذين يأمرون بالقسط** من الناس ، فبشرهم بعذاب أليم » (آل عمران ١٨ -- ٢١) .

فمن هم « اولو العلم » القائمون بالقسط ، الذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » ؟ والقرآن يشهد بشهادتهم : فإسلامه من اسلامهم.

هنا لا بدّ لنا من **استطراد** نستقرىء فيه القرآن لنرى من هم « اولو العلم » في لغته واصطلاحه .

يأخذ القرآن **تعبير « العلم »** عادة **بمعناه اللغوي** ، كمرادف للمعرفة ، وذلك في عشرات الآيات . لكنه يستخدم أيضاً تعبير « العلم » **بمعنى اصطلاحي** عندما يذكر اختلاف أهل الكتاب من يهود ونصارى : « وما اختلف أهل الكتاب إلّا من بعد ما جاءهم العلم » (آل عمران ١٩ ، الشورى ١٤ ، الجاثية ١٦) . فإن « العلم » هنا اصطلاح : وله معنى عام ومعنى خاص ، يظهران من اسم « أولي العلم » ومن الصفة المتواترة « قائماً بالقسط » .

واصطلاح القرآن يقسم الذين يخاطبهم في مكة والمدينة إلى « اهل الكتاب » و « الأميين » العرب الذين ليس لهم كتاب منزل (آل عمران ٢٠) . ويسمّي أهل الكتاب على العموم « الذين يعلمون » تجاه المشركين الأميين الذين يسميهم « الذين لا يعلمون » (البقرة ١١٣ و ١١٩) . **فأولو العلم في اصطلاحه هم أهل الكتاب** . وهو يتحدى المشركين الكافرين به بإيمان أولي العلم ، أهل الكتاب : « قلْ : آمنوا بـه أو لا تؤمنوا : إن الذين أوتوا **العلم من قبله** ، اذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجّداً » (الاسراء ١٠٩) .

« **فالعلم** » في اصطلاح القرآن هـو « العلم » المنزل في الكتاب ؛ « **واولو**

العلم » هم أهل الكتاب ؛ وقد « أوتوا العلم مـن قبله » . فالعلم الذي يستشهد به القرآن موجود معهم من قبله .

ونلاحظ ايضاً ان القرآن يُرادف بين اهل الكتاب ، واولي العلم ، **وأهل الذكر** في انتسابه واستشهاده : « فأسألوا أهل الذكر ، إن كنتم لا تعملون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣ — ٤٤) . فالذكر الحكم، والعلم المنزل مترادفان.

والقرآن يقسم ايضاً « اولي العلم » من اهل الكتاب ، الى فريقين : **اليهود الظالمين** ، والنصارى **المقسطين** ، ويأمر بمعاملة مختلفة للفريقين : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي احسن — إلا الذين ظلموا منهم » (العنكبوت ٤٦). فاليهود ظالمون بكفرهم بالمسيح ثم بمحمد ، فتحق معاملتهم بغير الحسنى ؛ أما النصارى فلا يصح جدالهم الاّ بالحسنى لأنهم مقسطون في ايمانهم (الاسراء ١٠٩ — ١١٠ ؛ المائدة ٨٥ — ٨٦) .

والقرآن عندما يعدّد المخاطبين يميّز النصارى بصفة أولي العلم : « والذين سعوا في آياتنا معاجزين (اليهود) أولئك لهم عذاب من رجز أليم ! ويرى **الذين أوتوا العلم** (النصارى) الذي أنزل اليك من ربك هو الحق، ويهدي الى صراط العزيز الحميد؛ وقال الذين كفروا . . . أم به جنّة (المشركون) (سبأ ٥ — ٨).

وفي هذه الآية الاخرى يجمع المخاطبين كلهم ، ويميز النصارى بصفة « اولي العلم » فهم مختصون به من دون العالمين ، ومن دون جماعة محمد : « ليجعل ما يلقي الشيطان فتنــــة للذين في قلوبهم مرض (المنافقين) ؛ والقاسية قلوبهم (المشركين) ؛ وإن **الظالمين** (اليهود) لفي شقاق بعيد ؛ وليعلم الذين **أوتوا العلم** (النصارى) أنه الحق من ربك ، فيؤمنوا به ، فتخبت له قلوبهم ؛ وان الله لهاد **الذين آمنوا** (جماعة محمد) الى صراط مستقيم » (الحج ٥٣ — ٥٤) .

فصفة (أولي العلم المقسطين) ميزة النصارى في القرآن كلما استشهد بهم :

« قال الذين أوتوا العلم » (النحل ٢٧ ؛ الروم ٥٦) . وكفى بهم مع الله شهداء للدعوة القرآنية : « وقال الذين كفروا : لست مرسلًا ! قـلْ : كفى بالله شهيداً ومَن عنده **علم الكتاب** » (الرعو ٢٥). فعلم الكتاب هو «العلم» في أصطلاح القرآن ؛ وهذا العلم موجود عند « الذين يتلون الكتاب حق تلاوته » (البقرة ١٢١) أي النصارى ، في عرْف القرآن ، لأنهم « **الراسخون في العلم** منهم (من اهل الكتاب) ، والمؤمنون (جماعة محمد) يؤمنون بما أُنزِل اليك وما أُنزل من قبلك » (النساء ١٦١) .

« الراسخون في العلم » صفة ثانية « لأولي العلم قائمـاً بالقسط » ؛ وهم الذين يؤمنون أيضاً بالمحكم والمتشابه في آيات القرآن، بخلاف اليهود « الذين في قلوبهم زيغ ، فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ، **والراسخون في العلم** يقولون : آمنا به ، كلٌّ من عند ربنا ؛ ومـا يذكّـر الا أولوا الألباب : ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا » (وهم جماعة محمد) (آل عمران ٧ — ٨) . لذلك يجمع اولي العلم المقسطين ، الراسخين في العلم اي النصارى، في منزلة واحدة مع الذين آمنوا من العرب : « يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) .

فالنصارى هم العلمـاء الذين يشيد بهم في قوله : « انما يخشى الله من عباده العلماء » (فاطر ٢٨) ، لأن منهم « مَن هو قانت آناء الليل ساجداً قائماً يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه ! قلْ : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (الزمر ٩) . فالتعبيران « العلماء » ، الذين يعلمون » اصطلاح قرآني مخصوص ، لا يصح فهمه بحسب اللغـة كما تفعل العامة .

ففي اصطلاح القرآن ، ان اولي العلم على التخصيص ، اولي العلم المقسطين، الراسخين في العلم ، هم « النصارى » وحـدهم . وتعبير « العلم » اصطلاح يعني

« علم الكتـــاب » (الرعد ٤٥) بحسب تلاوة الكتاب حق تلاوته كما عند « النصرانية » .

بعد هذا **الاستطراد** ، نعود الى الشهادة القرآنية بالاسلام .

فالذين يشهدون مع الله وملائكته « ان الدين عند الله الاسلام » هم « أولوا العلم قائماً بالقسط » اي النصارى . والقرآن يشهد بالاسلام على شهادتهم : **فإسلام القرآن هو الاسلام «النصراني» .**

وقد شذّ عن هذا الاسلام القرآني ، « النصراني » ، اليهود من أهل الكتاب: « وما اختلف الذين اوتواالكتاب إلاّ من بعد ما جاءهم **العلم** بغيـاً بينهم » (آل عمران ١٩) . هـــذا تعميم يُراد به التخصيص ، كما تدل قرائن الآية كلها . فاليهود ليسوا مقسطين في « العلم » فهم « يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس : فبشرهم بعـــذاب أليم » (آل عمران ٢١) . وما اجمل هذه الشهادة القرآنية : ان اليهود على عهد النبي العربي كانوا يقتلون النصارى « الذين يأمرون بالقسط » ، بسبب شهادتهم لصحة الدعوة القرآنية .

فإسلام القرآن هو اسلام النصارى ، « أولي العلم قائماً بالقسط » . فهم مع الله وملائكته يشهدون « ان الدين عند الله الاسلام ». والقرآن يشهد بشهادتهم.

●

٢ – القرآن و«النصارى» أمة واحدة

إن الاسلام هو صفة النصارى منذ الحواريين صحابة المسيح : « فلما احس عيسى منهم الكفر (من اليهود) ، قال : مَن أنصاري الى الله؟ قال الحواريون:

نحن انصار الله ، آمنا بالله ، **واشهد بأنا مسلمون** . ربنا آمنا بما انزلت (في الانجيل) واتّبعنا الرسول (عيسى) فاكتبنا مع الشاهدين» (آل عمران ٥٣) . كأن القرآن يعرّب هنا « نصارى » بأنصار . وما يقوله الحواريون للمسيح ، يقوله النصارى اتباعهم لمحمد : « ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة ٨٦) . فما بين الحواريين وأتباعهم ، ومحمد واتباعه ايمان واحد ، واسلام واحد ، وامّة واحدة .

٢) ان أهل الانجيل ، وأهل القرآن ، هم في عرْف القرآن نفسه ، « أمة واحدة » من دون العالمين ، سواء من اهل الكتاب او من الاميّين ، لايمانهم بالمسيح وأمه « آية للعالمين » . فهو يختم ذكر الانبياء بقوله : « والتي احصنت فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين . انّ هذه امتكم **أمة واحدة** وأنا ربكم فاعبدونِ » (الانبياء ٩١ ــ ٩٢) . فليس محمد و « المتقون » معه من العرب أمة واحدة مع أهل الكتاب على الاطلاق ؛ انما هم أمة واحدة مع النصارى المؤمنين بالمسيح وامه آية للعالمين .

ويختم ايضاً ذكر الانبياء ، من نوح الى ابن مريم بقوله : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية ؛ وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين . . . وان هذه امتكم امة واحدة ، وأنا ربكم فاتقونِ » (المؤمنون ٥١ ــ ٥٣) . فالايمان بالله ، والايمان بالمسيح وامه آية للعالمين ، هو الذي يجعل أهل القرآن وأهل الانجيل « امة واحدة » في عرْف القرآن ، وعلى اسلام واحد .

٣) وهذا الاسلام « النصراني » هو الاسلام الذي **أُمِر محمد بان ينضم الى اهله**: « وأُمرتُ ان اكون من المسلمين » (النمل ٩٠) . **فالمسلمون موجودون قبل محمد ، هو يؤمر بان ينضم اليهم** . إن محمداً في هدايته ينضم الى «النصارى».

« فالنصارى » هم المسلمون الاوائل حقاً ، والقرآن نفسه يميّزهم باسم « المسلمين » عن جماعة محمد ، « الذين آمنوا » من العرب : « قلْ : نزّله روح

القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٢) . انه يميز بين فريقين ، ولا يرادف ، لاختلاف الهدف بينهما : القرآن تثبيت لجماعة محمد ، و « بشرى للمسلمين » . نلاحظ دقـــة التعبير في قوله : « هدى وبشرى للمسلمين». فالهدى كناية عن التوراة : «ولقد آتينا موسى الهدى» (المؤمن ٥٣) ؛ والبشرى ترجمة حرفية لكلمة الانجيل . فالقرآن العربي هـو توراة وانجيل للمسلمين النصارى .

إنه « بشرى للمسلمين » ، او « بُشرى للمحسنين » (الاحقاف ١٢) ؛ كما انه « هدى وبشرى للمؤمنين » من العرب (البقرة ٩٧ : النحل ٢) ، أو « رحمة وبشرى للمؤمنين » المتقين من العرب (النحل ٨٩) .

٤) وبسبب هذه الوحدة بين القرآن والنصارى ، فالقرآن يحيل أهله الى أهل الذكر المقسطين ، النصارى من اهل الكتاب ، في امـــر الدين والنبوة والتنزيل : « فاسألوا أهـــل الذكر ، ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣ – ٤٤) .

٥) والقرآن يحيل النبي العربي نفسه ، حين شكه من صحة التنزيل الذي يبلغ اليه ، الى « الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » و « يتلونه حق تلاوته » (البقرة ١٢١) اي النصارى ، أولي العلم المقسطين :

« فإن كنت في شك مماً أنزلنا اليك ، فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك : لقد جاءك الحق من ربك، فلا تكونَنَّ من الممترين» (يونس٩٣–٩٤).

فعلى محمد ، حين الشك من أمره أن يطمئن لدى « الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » ، أولي العلم المقسطين الذين يشهدون للاسلام مع الله وملائكته (آل عمران ١٨) . فهم « الراسخون في العلم » لا اليهود «الذين في قلوبهم زيغ» ويبتغون الفتنة (آل عمران ٧) .

تلك الامثولة المزدوجة للنبي وآله معـــاً بالرجوع الى النصارى ، أولي العلم المقسطين ، هي تلقين خالد في الحوار بين الاسلام والمسيحية : اذا تشابه علينا شيء في مقابلة القرآن بالكتاب والانجيل ، فالقرآن يأمر أهله ، كما يأمر نبيه ، بسؤال أهل الكتاب ، « الراسخين في العلم » ، أئمة النصارى . هـذا صراط مستقيم في الحوار لا يجوز أن نجهله أو نتجاهله .

●

٣ ـ الدعوة القرآنية « تأْييد » للدعوة النصرانية بين العرب

١) يكشف لنا القرآن عن سر دعوته في قوله : « يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من انصاري الى الله ؟ قـال الحواريون : نحن انصار الله . **فآمنت طائفة من بني اسرائيل** ؛ وكفرت طائفة : فأيدينا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) .

فالقرآن يقسم بني اسرائيل ، تجاه دعوة المسيح ، الى طائفتين : طائفة كفرت بالمسيح ، وهم اليهود ؛ وطائفة من بني اسرائيل آمنت بالمسيح ، وهم النصارى ، انصار الله . **والقرآن يعلن انه تأييد للنصارى من بني اسرائيل على عدوهم اليهود** ، حتى الظهور عليهم في جزيرة العرب .

٢) يؤيد ذلك قوله : « **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق** ، وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨) . فهم الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح ، ويؤيد القرآن دعوتها (الصف ١٤) . فهو يخاطب جميع الناس ويدعوهم بدعوة هذه الأمة الهادية العادلة من قوم موسى، الطائفة منهم المؤمنة بالمسيح : « قلْ : يا ايها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً . . . فآمنوا بالله ورسوله ، النبي الأمي الذي **يؤمن بالله وكلمته** ، واتبعوه لعلكم تهتدون » (الاعراف ١٥٧) .

هناك قراءتان للفظ : « الله وكلمته » أو « كلماته » . والقراءة الصحيحة هي « كلمته » لأن ايمان القرآن « بكلماته » بالجمع وعلى الاطلاق لا يحدّد ايمانه ، بل يذيبه في اديان الكتاب جميعاً . أمّا قراءة « كلمته » بالمفرد فتحدد ايمان القرآن بالله والمسيح ، كلمة الله (النساء ١٧٠) . وقد نقل الطبري والزمخشري والبيضاوي عن مجاهد أنه « أراد عيسى ، ابن مريم » . يؤيد ذلك الآية التالية التي تذكر امة من قوم موسى « يهدون بالحق وبه يعدلون » (١٥٨) . **فالحق الذي فيه الهدى والعدل هو الايمان « بالله وكلمته »** على مثال الامة الهادية العادلة من قوم موسى ، الطائفة من بني اسرائيل التى آمنت بالمسيح .

فالقرآن يدعو الى الايمان بالله والمسيح ، كلمة الله ، بدعوة « النصرانية» ذاتها . فإيمانه هو ايمانها . والدعوة به تأييد لهذه « النصرانية » .

هذا هو الهدى الذي يجب على النبي العربي أن يقتدي به في دعوته : «اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم[1] والنبوة — فإن يكفر بها هؤلاء ، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين — أولئك الذين هدى الله ، **فبهداهم اقتدهْ»** (الانعام ٨٩ — ٩٠) .

فسره الزمخشري : « (هولاء) يعني أهل مكة . (قوماً) هم الانبياء المذكورون ومَن تابعهم . . . (اولئك) الثانية بدل من الاولى . **فاختص هداهم بالاقتداء ، ولا تقتدِ الا بهم** . . . والمراد (بهداهم) طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده » . فلا يدعو القرآن محمداً الى الاقتداء بطريقة اليهود في الايمان والاسلام ، لأنهم لُعنوا على لسان داود وعيسى ابن مريم لكفرهم بالمسيح (المائدة ٨١) ، بل الى الاقتداء بطريقة النصارى في الايمان « بالله وكلمته » (الاعراف ١٥٧) . فهم « اولو العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله

---

(١) ينقل القرآن التعبير العبري بحرفه : « الحكم » اي الحكمة . وبهذا التعبير الثلاثي « الكتاب والحكم والنبوة » كان أهل الكتاب يقسمونه الى ثلاثة اقسام .

وملائكته «آن الدين عند الله الاسلام» . وهذا الاسلام هـــو الايمان «بالله وكلمته» ، الاسلام القرآني «النصراني» .

فالقرآن «يقتدي بهدى» النصرانية ، ويؤيد دعوتها بين العرب .

٤) **هذه «النصرانية» تقيم التوراة والانجيل معاً** ، لا التوراة من دون الانجيل، ولا الانجيل من دون التوراة . والقرآن يدعو بدعوتها : «قلْ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليكم مـــن ربكم . وليزيدَنّ كثيراً منهم (اليهود) ما أُنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس (تحزن) على القوم الكافرين» (المائدة ٧١) . سيزداد اليهود طغياناً وكفراً على القرآن ومحمد لدعوتهما بدعوة عدوهم ، «النصرانية»

٥) فالقرآن يشرع للعرب دين ابراهيم وموسى وعيسى معـــاً ديناً واحداً، على مثال «النصرانية» التي تقيم التوراة والانجيل معاً :

«شرع لكم من الدين ما اوصى به نوحاً – والذي أوحينا اليك ، ومـا وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : **أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**» (الشورى ١٣) الى دين ابراهيم ، ودين موسى ، ودين عيسى .

فالقرآن يركّز دعوته على وحدة الدين بين ابراهيم وموسى وعيسى ، وعلى عدم التفريق فيه : «**لا نفرّق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون**» (البقرة ١٣٦ : آل عمران ٨٥) . فالاسلام الحق هو دين موسى وعيسى معاً ؛ هـــو اقامة التوراة والانجيل معا ؛ هذه هي دعوة القرآن و «النصارى» .

٦) لقد أمر محمد أن «يقتدي بهداهم» في الدعوة القرآنية (الانعام ٩٠) لأنهم «يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨) ، فهم «الأئمة الذين

يهدون بأمر الله الى هدى « الكتاب كله » (آل عمران ١١٩) ، فلا يكن محمد في مرية من لقائه :

« ولقد آتينا موسى الكتاب : **فلا تكن في مرية من لقائه** . وجعلناه هدى لبني اسرائيل ؛ **وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا** ، لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون . إن ربك يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » (آلم السجدة ٢٣ - ٢٤) .

فالأئمة الذين يهدون بأمر الله الى هدى الكتاب كله هم « من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » . فهم أئمة النصارى من بني اسرائيل ، الذين يبلّغون محمداً الكتاب : « فلا تكن في مرية من لقائه » ؛ « فبهدا هم اقتده » (الانعام ٩٠) ؛ كما تؤمن « بالله وكلمته » (الاعراف ١٥٧) . هؤلاء هم النصارى « اولوا العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٩) . فما على محمد ، إلا ان يشهد بشهادتهم ، ويدعو بدعوتهم .

فالدعوة القرآنية تأييد للدعوة « النصرانية » بين العرب .

●

٤ - فالقول الفصل : ان اسلام القرآن هو الاسلامي « النصراني »

هذا القول الفصل هو قول **موضوعي** ، بمعزل عن قضية النبوة والوحي . ولنذكرْ بالمناسبة قول المسيح : « لا تظنوا اني اتيت لأنسخ التوراة او النبيّين إني ما أتيت لانسخ ، بل لأتمّم » (متى ٥ : ١٧) . فالوحدة في النبوة والكتاب والايمان والاسلام شعار القرآن .

ونقدر أن نوجز وحدة الاسلام القرآني والاسلام « النصراني » بهذه الآيات الاربع ، كما فصلناها :

١) «شهد الله ان لا إله إلا هو ، والملائكة **واولوا العلم قائماً بالقسط** . . . ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) . فالقرآن يشهد للاسلام بشهادة «النصارى» أولي العلم المقسطين ، الراسخين في العلم ، المحسنين في الايمان .

٢) وشهادتهم تكفي محمداً في دعوته : « ويقـــول الذين كفروا : لست مرسلًا ! قـــلْ : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، **ومَن عنده «علم الكتاب »** (الرعد ٤٥) .

٣) لذلـك فالحوار بين أهل القرآن واهل الانجيل يجب ان يكون وديّاً وأخويًّا ، بالحسنى المطلوبة ، لان الاله واحـد ، والتنزيل واحد ، والاسلام واحد فيما بينهم : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي احسن — إلا الذين ظلموا منهم — وقولوا : آمنا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم ، والهنـــا والهكم واحد ، **ونحن له مسلمون** » (العنكبوت ٤٦) . فأهل الانجيل واهل القرآن هم جميعاً « المسلمون » .

٤) فالحوار بين الاسلام والمسيحية تأييد بعضهما لبعض ، كما جاءت الدعوة القرآنية تأييداً للدعوة النصرانية : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة : **فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين** » (الصف ١٤) .

فاسلام القرآن هو الاسلام « النصراني » بنص القرآن القاطع (آل عمران ٨ — ١٩) ، وشهادته المتواترة المؤتلفة .

وهذه هي القاعدة الثانية للحوار الصحيح بين المسيحية والاسلام .



الفصل الثاني

الانجيل في القرآن

بحث اول : قيمة الكتاب والانجيل في نظر القرآن

بحث ثانٍ : هل من تحريف في الكتاب والانجيل ؟

بحث ثالث : صحة الكتاب والانجيل عقيدة في القرآن

بحث رابع : هل نسخ القرآن التوراة والانجيل

بحث خامس : الانجيل الواحد والانجيل الرُباعي



توطئة

اتهامات خطيرة

للانجيل والكتاب كله ، في القرآن ، منزلة القرآن نفسه .

ففي آخر سورة من سوره ، وفي آخر آية تقريباً من آياته ، يجعل القرآن التوراة والانجيل والقرآن في منزلة واحدة : « إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيَقتلُون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن » (التوبة ١١١) .

ودرس « الانجيل في القرآن[1] » يطلب كتاباً كبيراً لنوفيه بعض حقه . ونقتصر في هذه الابحاث على المواضيع التي تهم الحوار بين المسيحية والاسلام .

قد يُسلم أهل القرآن بأن للانجيل والكتاب كله ، في عرْف القرآن ، منزلة القرآن نفسه . لكنهم لأسباب معروفة ينكرون ان القرآن يشهد للكتاب والانجيل في وضعهما ، في عهد محمد ؛ وانما هو يشهد للتوراة والانجيل كما نزلا على موسى وعيسى .

والقرآن ، على حد قولهم ، يشهد بتحريف الكتاب والانجيل . لذلك مع تطور الوحي نسخ القرآن التوراة والانجيل . والقرآن يذكر الانجيل بالمفرد المُعْلَم ، والمسيحيون لديهم أربعة أناجيل ، فلا يصح ان تكون كلها الانجيل الذي نزل على عيسى ابن مريم .

---

(١) راجع كتابنا « الانجيل في القرآن » من سلسلة : دروس قرآنية .

إنها **اتهامات خطيرة.** ويزيد في خطرها أنها تستند في نظر اصحابها الى القرآن نفسه . وهذا ما يحول بينهم وبين الاستشهاد بالانجيل الرُباعي كلما قام حوار بين المسلمين والمسيحيين .

فهل في القرآن أساس لتلك الاتهامات ؟

•

بحث اول

قيمة الكتاب والانجيل في نظر القرآن

قلنا ونقول : للانجيل والكتاب كله ، في نظر القرآن ، منزلة القرآن نفسه ؛ وهذه عقيدة راسخة متواترة في السور كلها .

١ – للتوراة والانجيل والقرآن ، أسماء واحدة

فالثلاثة هي الكتاب المنزل : « بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، **وأنزل معهم الكتاب بالحق** » (البقرة ٢١٣) . والقرآن نفسه وحي من هذا الكتاب الإمام ، بدون تبديل : « واتلُ ما أوحي اليك من كتاب ربك : لا مبدّل لكلماته » (الكهف ٢٧) . لذلك فالقرآن « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) ، وتصديق له يهيمن على حراسته : « وأنزلنا اليك الكتاب ، مصدّقا لما بين يديه (قبله) من الكتاب ، ومهيمناً عليه » (المائدة ٥١) . فعلى المسلمين ان يؤمنوا بالكتاب والقرآن ايماناً واحداً : « يا ايها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ،

والكتاب الذي نزّل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل» (النساء ١٣٦).
فالكتاب المنزل في الثلاثة واحد، وله فيها جميعاً قيمة واحدة.

والثلاثة هي جميعاً الذكر الحكيم : «هذا ذكر من معي وذكر مَـــن قبلي» (الانبياء ٢٣) . والذكر هو اصلاً عند أهله : «فاسألوا أهل الذكر، إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر» (النحل ٤٣ – ٤٤) . فما القرآن سوى بيان للتنزيل في الكتاب : «وأنزلنا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزّل اليهم» (النحل ٤٤) فالذكر واحد في الثلاثة .

والثلاثة هي الفرقان : «نزّل عليك الكتاب بالحق، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان» (آل عمران ٣٠١) : فالتوراة والانجيل والقرآن هي كلها الفرقان. وما القرآن نفسه سوى «بينات من الهدى والفرقان» الذي يفصل الهدى (البقرة ١٨٥) . لذلك «تبارك الذي نزّل الفرقان عـــلى عبـــده» (الفرقان ١) كما «آتينا موسى وهارون الفرقان» (الانبياء ٤٨) .
فالكتب الثلاثة هي الفرقان .

والثلاثة هي القرآن ، قبل أن يصير اسماً خاصاً بالكتاب العربي . فمنذ مطلع الدعوة، ولمّا ينزل من القرآن العربي سوى آيات معدودات، يُؤمر محمد : «قم الليل إلا قليلاً . . . ورتّل القرآن ترتيلاً» (المزّمل) فمن الواضح انه قرآن الكتاب . هذا ما يتضح من قوله : «وأُمرت ان اكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن» (النمل ٩٠ – ٩١) اي قرآن الكتاب الذي يتلوه مع المسلمين من قبله الذين أُمر بأن ينضم اليهم ويكون «من المسلمين» . وفي مطالع السور يُرادف بين «تلك آيات الكتاب» (الشعراء ١ القصص ١ يونس ١ نعمان ١) ، وبين «تلك آيات القرآن» (النمل ١). فالقرآن اسم للكتاب كله مثل القرآن العربي :

« تلك آيات القرآن وكتاب مبين » (طس ١) وهذا الترادف يجعل للثلاثة قيمة واحدة .

•

٢ ــ فالكتاب المنزل واحد في التوراة والانجيل والقرآن

« كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (البقرة ٢١٣) . فكل الانبياء يُبعثون بالكتاب الواحد ، ولو تنوّعت لغته . لذلك فالقرآن وحي من الكتاب نفسه ، دون تبديل : « واتلُ ما أوحي اليك من كتاب ربك : لا مبدّل لكلماته » (الكهف ٢٧) .

فالتوراة والانجيل والقرآن هي كلها الكتاب الواحد المنزل : فلها جميعاً منزلة واحدة .

•

٣ ــ تنزيل الكتاب ، في التوراة والانجيل والقرآن ، عقيدة واحدة .

« آلم . الله ، لا إله إلا هو ، الحي القيوم ، نزّل عليك الكتاب بالحق ، مصدّقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان » (آل عمران ١ ــ ٣) . فالتنزيل واحد في التوراة والانجيل والقرآن ، من الحي القيوم نفسه .

والقرآن « تنزيل رب العالمين . . . وإنه لفي زبر الأولين » (الشعراء ١٩٣ ــ

١٩٥) فلا يميّزه عنها سوى اللسان العربي وحده : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ؛ وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢) .

•

٤ – أصل الكتاب المنزل في التوراة والانجيل والقرآن واحد

أصل الكتب المنزلة كلها هو « اللوح المحفوظ » (البروج ٢٢) . ويسميه **« أم الكتاب »** (الزخرف ٤ ؛ الرعد ٤١) اي « أصله الذي لا يتغير منه شيء ؛ وهو ما كتبه في الأزل » (الجلالان) ؛ « أصل الكتب ، وهو اللوح المحفوظ » (البيضاوي) .

فبما ان أصل التوراة والانجيل والقرآن واحد ؛ فهي كلها واحدة، ولها قيمة واحدة ، في نظر القرآن نفسه .

•

٥ – التوراة والانجيل والقرآن تعلم جميعاً ديناً واحداً

هذا ما وصى به الله زعماء الأنبياء والرسل ، نوح وابراهيم وعيسى وموسى ومحمد : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً – والذي أوحينا اليك – وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ، ولا تتفرّقوا فيه» (الشورى ١٣) . لذلك « لا نفرّق بين احد منهم، ونحن له مسلمون » .

•

٦ – وهذا الدين الواحد في الثلاثة هو التوحيد الكتابي

فالتوحيد المنزل هو الايمان بالله واليوم الآخر ، وهذا ما تنادي به الكتب

الثلاثة. لذلك: « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين[1]: مَن آمن بالله واليوم الآخر، وعمل صالحاً، فلهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم، ولا هم يحزنون » (البقرة ٦٢؛ قابل الحج ١٧ و ٦٧؛ المائدة ٦٩).

وبوحدة التوحيد والدين في الكتب الثلاثة، يتحدّى المشركين: « قلْ: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتّبعه، إن كنتم صادقين » (القصص ٤٩).

وهذا التوحيد الكتابي المنزل هو واحد في الكتب الثلاثة: « هذا ذكرُ مَن معي، وذكر مَن قبلي: وما أرسلنا من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله الا انا فاعبدونِ » (الانبياء ٢٤ — ٢٥). فسره الجلالان: « ذكر من معي اي أمتي، وهو القرآن؛ وذكر من قبلي اي من الأمم، وهو التوراة والانجيل وغيرهما من كتب الله؛ فليس في واحد منها أن مع الله الهاً آخر».

فالتوحيد الكتابي واحد في الثلاثة؛ فلها جميعها منزلة واحدة.

•

٧ – وهذا التوحيد الكتابي المنزل هو الاسلام

ان « الاسلام » موجود اسماً وديناً قبل محمد والقرآن، وذلك بنص القرآن القاطع: « هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا » (الحج ٧٨): (من قبل) في الكتاب كله؛ (وفي هذا) القرآن، كما أجمع على تفسيره الطبري والزمخشري والبيضاوي والجلالان.

---

(١) الصابئون هم جماعة يوحنا المعمدان، الموجودون الى اليوم في شط العرب.

لذلك يؤمر محمد في بعثته ان ينضم الى « المسلمين » الموجودين من قبله : «وأُمرتُ ان أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن » معهم (النمل ٩٠ — ٩١).

وجميع الانبياء علّموا اسلام الكتاب ، فلا دينَ غيره ، لأنه دين الفطرة ، ودين الكتاب : « أفغير الله أبتغي حكماً ، وله أسلم مَن في السماوات والارض طوعاً وكرهاً ، واليه يُرجعون . قلْ : آمنا بالله ، وما أُنزل الينا ، وما أُنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ؛ وما أُوتي موسى وعيسى والنبيّون من ربهم ، لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون : ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٣ — ٨٥) . ان اسلام القرآن هو اسلام الكتاب نفسه . والاسلام الذي لا دين غيره هو اسلام الكتاب ، من ابراهيم الى موسى الى عيسى ، قبل اسلام القرآن ؛ وما اسلام القرآن إلا اسلام الكتاب الذي شرعه الله للعرب (الشورى ١٣) .

لكن هذا الاسلام هو على التخصيص اسلام النصارى « أولي العلم قائماً بالقسط » الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) . فالاسلام حصراً هو الاسلام « النصراني » قبل ان يكون الاسلام القرآني . هذا ما أعلنه الحواريون ، صحابة المسيح ، مراراً : « آمنا بالله، واشهد بأنا مسلمون » (آل عمران ٥٥ الصف ١٤) ؛ وهذا ما اعلنه النصارى لمحمد حين تلا عليهم اسلام القرآن : «إنّا كنّا من قبله مسلمين» (القصص ٥٣). وكما شهد الحواريون للمسيح بالاسلام : « ربنا آمنا . . . فاكتبنا مع الشاهدين » (آل عمران ٥٣) ؛ يشهد القرآن بالحرف الواحد للنصارى بالاسلام : « ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة ٨٦) .

وميزة هذا الاسلام « النصراني » القرآني هو **التوحيد بين الرسل والكتب المنزلة** : « لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦ آل عمران

٨٤) . وبما ان هذا الاسلام واحد في الكتب المنزلة كلها ، فالايمان « بكتب الله ورسله » واحد ، وهو ركن مــــن أركان دين الله : « ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ؛ ولكن البِر مَن آمـن بالله واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب والنبيين . . . » (البقرة ١٧٧) . فآمنوا بالله « وكتبه ورسله » (النساء ١٣٦) ، « فآمنوا بالله ورسله » (آل عمران ١٧٩ النساء ١٥١ و ١٧٠ الحديد ١٩ و ٢١) . فقد « آمن الرسول بما أُنزِل اليه » والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله: لا نفرّق بين أحد من رسله» (البقرة ٢٨٥).

هذا هو اساس الحوار الذي يفرضه القرآن على أمته : فلا ينسَ أهل القرآن هذا التلقين في حوارهم مع اهل الانجيل .

•

٨ — الانجيل هو كلام الله على لسان « كلمة الله »

إن الله يستجمع الوحي كله في السيد المسيح : « ويعلمه الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل » (آل عمران ٤٨) . في الترادف تظهر « الحكمة » مرادفاً للانجيل ؛ والمسيح نفسه يعلن ، « قال : قد جئتكم بالحكمة» (الزخرف ٦٣). وهذا الجمع المعجز للوحي في المسيح عقيــــدة راسخة في القرآن ، فهو يردّد : « واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » (المائدة ١١٣) .

وميزة محمد والقرآن إيمانهما بالمسيح أنه « كلمة الله » : « إذ قـالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم » (آل عمران ٤٥) . وهذه هـــي البشرى نفسها للمعمدان (آل عمران ٣٩) . فتعريف القرآن بالمسيح ، عيسى ، ابن مريم ، رسول الله ، أنه « كلمته القاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) . وهذا التعريف ، مهما اختلف التأويل ، فإنــه

يرفع المسيح من عالم البشر، الى عالم الروح، عالم الملاك والله. فكلام الله على لسان «كلمة الله» هو ختام الوحي والنبوة؛ لأنه ليس من رسول عند الله مثل الذي هو «كلمته وروح منه». قال الرازي: «سمّي كلمة الله: **كأنه صار عين كلمة الله**... أو لأنه **أبان كلمة الله أفضل بيان**» (آل عمران ٤٥).

وميزة محمد في دعوته انه «النبي الأمي **الذي يؤمن بالله وكلمته**» (الاعراف ١٥٧). قرأنا «كلمته» بدل «كلماته» على قراءة أصح تفرضها القرائن.

لذلك جاء القرآن «**تصديقاً للكتاب**» (البقرة ٤١ و ٨٩ و ٩١ و ٩٧ و ١٠١؛ آل عمران ٣؛ النساء ٤٦؛ عائدة ٤٧؛ الأنعام ٩٢؛ يونس ٣٧؛ يوسف ١١١؛ فاطر ٣١؛ الاحقاف ١٢ و ٣٠).

و «**تفصيل الكتاب**» (يونس ٣٧؛ الانعام ١١٤).

بل **تعريب الكتاب**: فهو «تنزيل من الرحمان الرحيم: كتاب فُصّلت آياته قرآناً عربياً» (فصلت ١)؛ «كتاب أُحكمت آياته، ثم فُصلت من لدن خبير حكيم» (هود ١). لذلك «والكتاب المبين: إنا جعلنا، قرآناً عربياً» (الزخرف ١): «تلك آيات الكتاب المبين: إنا أنزلناه قرآناً عربياً» (يوسف ١). فتفصيل الكتاب هو في لغة القرآن تعريبه مفضلاً: «ولولا جعلناه قرآناً أعجمياً لقاموا: لولا فُصلت آياته» (فصلت ٤٤).

فالقرآن ينتسب جملة وتفصيلاً الى **الكتاب الامام**: «ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة» (هود ١٧؛ الاحقاف ١٢)؛ وخصوصاً الى **الكتاب المنير**: «فإن كذبوك فقد كُذّب رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر والكتاب المنير» (آل عمران ١٨٤). فلا ينتسب الى كتاب سماوي عند الله، بل الى كتاب الله على الارض: «قل: فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين» (آل عمران ٩٣)؛ والقرآن «تنزيل رب العالمين» لأنه «في زبر الأولين» (الشعراء ١٩٣ —

١٩٥) . وهو يفخر انه « يؤمن بالله وكلمته » (الاعراف ١٥٧) لأن الانجيل كلام الله على لسان كلمة الله : ففي المسيح توحد كلام الله وكلمة الله ؛ فصار كلمة الله كلام الله عينه الذاتي والمنزل .

•

٩ ـ الانجيل « هدى وموعظة » للمسلمين ، كما هو للمسيحيين

هذا هـو موجز النبوة والكتاب : « وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم ، مصدّقا لما بين يديه (قبله) ؛ وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، **وهدى وموعظة للمتقين** » (المائدة ٤٩) .

« المتقون » ، في اصطلاح الكتاب والقرآن ، هم المؤمنون مـــن الاميّين بالكتاب المنزل ، كما في قوله : « ذلـك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . . . الذين يؤمنون بما أنزل اليك ، وما أنزل من قبلك » (البقرة ١ ـــ ٤) ؛ « هـذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » (آل عمران ١٣٨) .

فالقرآن « هدى وموعظة للمتقين » من العرب ، كما أن الانجيل « هـــدى وموعظة للمتقين » منهم (المائدة ٤٩) .

والقرآن هو تعليم « الكتاب والحكمة » اللذين استجمعهما المسيح ، للعرب : « كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم يتلو عليكم آياتنـــا ويزكيكم ، ويعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (البقرة ١٥١) ، كما طلب ابراهيم واسماعيل لهم من ربهم (البقرة ١٢٣) . وبتعليم القرآن العرب الكتاب والحكمة ، التوراة والانجيل ، أنقذهم من ضلال مبين : « لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولًا من انفسهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ؛ وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (آل عمران ١٦٤ قابل الجمعـة

٢) . فالقرآن هو تعليم « الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل » كما نزلت على المسيح (آل عمران ٤٨ ؛ المائدة ١١٣) .

•

١٠ – فالمسيح ، في عرْف القرآن نفسه ، خاتمة النبوة والكتاب

أولاً : لأن المسيح وحده « كلمة الله » كأن كلام الله تجسد فيه ، فصار « كلمة الله » عين كلام الله . فالمسيح هو « كلمة الله » الذاتية والمنزلة جميعاً .

ثانياً : لأن القرآن في تعاقب الانبياء **يجعل المسيح خاتمة الرسل** : « ولقد آتينا موسى الكتاب ؛ وقفينا من بعده بالرسل ؛ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧) . وميزة الختام معه تأييد الروح القدس له على الدوام في سيرته ودعوته ، لا في حال الوحي فقط كما عند سائر الأنبياء والرسل. فهو «لم يفارقه ساعة» «يسير معه حيث سار» . وفي المفاضلة بين الرسل يجعل تأييد المسيح بالمعجزات وبروح القدس (البقرة ٢٥٣) سبب فضله على غيره : « وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحات ، ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره » (البيضاوي) . فهذان التفضيل بالمعجزات ، والتخصيص بتأييد روح القدس برهان الختام في المسيح .

ولا نصّ في القرآن يقول « بنقفية » رسول على المسيح .

يقولون : ان القرآن يصف محمداً بأنه « **خاتَم النبيين** » (الاحزاب ٤٠) . لكن نلاحظ دقة التعبير : فهو يقول « خاتَم » لا « خاتمة » . والخاتَم هو ختم الصدق والتصديق . وهذا هو المعنى المتواتر في القرآن بأنه «تصديق الكتاب» ، وفي محمد بأنه يصدّق الكتاب في تفصيله للعرب (البقرة ٤١ و ٩٨ و ٩١ و ٧٧

و ١٠١ ؛ آل عمران ٣ ؛ النساء ٤٦ ؛ عائدة ٤٧ ؛ الانعام ٩٢ ؛ يونس ٣٧ ؛ يوسف ١١١ ؛ فاطر ٣١ ؛ الاحقاف ١٢ و ٣٠) .

وعلى كل حال ، فالمسيح هو ختم الأنبياء والأولياء في اليوم الآخر : « وانه لعلم للساعة » (الزخرف ٦١) . فهو « عَلَم » يشير الى دنوها ؛ وهو « علم » لها تعرف به . ومن يكون كذلك حين الساعة الأخيرة من تاريخ البشرية فهـــو بالحقيقة خاتمة النبوة والكتاب .

•

تلك هي قيمة الكتاب عامة ، والانجيل خاصة ، في نظر القرآن . وهو في آخـــر سورة، وفي آخر آية منه تقريباً، يضع الكتب الثلاثة في منزلة واحدة ، « وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن » (التوبة ١١١) . لكنه ينتمي الى «الأمة الواحدة» التي تؤمن بالمسيح وأمه «آية للعالمين». وهي «الأمة الوسط» التي تؤمن بالمسيح انه «كلمته القاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) ، وأنه «من المقربين» (آل عمران ٤٥) اي « الملائكـــة المقربين » (النساء ١٧١) . فالمسيح من عالم الروح أكثر مماً هو من عالم البشر . والانجيل ، كلام الله ، على لسان « كلمة الله» له في القرآن القيمة الأولى على « كتب الله» .

تلك هي القاعدة الثالثة في الحوار الاسلامي المسيحي .



بحث ثان

هل من تحريف في الكتاب والانجيل ؟

(القاعدة الرابعة في الحوار المسيحي الاسلامي)

نفتتح هذا البحث، كما سنختتمه ، بعد استقراء القرآن، بهذا التحدي الصارخ : إننا نتحدّى أيًّا كان أن يرينا في القرآن آية واحدة تتهم النصارى بالتحريف أو تلقي على الانجيل شبهة التحريف ، وذلك تصريحاً او تلميحاً !

قد يذكر القرآن لليهود، ولليهود وحدهم «تحريفاً» في الكتاب . وسندرس هنا معناه ومداه . لكنه لا ينسب للنصارى والانجيل أية شبهة من تحريف .

وشبهة التحريف عند اليهود تأتي في المدينة ، ولا ذكر لها في القرآن المكي: فهي من زمن الصراع بين محمد واليهود في العهد المدني الأول ، لأن تصفية اليهود من المدينة كانت قد تمّت في مطلع العهد الثاني بالمدينة .

وسنرى ان « التحريف » المذكور إنما هو تأويل فاسد لآية « النبي الأمي » أو نعت النبي في التوراة ، ولآية جلد الزاني بدل رجمه .

تأخذ شبهة التحريف في القرآن ثلاثة أشكال : كتمان بعض الكتاب عن الناس ، واللّي بالألسن طعناً في الدين ، وتحريف الكلِم عن مواضعه .

●

اولا : تهمة كتمان بعض الكتاب عن الناس

السورة الأولى من المدينة هي البقرة . وفيها صور للصراع الذي نشب بين محمد واليهود على زعامة المدينة . وبالتالي على صحة نبوة محمد ، التي ظلّ اليهود يكفرون بها طيلة عهد الدعوة القرآنية . وفيها يتهم اليهود بكتمان الحق الذي في التوراة :

١ – « يا بني اسرائيل . . . آمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به ! ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلًا ، وإياي فاتقونِ ! ولا تلبسوا الحق بالباطل ؛ وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . . . أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » ؟ ! (البقرة ٤٠ – ٤٤)

فالقرآن يردع اليهود عن الكفر به قبل الجميع؛ مع انه « مصدق لما معهم » : فالقرآن اذن يصدّق ما هو مع بني اسرائيل من الكتاب ، وهذا التصديق شاهد أنه لا تحريف عندهم .

ويقول : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلًا » : فآيات الكتاب الذي مع اليهود لم تزل آيات الله ، «آياتي» ، في زمن محمد .

ويقول : « وأنتم تتلون الكتاب » : فالكتاب الذي معهم لم يزل كتاب الله ؛ ولو دخله تحريف لَمَا نوّه بتلاوته شاهداً عليهم .

ثم يتهمهم « بتلبيس الحق الباطل » اي كما قال الجلالان : « لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم بالباطل الذي تفترونه » . **فتلبيس الحق بالباطل** هو أدق تحديد للتأويل الباطل . فالقرآن اذن يشهد هنا ان بني اسرائيل يتلون في الكتاب الحق المنزل، وان فسروه على هواهم: فالكتاب الذي مع بني اسرائيل هو الحق ، في زمن محمد .

ثم يقرن القرآن تلبيس الحق بالباطل، بكتمان الحق: والاثنان يفسر بعضها بعضاً. يقول : «ولا تكتموا الحق وانتم تعلمون». اي لا تكتموا الحق الذي في الكتاب. فما هو هذا الحق الذي يكتمونه؟ قال الجلالان : «لا تكتموا نعت محمد وانتم تعلمون أنه حق». فقد كان محمد يستشهد بالتوراة على صحة نبوته، فينكر اليهود عليه ذلك. فالخلاف في التأويل، لا في كتمان النص أو تحريفه.

٢ - «أم تقولون : ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً - أو نصارى - قلْ : أأنتم أعلم ام الله؟ ومن اظلم ممّن كتم شهادة عنده من الله! وما الله بغافل عمّا تعملون» (البقرة ١٤٠).

الجدال قائم بين محمد واليهود على الهدى (١٣٥ - ١٤١). كان اليهود يشتقون الهدى من اسمهم فيقولون : «كونوا هوداً تهتدوا» (١٣٥). فرد عليهم القرآن ان الهدى في الاسلام الذي يؤمن «بما أوتيَ موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون» (١٣٦). فيردّون عليه : ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب كانوا هوداً (١٤٠). فيرد عليهم ان اليهودية من موسى؛ لذلك فالآباء والاسباط لم يكونوا يهوداً (بالمعنى الديني). هذه هي شهادة التوراة : «ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله» (١٤٠). **فالقرآن يستشهد بالتوراة التي معهم في زمن محمد**، ويتهم اليهود بكتمان شهادة التوراة، كتماناً لفظياً، أو بالحري معنوياً، بالتأويل المغلوط. واستشهاد القرآن بالتوراة دليل على صحتها، كما هي في ايديهم.

٣ - «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم، وان فريقاً منهم **ليكتمون الحق** وهم يعلمون» (١٤٦).

الجدال مع اليهود على نبوة محمد. قال الجلالان : أهل الكتاب «يعرفون محمداً كما يعرفون أبناءهم بنعته في كتبهم. وان فريقاً منهم ليكتمون الحق

اي نعت محمد ، وهم يعلمون » . فظاهر ان الكتمان المقصود هو التأويـــل الفاسد للتوراة التي تشهد لمحمد . وما يكتمه فريق ، يفضحـه الفريق الآخر : فلا خوف على النص لا من الكتمان المادي ولا من الكتمان المعنوي اي التأويل .

فمناورة الكتمان ، بالتأويل المغلوط ، هي من فريق فقط . فهي فاشلة ، ولا تمس التوراة بشيء .

٤ – « إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى ، من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، اولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون » (البقرة ١٥٩) .

ان القرآن يلعن الفريق مـــن اليهود الذي يكتم معنى الكتاب عن الناس . وهب أنهم يكتمون النص نفسه ، فـــلا خوف على تحريفه . فالفريق الآخر بالمرصاد .

٥ – « ان الذين يكتمون ما انزل الله مـــن الكتاب ، ويشترون به ثمناً قليلاً . . . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، فما اصبرهم على النار ! ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق ، وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ! »(البقرة ١٧٤ – ١٧٦) .

هنا يظهر شقاق الفريقين على اختلافهم في فهم الكتـــاب . ففريق منهم بتأويلهم الفاسد اشتروا الضلالة بالهدى . والفريق الآخر بقي على الهدى في حفظ الكتاب وتأويله. وفي الآية شهادة مزدوجة على صحة الكتاب المتداول في الحجاز على زمن محمد : ان فريقاً منهم « يكتمون ما أنزل الله من الكتاب » : فالقرآن يشهد بأن الكتاب في زمنه منزل من الله ؛ ويشهد ايضاً « بأن الله نزّل الكتاب بالحق » كما وصل الى زمان محمد والقرآن .

●

وفي سورة آل عمران يظل الجدل قائماً بين محمد واليهود على صحة رسالته : يستشهد محمد بالكتاب فينكرون عليه صحة شهادته :

١ — « ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم . . . يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق الباطل ، وتكتمون الحق ، وانتم تعلمون » (٦٩ — ٧١) .

قال الجلالان : « لِمَ تخلطون الحق بالباطل وتكتمون الحق اي نعت محمد، وأنتم تعلمون أنه حق » . فالخطاب كله بحق اليهود ، وهم ينكرون تأويل محمد لشهادة الكتاب له . فتهمة الكتمان تدور كلها حول صفة محمد النبوية في الكتاب.

٢ — « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب : لَتبيننّه للناس ولا تكتمونه ؛ فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمناً قليلًا ، افبئس ما يشترون » (١٨٧) .

الآية في خطاب بحق اليهود ايضاً : ان كتمان حقيقة الكتاب ، خصوصاً في صفة محمد النبوية ، هو ضدّ الميثاق الذي أخذه الله في التوراة على اليهود ، ان يظهروا الحقيقة ولا يكتمونها بتأويلهم . وهذا شهادة على صحة الكتاب .

●

وفي سورة النساء هذه الآية في خطاب اليهود ايضاً : «الذين يبخَلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، واعتدنا للكافرين عذاباً مُهيناً » (٣٦) . قال الجلالان . « يكتمون ما آتاهم الله من فضله ، من العلم والمال ، وهم اليهود » . فاليهود يمنعون علمهم ومالهم عن محمد : تلك هي التهمة .

وفي سورة المائدة هذه الآية في نفاق اليهود : « واذا جاؤوكم قالوا : آمنا ! وقد دخلوا بالكفر ، وهم قد خرجوا به ! والله أعلم بما كانوا يكتمون » (٦٤) فقد اتخذوا دعوة محمد « هزوءاً ولعباً » هم « الذين جعل منهم القردة والخنازير » (٦٠ — ٦٣) .

تلك هي تهمة الكتمان في دعوة القرآن : انها تقتصر على خلاف محمد واليهود في دلالة الكتاب على صحة نبوة محمد . إنها قضية تفسير وتأويل . فليس فيها ما يمس نص الكتاب الذي يعلن القرآن مراراً صحته في عهد القرآن .

* * *

ثانياً : تهمة اللي باللسان في تلاوة الكتاب

ترد التهمة في آيتين يفسر بعضهما بعضاً :

« وإن منهم لفريقاً يَلوُون السنتهم بالكتاب ، لتحسبوه من الكتاب ! — وما هو من الكتاب ؛ ويقولون : هو من عند الله ؟ — وما هو من عند الله . ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (آل عمران ٧٨) .

« من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون : سمعنا وعصينا ! واسمَعْ غير مُسْمَعٍ ! وراعنا ! ليًّا بألسنتهم ، وطعناً بالدين » (النساء ٤٥) .

النص صريح بأن فريقاً « من الذين هادوا » يلوون السنتهم في تلاوة الكتاب ، أي يقرؤون بغير القراءة الصحيحة ، ويعتبرون قراءتهم هي المنزلة ، وما هي بالمنزلة . ويعطي مثالاً على تلاعبهم في الكلام قولهم : « راعنا » ؛ فإذا لفظوها « راعْنا » عنت بلغة اليهود : أرعن .

فالتهمة هي قراءة مشبوهة لآيات في الكتاب يقصدون بها غير ما قصده الله بها في كتابه العزيز . واختلاف القراءات ، سواء كانت صحيحة أو مشبوهة ، شيء مألوف في التوراة والانجيل والقرآن ؛ واختلاف القراءات لا يمس حرف النص ، فهو سالم .

وهذا اللّي باللسان في تلاوة الكتاب ، أي القراءة المختلفة ، يجمعها في الآية الى تحريف الكلم عن مواضعه (النساء ٤٥) فيكون التحريف المقصود بالتهمة القرآنية هو القراءة المختلفة .

وهذه شهادة سلبية على سلامة نص الكتاب من التحريف . ونلاحظ ان من يقوم بذلك التلاعب في قراءة الكتاب إنما هو فريق من الذين هادوا ، لا كلهم ، ولا دخل للنصارى في التهمة كلها على الاطلاق .

☆ ☆ ☆

ثالثاً : تهمة التحريف نفسها

ترد تهمة التحريف في خمسة مواضع :

١ – في سورة البقرة : «أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون » (٧٥) .

قال الجلالان : «أفتطمعون ايها المؤمنون أن يؤمن لكم اليهود وقد كانت **طائفة منهم** يسمعون كلام الله في التوراة ثم يحرفونه اي يغيّرونه من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون » .

قال البيضاوي : « أفتطمعون أن يصدقونكم – يعني اليهود – وقد كانت **طائفة من اسلافهم** يسمعون كلام الله اي التوراة ثم يحرفونه **كنعت محمد ص. وآية الرجم** ، أو تأويله ويفسرونه بما يشتهون . وقيل : **هؤلاء** من السبعين المختارين (على زمن موسى) . . . من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة . ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدّميهم كانوا على هذه الحالة ، فما ظنّك بسفلتهم وجهالهم ، وانهم ان كفروا وحرّفوا فيهم سابقة في ذلك » .

ما معنى « يلوون ألسنتهم بالكتاب » ؟ قال البيضاوي : « يفتلون السنتهم بقراءة الكتاب . . . أو يعطفونها بشبه الكتاب » . قال الجلالان : « يعطفونها بقراءته عن المنزل الى ما حرفوه من نعت النبي » . قال الزمخشري : « يفتلون السنتهم بقراءة الكتاب . . . ويجوز ان يُراد : يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشَبه من الكتاب » . فالكلمة لها معنيان : الأول فتل اللسان في التلاوة نفسها ؛ والثاني : تعقيب التلاوة بشَبَهٍ عليها . فالمعنى الثاني تفسير لا يمس النص . والمعنى الأول قراءة مغلوطة للنص نفسه ، فهي اذن لا تمس النص.

فالحديث هنا عن تحريف فريق من اليهود للتوراة على زمن موسى . وهب انه يقصد تحريفهم على زمن محمد فالتحريف واقع من فريق ، لا يقرهم الفريق الآخر عليه .

والفريق المنافق ، لا يغيّر النص نفسه بل يغيّر معناه اي ، كما يقول البيضاوي « **يؤولونه ويفسرونه بما يشتهون** » . وأنّى لهم ان يغيّروا النص والفريق الآخر لهم بالمرصاد !

وتهمة التحريف أي التأويل تنحصر كلها ، بإجماع المفسرين ، في أمرين : « **نعت محمد وآية الرجم** » . فمحمد يرى صفة نبوته في الكتاب ، واليهود لا يرونها . فالخلاف في التأويل لا في تغيير النص . وقد فسّر بعض اليهود رجم الزاني والزانية بالتحميم والضرب ، بدل الرجم ، كما سنرى ، فالخلاف ايضاً بين محمد وفريق من اليهود في تأويل التوراة ، لا في تحريف نصّها ، كما تدل القرينة في قوله : « يحرفونه من بعد ما عقلوه ، وهم يعلمون » اي من بعد ما فهموه حقّ فهمه .

فليس في « التحريف » المذكور في آية البقرة من تحريف للحرف والنص ، وذلك بنص القرآن القاطع في الآية (١٢١) « الذين آتيناهم الكتاب ، **يتلونه**

حقّ تلاوته ، اولئك يؤمنون به » . قال الجلالان : «**يتلونه حقّ تلاوته اي يقرؤونه كما انزل** » وهذه الآية (البقـــرة ١٢١) تقطع قطعاً مبرماً كل تهمة بتحريف . وعلى كل حال فالكلام في اليهود وتوراتهم، لا في النصارى وانجيلهم .

٢ – في سورة النساء : « من الذين هادوا ، يحرّفون الكَلِم عن مواضعه ! ويقولون : سمعنا وعصينا ! واسمع غير مُسْمَعٍ ! وراعنا ! ليًّا بألسنتهم وطعناً في الدين . ولو أنهم قالوا : سمعنا وأطعنا ! واسمع وانظرنا ! لكان خيراً لهم . ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » (٤٥) .

أوجز البيضاوي موقف المفسرين جميعاً بقوله : « مـــن الذين هادوا قوم (يحرفون الكلم عن مواضعه) اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيهـــا **بإزالته عنها واثبات غيره فيها . أو يؤولونه على ما يشتهون** فيميلونه عمّا أنزل الله فيه » .

فالتحريف اذن إمّا تغيير النص ، وإمّا تأويله : فما هو المقصود ؟

كل القرائن القرآنية تدل على ان التحريف المقصود هـــو تأويل المعنى لا تغيير النص : فالفاعلون بعضهم : «من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه»؛ فالبعض الآخر لا يقرونهم في ذلـــك ، لأنهم ، بنصّ القرآن القاطع : « يتلون الكتاب حق تلاوته » اي « كما أنزل » . ثم ان المفسرين يتردّدون بين تغيير النص ، أو تأويل المعنى ، فلا أحد يجزم بتغيير حرف النص . والقرآن يقول : « عن مواضعه » ؛ ويسمّي ذلك : « ليًّا بألسنتهم » ؛ ويعطي على ذلك ثلاثـة أمثلة : «سمعنا وعصينا ؛ واسمع غير مسمع ؛ وراعنا» . من هذه الامثلة نفهم ان التحريف لا يقع على حرف التوراة نفسه ، **بل يقع في كلام اليهود أنفسهم** في مخاطبة النبي : فهم يتلاعبون في كلامهم ما بين لغتهم والعربية ، كقولهم في « راعنا » : « رَعْنا » اي « يا أرعن » في لغتهم . فالتحريف يقصد كلام اليهود مع النبي لا كلام التوراة، بدليل قوله : « طعناً في الدين» .

وهب ان التحريف المقصود يقصد التوراة نفسها ، فالآية تفسر التحريف ، بقولها : « ليًّا بألسنتهم » اي يقرؤون التوراة ، في المواضع المقصودة ، بقراءة غير صحيحة . فالتحريف اذن يعني القراءة غير الصحيحة ، والنص يبقى سالماً بلا تغيير .

لذلك كله فتفسير التحريف المقصود بأنه تغيير في النص ذاته تنفيه كل القرائن القرآنية القريبة والبعيدة .

لذلك ايضاً يرفض الرازي ، المفسر الكبير ، تفسير التحريف بمعنى تغيير النص ذاته : « **لان الكتاب المنقول بالتواتر لا يتأتى فيه تغيير اللفظ** » (في تفسير المائدة ٤٤) .

وهذا هو موقف صحيح البخاري : « يحرّفون الكلم عن مواضعه اي يزيلونه وليس أحد يزيل لفظ كتاب من الله تعالى ؛ ولكنهم يتأولونه على غير تأويله » .[١] فليس من تحريف في التوراة ، ولا مَن يفرحون ، أو يحزنون . والنصارى وانجيلهم براء من ذلك .

٣ — في سورة المائدة : « ولقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل . . . فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه ! ونسوا حظاً مما ذُكروا به ! ولا تزال تطلع على خائنة منهم ! فاعف عنهم واصفح ، ان الله يحب المحسنين » (١٣ — ١٤) .

في اية المائدة (١٤) نجد تعبير آية النساء نفسه (٤٥) . فتعليقنا عليه واحد. ونلاحظ ان التهمة منسوبة الى اليهود ، لا إلى النصارى وانجيلهم .

والرازي الكبير يفهمها مثل صحيح البخاري ، فيقول : « إن المراد

---

(١) أحمد امين : ضحى الاسلام : ٣٤٦ و ٣٥٨

بالتحريف إلقـــاء الشبه الباطلة ، والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل ، بوجوه الحيل اللفظية ، كما يفعل أهل البدع في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذهبهم . وهذا هو الاصح » .

ولنا هنا قرينة على صحة تفسير البخاري والرازي ، من الآية (١٦) التي تليها في الخطاب نفسه لليهود : « يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ، يبيّن لكم كثيراً مماً كنتم **تخفون من الكتاب** ، ويعفو عن كثير » . فالقرآن يقرن التحريف بالاخفاء ، إخفـــاء المعنى المقصود ، لأن النص كان شائعاً متوتراً في العالمين ، قبل بعثة محمد . وهب حاول ذلك بعضهم في الحجاز ، فهل ينطلي ذلك على اليهود كلهم في دولة الفرس ، وفي دولة الروم ؟

وموضوع التحريف في آية المائدة (١٤) هـــو دائماً صفة محمد في التوراة . قال الجلالان : « يحرّفون الكلم الذي في التوراة من نعت محمد ص . وغيره... وتركوا نصيباً مماً أُمروا به في التوراة من اتّباع محمد ص. » .

فالنبي العربي يتهم اليهود ، او بالحري فريقاً منهم بتـأويل شهادة التوراة بحقه تأويلاً غير صحيح . فالخلاف بين محمد واليهود عـلى **تفسير النبي الموعود** . تقول التوراة « بالنبي الآتي » مثـــل موسى ؛ فقرأها محمد : « النبي الامي » فأنكروا ذلك عليه ، كما أنكروه مـن قبل على عيسى ابن مريم . وفي الحالين ، ان تفسير اليهود للآية في التوراة لا يمس حرفها .

والنصارى في ذلك كله براءٌ من التهمة؛ فلا يعنيهم القرآن على الاطلاق .

٤ ــ في سورة المائدة ، النص الأخير في التحريف المزعوم : « **ومن الذين هادوا** ، سمّاعون للكذب ، سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك . يحرّفون الكلم مـن بعد مواضعه. يقولون : إن أُوتيتم هذا فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا» (٤٤) .

فالتحريف هنا مقرون بقصة يشير اليهـــا النص . فسّره الزمخشري : « روي ان شريفاً من خيبر زنى بشريفة ، وهما محصنان ، وحدّهما الرجم في التوراة . فكرهوا رجمها لشرفهما . فبعثوا رهطاً منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله ص. عن ذلك . وقالوا : إن أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا ؛ وان أمركم بالرجم ، فلا تقبلوا . وأرسلوا الزانيين معهم . فأمرهم بالرجم . فأبوا أن يأخذوا به . فجعل بينه وبينهم حَكَماً ابن صوريا ، مـــن فدك . فشهد بالرجم » . وقالوا في ختام القصة، ان النبي ، بعد شهادة الحبر اليهودي من فدك ، أمر برجمهما ، فرجموهما عند باب المسجد ، لإقامة حدّ التوراة عليهما .

وأسباب النزول كلها ، والمحدّثون ، والمفسرون كلهم يقـرنون التحريف المذكور في سورة المائدة بقصة الزانيين من خيبر . فالتهمة مقصورة على آية في التوراة ؛ والتحريف المقصود هـــو تفسير الرجم بالجلد ، وليس تغيير النص . وهو من فريق « من الذين هادوا » لا من جميعهم بشهادة فتوى ابن صوريا ؛ وإقامة محمد الحد على الزانيين ، بدون اعتراض ولا قتـــال ؛ لكن في اعراض ظاهر .

ولنا على معنى التحريف المقصود قوله : « ألم ترَ الى الذين أوتوا نصيباً مـن الكتاب ، **يُدعون الى كتاب الله** ليحكم بينهم ، ثم يتـــولى فريق منهم وهم معرضون » (آل عمران ٢٣) . قال الجلالان : « نزل في اليهود : زنى منهم اثنان . فتحاكموا الى النبي ص. فحكم عليهما بالرجم . فجيء بالتوراة ، فوجـــد فيها . فرجما . فغضبوا » . فلو كان في التوراة نفسها تحريف لما سمّاها « كتاب الله » . واستشهاد محمد بتلاوة التوراة شاهد على انه يعتبرهـــا « كتاب الله » في زمانه . والتحريف المقصود هو في تأويل معرض لآية واحدة . وهذه هـي قصة التحريف التي تملأ القرآن من (آل عمران) الى (المائدة) .

لذلك ينقض الرازي **معنى التحريف بتغيير اللفظ** ، ويفسر التحريف المقصود

بالتأويل الباطل : « التحريف يحتمل التأويل الباطل ، ويحتمل تغيير اللفظ . وقد بيّنا فيما تقدم ان الأول أولى ، **لأن الكتاب المنقول بالتواتر لايتاتى فيه** تغيير اللفظ » (المائدة ٤٤) .

فمن تأويل فريق من اليهود لآية الرجم بالجلد — **آية واحدة** — أطلق القوم تهمة التحريف اللفظي على التوراة كلها : فما اظلمهم بحق كتاب من كتب الله!

والخلاف الآخر في موضوع التحريف هو قراءة نبؤة موسى في «النبي الآتي» بمعنى « النبي الأمي » ، كما قرأها محمد ومن معه فأنكر اليهود ذلك .

وهكذا تنحصر تهمة التحريف ، الوارد لفظها في القرآن ، بحق فريق من اليهود ، **في لفظين من آيتين في التوراة** : تأويل اليهود الرجم بالجلد ؛ وقراءة محمد « النبي الأمي » بدل « النبي الآتي » .

تلك هي التهمة الضخمة التي تملأ الكتب وصحف التفسير ، والتي بها يتشدّقون . إنهم يعملون ، بحسب المثل الدارج ، من زبيبة خمارة ! ومن الحبة قبة !

وفاتهم اسلوب القرآن في البيان : التخصيص في مظهر التعميم . يذكر القرآن بعض آية من التوراة بلفظ التعميم : « يحرفون الكلم عن مواضعه » (النساء ٤٥) أو « يحرفون الكلم من بعد مواضعه » (المائدة ٤٤) وهو يقصد التخصيص كما تدل القرائن كلها ؛ فأخذها القوم بمعنى التعميم . وهذا تفسير خاطىء مغرض لبيان القرآن . فهو يقول مثلاً : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله» (النساء ٥٣) قال الجلالان : « يحسدون **الناس اي النبي ص.** (على ما آتاهم الله من فضله) من النبوة و كثرة النساء » . فالتخصيص في معرض التعميم اسلوب قرآني فات القوم في تفسير القرآن .

وهذه الشهادة القرآنية في « **الذين يتلون الكتاب حق تلاوته** » اي « **يقرؤونه كما أنزل** » (الجلالان) شهادة قاطعة على نفي التحريف، وعلى استحالته في « كتاب الله » كما يسميه أيضاً على ايامه.

وهذا ما يراه أيضاً أحمد أمين في (ضحى الاسلام ١ : ٣٥٨) : « وذهبت طائفة اخرى من أئمة الحديث والفقه والكلام الى ان **التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل** ... ومن حجة هؤلاء أن التوراة قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها (قبل ظهور محمد والقرآن)، ولا يعلم عدد نسخها إلا الله، ومن الممتنع ان يقع التواطؤ على التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ، بحيث لا تبقى في الارض نسخة إلا مبدّلة، مغيّرة؛ والتغيير على منهاج واحد. وهذا مما يحيله العقل، ويشهد ببطلانه. قالوا: وقد بين الله تعالى لنبيّه عليه السلام محتجاً على اليهود بها: فأتوا بالتوراة فاتلوها، إن كنتم صادقين ».

فالقول بتحريف الكتاب اي التوراة والانجيل، استناداً الى **متشابه القرآن** في استخدام لفظ « التحريف » على التعميم في موضع التخصيص، **هو تحدٍ مفضوح للمنطق والتاريخ والقرآن نفسه**.

وهذه هي النتيجة الحاسمة التي نصل اليها بعد استقراء القرآن في التحريف المزعوم وتفسيره :

اولاً : لايقول القرآن بتحريف لفظي في التوراة.

ثانياً : على كل حال ان شبهة التحريف السخيفة لا تقصد النصارى وانجيلهم على الاطلاق.

وكما استفتحنا البحث نختمه : إنّا نتحدّى أيّاً كان أن يرينا آية واحدة من القرآن تتهم المسيحيين تصريحاً أو تلميحاً بتحريف الانجيل أو بعضه.

وسلامة الانجيل من التحريف هي **القاعدة الرابعة** في الحوار الاسلامي المسيحي.

بحث ثالث

صحة الكتاب والانجيل عقيدة في القرآن
(القاعدة الخامسة في الحوار الاسلامي المسيحي)

إن القرآن يشهد بصحة الكتاب ، وصحة التنزيل في التوراة والانجيل ، على زمان محمد ، في الحجاز . وهذه الصحة المزدوجة عقيدة راسخـــة متواترة في القرآن .

الشهاده الاولى : « يتلونه حق تلاوته »

قد يكون التحريف الذي يتهم به القرآن بعض اليهود عدم تلاوة الكتاب حق تلاوته اي تلبيس حق الكتاب بباطل تفسيرهم وتأويلهم . ويمنع من ذلك وجود فريق من أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته ، ويفوّتون على ذلك الفريق تأويلهم الباطل :

اولئك الذين آتيناهم الكتاب ، يتلونه حق تلاوته ، اولئك يؤمنون به ! ومَن يكفر به فأولئك هم الخاسرون » (البقرة ١٢١)

فسره الجلالان : « يتلونه حق تلاوته اي يقرؤونه كما أُنزِل »

فالكتاب يقرؤه كثيرون من أهله ، في زمن محمد ، في الحجاز ، كما نزل .

وهذه هي شهادة القرآن القاطعة بصحة الكتاب وصحة تنزيله وصحة تلاوته . وهذه الشهادة القاطعة تثبت أن التحريف المذكور في القرآن هو التأويل الباطل لا تغيير اللفظ ؛ وهي تقطع كل تهمة أو شبهة لتحريف في الكتاب كله .

●

الشهادة الثانية : الكتاب المقدس كله في زمن محمد هو « كتاب الله » .

ان القرآن يسمي مراراً الكتاب الذي مع اهل الكتاب في زمانه « كتاب الله » .

١ – « ولما جاءهم رسول من عند الله ، مصدق لما معهم ، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب **كتاب الله** وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » (البقرة ١٠١)

فالقرآن يستشهد بالكتاب ، ويسميه « كتاب الله » ويعلن ان القرآن « مصدق لما معهم » اي للكتاب الذي بين ايديهم . ثلاث شهادات لصحة الكتاب في آية واحدة ، واعظمهن تصريحه ان الذي معهم هو « كتاب الله » .

٢ – « إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ؛ يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا ؛ والربانيون والاحبار بما استُحفِظوا من **كتاب الله** وكانوا عليه شهداء » (المائدة ٤٧) .

هذه شهادة جامعة مانعة لصحة التوراة والكتاب كله من زمن موسى حتى عهد محمد . وهي شهادة في خمس :

إن التوراة فيها هدى ونور ؛ ولم تزل هدى ونوراً .

ان التوراة حكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا : فظلت صحيحة طيلة عهد النبوة وظل الاسلام بها صحيحاً .

وظل اهل الكتاب «شهداء» على الكتاب حتى زمن محمد .

وفي زمن محمد يحكم الربانيون والاحبار «بما استحفظوا من كتاب » الله» فهو لم يزل في عهد القرآن « كتاب الله » .

فالتوراة ، والكتاب كله الذي نزل مع « النبيين الذين اسلموا » ، هو « كتاب الله » بنص القرآن القاطع . ولا يسميه « كتاب الله » لو ان عليه شبهة تحريف !

٣ ــ « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض **في كتاب الله** » (الانفال ٧٥) .

في سورة الأنفال، (الآية ٧٢) شرع القرآن الموالاة بين المهاجرين والأنصار، وشرع النصرة والارث بالموالاة ؛ وفي (الآية ٧٥) ينسخ الارث بالموالاة كما شرعها القرآن ، بشرعة الرحم كما شرعها « كتاب الله » : فنسخ القرآن بالكتاب .

ويسمي الكتاب « كتاب الله » ، ويتقيد بأحكامه قبل احكام القرآن .

٤ ــ « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، **في كتاب الله** ، يوم خلَقَ السماوات والأرض ؛ منها أربعة حُرُمٌ ، ذلك الدين القيّم ، فلا تظلموا فيهن انفسكم » (التوبة ٢٧) .

ــ القرآن يستشهد بالكتاب ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ؛ ويسميه « كتاب الله » ، ويشير بنوع مخصوص الى سفر التكوين ، « يوم خلق الله السماوات والارض » . فالتوراة ، والكتاب كله ، في زمن محمد هو « كتاب الله » . قال بعضهم كالجلالين « كتاب الله اي اللوح المحفوظ » ــ هذا تكلّف ظاهر مفضوح ، لانه لا يمكن ان يستشهد بكتاب في السماء لا يستطيع أهل الأرض ان يتحققوا منه . فالقرآن يستشهد بكتاب الله الذي على الارض ، كما يتضح من كل الشهادات التي نتلوها .

٥ – « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون : ما لبثوا غير ساعة ! كذلك كانوا يُؤْفَكون ! وقال الذين أوتوا العلم والايمان : لقد لبثتم ، **في كتاب الله** ، الى يوم البعث ، فهذا يوم البعث ، ولكنكم كنتم لا تعلمون » (الروم ٥٥ - ٥٦).

– « الذين أوتوا العلم والايمان » في هذه الآية هم أهل الكتاب ، خصوصاً النصارى ، بدليل مقابلتهم «للذين لا يعلمون» اي المشركين (٥٩) . فأهل الكتاب يشهدون يوم الدين ان الاموات لبثوا في قبورهم حتى يوم البعث ، لا ساعة واحدة .

فهم يستشهدون « بكتاب الله » ، كما يستشهد القرآن معهم به ، ويسميه « كتاب الله » . وهو كتاب الله الى يوم البعث .

٦ – « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ، وأزواجه امهاتهم ؛ واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ، **في كتاب الله** ، من المؤمنين والمهاجرين ، إلا أن تفعلوا إلى اوليائكم معروفاً ، كان ذلك في الكتاب مسطوراً » (الاحزاب ٦)

– قال الجلالان : « ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض في الارث ، من الارث بالايمان ، كما كان اول الاسلام ، ونُسخ : نسخ الارث بالايمان والهجرة بإرث ذوي الارحام . وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ » .

– هذا تكلف ينقضه النص والواقع : فالقرآن لا يسمي كتاب الله المنزل اللوح المحفوظ ، فهذا تناقض في التعبير ؛ ولا يستشهد القرآن لأهل الارض باللوح المحفوظ في السماء ، ولا سبيل الى تحقيق الشهادة منه . فالقرآن يستشهد بالكتاب المنزل ويسميه «كتاب الله» : فهو ينسخ بالكتاب ما شرعه أولًا بالقرآن .

٧ – «إن الذين **يتلون كتاب الله**، وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ، يرجون تجارة لن تبور ... والذي أوحينا اليك من الكتاب هو

الحق مصدقاً لما بين يديه (قبله) . . . ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا (فاطر ٢٩ – ٣٢) .

– سياق النص يدل ان الكتاب الذي يذكره القرآن هو الكتاب الذي نزل من قبله، وهو موجود مع « الذين اصطفينا من عبادنا . فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات » (٣٢) ، فهم أهل الكتاب، لأنه لا يصف المسلمين بهذه الاوصاف . فالكتاب الذي هو بين أيدي اهل الكتاب هو « كتاب الله » الذي جاء القرآن مصدقاً له .

فتلك سبع شهادات على ان الكتاب الذي يتلوه اهل الكتاب ، في زمن محمد ، ويستشهد به القرآن نفسه ، هو « كتاب الله » .

والنتيجة الحاسمة : يستحيل ان يسمي القرآن هذا الكتاب الذي يصدقه « كتاب الله » لو كان محرفاً !

●

الشهادة الثالثة : القرآن يشهد بتنزيل الكتاب الذي يتلوه أهله على زمانه .

ايمان القرآن بتنزيل الكتاب ، كما وصل اليه في زمانه وفي الحجاز ، يشع من كل سور القرآن ، بأنوار متعددة :

١ -- « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق » (البقرة ٢١٣) .

فالكتاب الذي نزل مع جميع الانبياء هو منزل من الله بالحق . وعندما يستعمل القرآن « الكتاب » معرفاً على الاطلاق ، فهو يعني الكتاب المقدس ، ما لم يكن هناك قرينة تقيّد المعنى المقصود .

٢ - « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب . . . ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق ، وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد » (البقرة ١٧٤ - ١٧٥) .

هذه شهادة قاطعة على صحة تنزيل الكتاب الذي وصل الى الحجاز والى محمد ؛ إن صحة تنزيله قائمة في عهد النبي العربي ، مهما اختلف أهل الكتاب في تأويله ، ومهما كتم بعضهم منه على العرب .

٣ - « الله ... نزّل عليك الكتاب بالحق ، مصدقاً لما بين يديه ؛ وأنزل التوراة والانجيل من قبلُ هدى للناس » (آل عمران ١ - ٣) .

الله أنزل التوراة والانجيل ؛ وهما لم يزالا هدى للناس حتى عهد محمد ، وفي الحجاز ، فلو كان فيهما تحريف لما نعتهما بالهدى للناس في زمانه ، ولَمَا كان القرآن تصديقاً للتحريف ! فلو صدّق القرآن الكتاب محرفاً ، لشملت تهمة التحريف القرآن المصدّق للكتاب المحرَّف .

٤ - « يا ايها الذين آمنوا ، آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزَّل على رسوله ، والكتاب الذي أنزل من قبل : ومَن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً » (النساء ١٣٥) .

القرآن يعلن ان التنزيل واحد في القرآن « والكتاب الذي انزل من قبل » ؛ وهو يخاطب أهل زمانه ، لا الزمان الغابر ، ويطلب الايمان الواحد بالقرآن والكتاب : فلا يطلب الايمان بكتاب محرف ، ولا يعلن التنزيل في كتاب محرف !

٥ - « قلْ : يا أهل الكتاب هل تنقمون منا ، إلّا أن آمنا بالله ، وما أنزِل الينا وما أُنزل من قبلُ » ؟ (المائدة ٦١) .

القرآن يعلن ايماناً واحداً بالقرآن ، وبما أُنزِل من قبل : فهـــل يؤمن بكتاب محرف ؟

٦ ــ « قلْ : يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » (المائدة ٧١) .

فهل يصح ان يحمل القرآن أهل الكتاب على إقامة التوراة والانجيل ، لو كان فيهما تحريف ؟

٧ ــ « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » ؟ (المائدة ٤٦) .

فالقرآن يشهد ان التوراة التي مع مخاطبيه من أهل الكتاب فيها حكم الله: فهل يصح ذلك لو كانت محرفة ؟

٨ ــ « وآتيناه الانجيل فيه هــــدى ونور ! ... وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ! ومن لم يحكم بمــــا أنزل الله فاولئك هم الفاسقون » (المائدة ٤٩ ــ ٥٠) .

فهل أصرح من هذا التصريح على صحة تنزيل الانجيل الموجود في زمان النبي العربي ، إذ هو يطلب الى أهـــل الانجيل ان يحكموا بما انزل الله فيه ، ومَن لم يحكم بما أنزل الله في الانجيل فأولئك هم الفاسقون ؟ !

٩ ــ «ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي احسن وتفصيلاً لكل شيء ، وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون ! وهذا كتاب أنزلناه مبارك . . . أن تقولوا : انما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ، وإن كنّا عـــن دراستهم لغافلين » (الانعام ١٥٤ ــ ١٥٦) .

فالقرآن ومخاطبوه من العرب يؤمنون بتنزيل الكتاب عـــلى اليهود

والنصارى ويأسف العرب لانهم كانوا عن « دراستهم لغافلين » . فهل هذا الايمان يتحمل شبهة تحريف في التوراة والانجيل ؟

١٠ – « وما قدروا الله حقّ قدره ، إذ قالوا : ما انزل الله على بشر من شيء ! – قلْ : مَن انزل الكتاب الذي جـاء به موسى نوراً وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها ، وتخفون كثيراً ، وعُلّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم؟ قلْ : الله ! ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ! وهذا كتاب أنزلناه مصدقُ الذي بين يديه » (الانعام ٩١ – ٩٢) .

ينكرون عـلى محمد تنزيل القرآن ، فيستشهد بتنزيل الكتاب ؛ وهذا التنزيل قائم على زمانه في القراطيس التي يبدونها منه؛ وعلى تنزيل الكتاب يقوم فضل اهل الكتاب على الاميين ، فقد تعلّم أهل الكتاب فيه ما لم يعلموه هم ولا بنص القرآن القاطع .

١١ – « قالوا : سِحْران (الكتاب والقرآن) تظاهرا ! وقالوا : إنا بكل كافرون ! – قلْ : فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ، إن كنتم صادقين » (القصص ٤٨ – ٤٩) .

القرآن يرد على المشركين الذين جمعوا الكتاب والقرآن في تكفير واحد بهما ، ان يأتوا بكتاب من عند الله اهدى منهما : فالكتاب الذي في عهد محمد في الحجاز ، فيه وفي القرآن هدى من الله واحد . فهل يصح مثل هذا التصريح مع شبهة التحريف ؟

١٢ – « شرع لكم من الدين ... ما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ... فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتّبع أهواءهم ! وقلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب » (الشورى ١٣ – ١٥) .

ان الله شرع للعرب في القرآن دين ابراهيم وموسى وعيسى ؛ ويؤمر محمد بأن يستقيم على الدعوة لهذا الدين، وأن يقول : «آمنت بما أنزل الله من كتاب».

فمحمد يؤمن بكل كتاب أنزله الله من نوح الى ابراهيم الى موسى الى عيسى، اي يؤمن بالكتاب المقدس كله : فهل يصح مثل هذا الايمان العارم، مع شبهة التحريف ؟ !

فالذين يفترون على القرآن بقولهم انه شهد بتحريف في التوراة والانجيل، يجعلون القرآن يناقض بعضه بعضاً ! وتكذبهم شهادة القرآن المتواصلة بصحة تنزيل الكتاب كله، كما يؤمن به في زمانه .

●

الشهادة الرابعة : ايمان القرآن بالكتاب .

ان ايمان القرآن المطلق بالكتاب الذي نزل من قبله برهان قاطع على صحته. فشبهة تحريف الكتاب إهانة لايمان القرآن بالكتاب .

١ — مبدأه العام : « وقل : آمنت بما انزل الله من كتاب » (الشورى ١٥).

محمد يؤمن بالكتاب الذي يعلم دين ابراهيم وموسى وعيسى : فهو من عند الله.

٢ — القرآن يَستفتح بالايمان بالكتاب : « الم . ذلك الكتاب، لا ريب فيه، هدى للمتقين . . . الذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك . . . أولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون » (البقرة ١ — ٥) .

مطلع القرآن ايمان بالكتاب، فهو هدى للمتقين من العرب، لا ريب فيه ؛ وهؤلاء المتقون « يؤمنون بما أنزل اليك، وما أنزل من قبلك » . فهم يؤمنون مع محمد ان الكتاب هدى لهم، لا ريب فيه : فكيف يكون محرفاً ؟!

٣ — «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» ! (البقرة ٨٥) .

لايمان القرآن بصحة الكتاب كله ، يلوم اليهود على ايمانهم عملياً ببعض الكتاب وكفرهم ببعض : فهل يصح ذلك لو كان القرآن يشك في صحة الكتاب أو بعضه ؟

٤ — « قولوا : آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم : لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦) .

فالقرآن يؤمن بكل اجزاء الكتاب المقدس ، ويأمر أتباعه أن يؤمنوا هذا الايمان : فهل يصح هذا الايمان بالكتاب في زمانه مع شبهة تحريف فيه ؟

٥ — وهذا الايمان بالكتاب الذي بين ايديهم هو قضية مبدإ ، وقضية أمر واقع : «آمن الرسول بما أُنزل اليه من ربه ، والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرّق بين أحد من رسله » (البقرة ٢٨٥) .

فالمسلمون يؤمنون على عهد النبي ، بإرشاده ، بكتب الله ورسله جميعاً : فهل يصح مع ذلك تحريف أو شبهة تحريف ! ؟

٦ — « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله » (آل عمران ١١٩) .

فالمسلمون ، على عهد النبي ، يؤمنون بالكتاب كله ؛ فلو فيه تحريف لما سمح النبي العربي لقومه بالايمان به ! وهذا التصريح ينفي عن « الكتاب كله » كل شبهة تحريف !

٧ — لذلك يعلن بتكرار : « قلْ آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على

ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرّق بين أحد منهم ونحن لهم مسلمون» (آل عمران ٨٤)

فهم لا يؤمنون بكتب الله كما نزلت في الماضي، بل يؤمنون بها كما وصلت اليهم في الحجاز. وهذا الايمان المتواتر ينقض كل شبهة تحريف.

٨ — ودونكم هذا التصريح الضخم بالايمان بصحة الكتاب كله، في كل كتبه:

«يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله، والكتاب الذي نزّل على رسوله، **والكتاب الذي أنزل من قبل**: ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فقد ضلّ ضلالًا بعيداً» (النساء ١٣٥). لاحظ قوله: «**أنزل من قبل**».

فالايمان بكتب الله ورسله هو ركن من أركان الاسلام، لا يصح اسلام بدونه. وايمان القرآن بصحة تنزيل الكتاب هو ايمانه بصحة تنزيل القرآن.

٩ — وهذا الايمان بكتب الله ورسله له أجره عند الله:

«والذين آمنوا بالله ورسله، ولم يفرّقوا بين احد منهم، سوف يؤتيهم أجورهم، وكان الله غفوراً رحيماً» (النساء ١٥١).

فهل الايمان بكتاب محرف له أجر عند الله؟

١٠ — فالكتاب في كل أجزائه هو وحي الله مثل وحي القرآن:

«إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده، وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان؛ وآتينا داود زبوراً... وكلم الله موسى تكليماً؛ رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» (النساء ١٦٢).

فلو كان جزء من الكتاب محرفاً ، لكان للناس حجة على الله أن لا يؤمنوا به . والقرآن يعلن ان وحيه من وحي الكتاب : فلو كان على وحي الكتاب شبهة لطالت الشبهة القرآن نفسه .

١١ — ايمان القرآن بصحة تنزيل الكتاب كما وصل اليه يحمل المسلمين على عتاب أهل الكتاب في نقمتهم عليهم :

« قلْ : يا أهل الكتاب هل تنقمون منّا إلاّ أن آمنّا بالله ، وما أُنزل الينا ، وما أُنزل من قبل ! » (المائدة ٦٢) .

فالمسلمون في عهد محمد يؤمنون بالكتاب ايمانهم بالقرآن : وهذه هي الشهادة على صحة الكتاب كما وصل الى الحجاز .

١٢ — « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن — إلاّ الذين ظلموا منهم — وقولوا : آمنّا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦) .

القرآن يخاطب أهل الكتاب في زمانه ، ويأمر المسلمين أن يقولوا لهم انهم يؤمنون بما أنزل الى أهل الكتاب : فالتنزيل واحـــد في الكتاب والقرآن ، والاسلام واحد ، والاله واحد . فالقرآن يأمر المسلمين بالتسليم بصحة التنزيل في الكتاب كما في القرآن ؛ في الكتاب الموجود مع اهله في زمن القرآن .

لذلك فالقول بشبهة التحريف في الكتاب إهانة لايمان القرآن به .

●

الشهادة الخامسة : القرآن يصدق الكتاب : فهل يصدّق محرّفاً ؟ !

ايمان القرآن بالكتاب ، وأمر القرآن للمسلمين أن يؤمنوا بالكتاب ، شاهد

مزدوج على صحته كما وصل الى محمد والمسلمين . وكذلك هدف القرآن تصديق الكتاب شاهد آخر على صحة الكتاب : فلا يصدق القرآن كتاباً محرّفاً :

١ – « وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم » (البقرة ٤١) .

٢ – « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ... » (البقرة ٨٩) .

٣ – « ويكفرون بما وراءه ، وهو الحق مصدقاً لما معهم » (البقرة ٩١) .

٤ – « قلْ : من كان عدوّاً لجبريل ، فإنه نزّله على قلبك ، بإذن الله ، مصدقاً لما بين يديه » اي قبله (٩٧) .

٥ – « نزّل عليك الكتاب مصدّقاً لما بين يديه » (آل عمران ٣) .

٦ – « يا أيها الذين أوتوا الكتاب ، آمنوا بما نزّلنا مصدقاً لما معكم » (النساء ٤٦) .

٧–«وأنزلنا اليك الكتاب بالحق، مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهيمناً عليه » (المائدة ٤٧) اي « شاهداً له » (الجلالان) .

٨ – « وهذا كتاب أنزلناه مصدّق الذي بين يديه » (الانعام ٩٢) .

٩ – « وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه » (يونس ٣٧) .

١٠ – « ما كان حديثاً يُفترى ، ولكن تصديق الذي بين يديه » (يوسف ١١١) .

١١ – « والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق ، مصدقاً لما بين يديه » (فاطر ٣١) .

١٢ – « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهـذا الكتاب مصدق لساناً عربياً » (الاحقاف ٢٢) .

فالقرآن يعلن بتكرار انه **تصديق الكتاب** : فلا يصدق القرآن كتاباً محرفاً ، وإلاّ تلبّس هو ايضاً بشبهة التحريف ، لتصديقه التحريف .

يردون على ذلك : القرآن يؤمن ويشهد للكتاب الذي كان نزل على الانبياء ، لا للكتاب الذي كان في زمانه محرفاً . وفاتهم ، ويحهم ، تصريح القرآن ، بأنه « **مصدق لما معكم ، لما معهم** » أربع مرات (البقرة ٤١ و ٨٩ و ٩١ النساء ٤٦) وانه « مصدق لما بين يديه » اي قبله ، سبع مرات : فالقرآن يشهد للكتاب الذي مع أهل الكتاب في زمانه .

وهذه الشهادة لا معنى لها ، اذا كان في الكتاب تحريف ؛ لا بل ، اذا كان في الكتاب تحريف ، فشهادة القرآن للكتاب شهادة زور ! حاشا ، وكلّا !

ومن هذه النصوص الاربعة : « مصدق لما معكم » نجزم بأن القرآن يقصد دائماً الكتاب الذي مع اهل الكتاب في الحجاز على عهد محمد .

●

الشهادة السادسة : القرآن يستشهد بالكتاب : فهل يستشهد بمحرّف ؟

ان القرآن يستشهد على صحة دعوته بالكتاب وأهله : فهل يستشهد بكتاب محرّف ، وبأهل كتاب محرّفين ؟ لو وقع للقرآن ذلك لكان القرآن شاهد زور على التحريف !

١ – « قلْ : فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » (آل عمران ٩٣) .

ان القرآن يصرّح بأن كل الطعام كان حلّاً لبني اسرائيل ، من قبل أن

تنزّل التوراة ! ويستشهد على اليهود في ذلك بالتوراة نفسها . فلو كانت محرفة لما استشهد بها .

٢ — « ألم ترَ الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدعون الى كتاب الله ، ليحكم بينهم ؛ ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » (آل عمران ٢٣) .

اذا اختلف محمد مع أهل الكتاب في حكم ، فهو يستشهد عليهم بالكتاب الذي **« معهم »** ؛ وهذا دليل ايمانه به وبصحته .

٣ — « الذي آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ! وان فريقاً منهم ليكتمون الحق ، وهم يعلمون ، الحق من ربكم ، فلا تكونن من الممترين » (البقرة ١٤٦).

ان القرآن يعتدّ بشهادة الكتاب ويسميها « الحق » ، « الحق من ربكم » : كيف تكون شهادة الكتاب « حقًّا » وهي محرفة ؟ وكيف يستشهد القرآن بكتاب محرف ؟ واذا كان الكتاب محرفاً ، وشهادته مزورة ، فكيف يستشهد القرآن بالتحريف والتزوير ؟ !

٤ — اختلف محمد مع اليهود لقولهم : « لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودات ! » (آل عمران ٢٤) ؛ فدعاهم الى شهادة الكتاب وحكمه : « ألم ترَ الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدعون الى **كتاب الله** ليحكم بينهم ؛ ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » (آل عمران ٢٣) .

محمد يحتكم الى الكتاب الذي مع أهل الكتاب في زمانه ، ويسميه « كتاب الله » : فهذه التسمية وهذا التحكيم لكتاب الله ، برهانان على صحة الكتاب الذي بيد أهل الكتاب في عهد محمد .

٥ — « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » (المائدة ٤٦) .

فالقرآن يرضى لمحمد في حكم التوراة بدل حكمه لان فيها « حكم الله » .
قال البيضاوي : « يتعجب من تحكيم اليهود محمداً، والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم » .

٦ - « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة » (الاحقاف ١٢ هود ١٧) .

فالكتاب هو إمام القرآن في الهدى والبيان : فهل يجعل القرآن الكتاب إمامه لو أن فيه شبهة تحريف ؟ !

٧ - « وانه (القرآن) لتنزيل رب العالمين . . . وإنــه لفي زبر الاولين » (الشعراء ١٩٣ - ١٩٥) اي « كتبهم كالتوراة والانجيل » (الجلالان) .
فالتنزيل القرآني هو في « زبر الاولين » الذين سبقوا عهد محمد .

هل يصح للقرآن ، تنزيل رب العالمين ، أن يشهد بانه في زبر الاولين لو كان على تلك الزبر شبهة تحريف ؟ !

٨ - « اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة . . . أولئك الذين هدى الله ، فبهدا هم اقتده » (الانعام ٩٠) .

هل يأمر القرآن محمداً أن يقتدي بهدى الكتاب وأنبيــائه ، لو كان الكتاب محرفاً ؟

٩ - « وما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالًا نوحي اليهم : فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣) .

ان القرآن يحيل المشركين في خلافه معهم الى أهل الذكر أي أهل الكتاب؛ فهل يستشهد بمحرفين ، أو بكتاب محرَّف ؟

١٠ - « ويقول الذين كفروا : لست مرسلًا ! قلْ : كفى بالله شهيداً ومن عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٠) .

القرآن يجعل شهادة أهل الكتاب لرسالته من شهادة الله ، لانها مبنية على الكتاب . فلا يستشهد بمحرّف ومحرّفين .

١١ — « شهد الله أنه لا إله الاّ هو ، والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ... ان الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨) .

أولو العلم المقسطون هم في اصطلاح القرآن النصارى ، فهـــل يستشهد القرآن على صحة الاسلام بشهادة أولي العلم ، لو لم تكن شهادتهم من شهادة الله؟ ولو لم يكونوا قائمين بالقسط في « علم الكتاب » ، لما استشهد بهم على صحة اسلامه !

١٢ — والقرآن يحيل محمداً نفسه ، في حال الشك من صحة القرآن الى أهل الكتاب ليستيقن :

« فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذي يقرؤون الكتـــاب من قبلك » (يونس ٩٤) .

وما كان القرآن ليحيل نبيه الى محرفين وكتاب محرّف .

فليس الكتاب محرّفاً ، وذلك بنص القرآن القاطع ، الذي يقطع كل شبهة في تحريف الكتاب .

●

الشهادة السابعة : القرآن يأمر أهل الكتاب بإقامة التوراة والانجيل

إن دعوة القرآن أهل الكتاب لاقامة التوراة والانجيل ، لا معنى لها اذا كان التوراة والانجيل محرّفين ! فدعوته لاقامتهما دليل صحتهما على زمانه في الحجاز.

١ — « قلْ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ،

وما أنزل اليكم من ربكم . وليزيدنّ كثيراً منهم (اليهود) ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً ، فلا تأس على القوم الكافرين » (المائدة ٧١) .

ان القرآن يدعو أهل الكتاب الى اقامة التوراة والانجيل ، لأنهما كتاب الله : ويشير الى ان التنزيل في : « ما أنزل اليكم من ربكم . . . ما أنزل اليك من ربك » واحد .

٢ — « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل ، وما أنزل اليهم من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم . منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعملون» (المائدة ٦٩) .

بما ان التوراة والانجيل « كتاب الله » ، فإن إقامتهما ، بالعمل بأحكامهما ، مصدر سعادة لأهلهما . ويقرن الدعوة بالشهادة ان الكتـــاب في زمن محمد هو « ما أنزل اليهم من ربهم » . فلو كان في الكتاب تحريف ، لما كان لدعوة القرآن وشهادته من معنى .

٣ — « إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بهـــا النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ؛ والربانيون والاحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء : ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » (المائدة ٤٧) .

ان التوراة ، في عقيدة القرآن ، كتاب الله ، في زمانه . وبالتوراة « يحكم النبيون الذين اسلموا » اي « أنبياء بني اسرائيل » (البيضاوي) ، للذين هادوا : فالتوراة صحيحة طيلة عهد الانبياء ؛ والتوراة ظلت صحيحة طيلة عهد الربانيين والاحبار حتى زمن محمد ، فهم شهداء على التوراة ويحكمون لبني اسرائيل ، في عهد محمد ، «بما استُحفظوا من كتاب الله » . والقرآن يشهد لأهل زمانه أن « من لم يحكم بما أنزل الله (في التوراة) ، فأولئك هم الكافرون » . فهو يكفّر من لا يحكم « بما انزل الله » في التوراة : فهي تنزيل الله في زمانه .

٤ — « وكيف يُحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » (المائدة ٤٦).

يستغرب القرآن تحكيم اليهود للنبي العربي، «وعندهم التوراة فيها حكم الله». فالقرآن يؤمن ويعلن أن التوراة في زمانه ، في الحجاز ، عند أهل الكتاب ، « فيها حكم الله » . فهي ليست محرّفة ، وان اختلفوا في تأويل احكامها ، كتأويل رجم الزاني والزانية بالجلد ، واحتكموا الى محمد في التأويل الصحيح . فاتهم القرآن تأويل الرجم بالجلد أنه « تحريف » لمعنى حكم الله . فتهمة التحريف المذكور في القرآن كله ، لهذه المناسبة وحدها ، تعني التأويل الباطل ، لا تغيير اللفظ ، لأن لفظ التوراة هو « حكم الله » حتى القرآن .

٥ — « وآتيناه (عيسى) الانجيل فيه هدى ونور ... وهدى وموعظة للمتقين: وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومَن لم يحكم بما أنزل الله ، فاولئك هم الفاسقون » (المائدة ٤٩ — ٥٠) .

في عقيدة القرآن، ان الانجيل نور وهدى لأهله، وهدى وموعظة للمتقين من العرب . ويأمر أهل الانجيل بالحكم بما انزل الله فيه ، ويفسق في دينه مَن لم يحكم بما أنزل الله في الأنجيل . فالانجيل في زمن محمد تنزيل من الله فيه الهدى للعالمين ، من اهل الكتاب والأميين .

أتصح شبهة تحريف مع هذه العقيدة القرآنية ؟

٦ — ومن الدعوة لإقامة التوراة الاحتكام الى احكامها : « قلْ : فاتوا بالتوراة فاتلوها ، إن كنتم صادقين » (آل عمران ٩٣) .

فلو كانت احكامها محرفة ، لما احتكم محمد في خلافه مع اليهود اليها .

٧ — القرآن يحتكم الى الكتاب في إقامة الاحكام، وفي تقييم العقيدة أيضاً، مثل مكوث المؤمنين في النار : « ألم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب ،

يُدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون» (آل عمران ٢٣).

فالكتاب لم يزل في زمن الدعوة القرآنية «كتاب الله» في العقيدة والشريعة؛ والنبي العربي في خلافه مع اليهود على عقيدة أو شريعة يحتكم اليه بما انه «كتاب الله» ويحجّهم به.

٨ ــ القرآن يحتكم الى الكتاب، بصفة كونه «كتاب الله» في زمانه، جملة وتفصيلاً: «من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه مَن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعاً؛ ومَن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً. ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات، ثم ان كثيراً منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون» (المائدة ٣٥).

جاء رسل الكتاب بالبينات دليلاً على صحته؛ وهو لم يزل حتى القرآن الذي يستشهد به «كتاب الله»؛ وان أسرف أهله في الارض وما أقاموا احكامه حقّ إقامتها.

٩ ــ والقرآن يطلب إقامة التوراة في احكامها لأنها احكام الله لأهل زمانه أيضاً:

«وكتبنا عليهم فيها (التوراة) أن النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالانف، والاذن بالاذن، والسن بالسن؛ والجروح قصاص: فمن تصدّق به فهو كفَّارة له: ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الظالمون» (المائدة ٤٨).

فأحكام التوراة لم تزل على عهد القرآن «ما أنزل الله»: ومَن لم يحكم بها فأولئك هم الظالمون.

١٠ ــ ويخاطب يهود زمانه في تربيبهم الملائكة والانبياء، وخصوصاً الربانيين منهم في السماح للشعب بتربيبهم:

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة ، ثم يقول للناس : كونوا عباداً لي من دون الله ! ولكن كونوا ربَّانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ! ولا يأمركم أن تتخذوه الملائكة والنبيين أرباباً ! – أيأمركم بالكفر ، بعد إذ انتم مسلمون ». (آل عمران ٧٩ – ٨٠).

فاليهود ، في عهد القرآن ، لم يزالوا مسلمين : « بعد إذ انتم مسلمون » ؛ وأهل الكتاب في زمانه هم الذين آتاهم الله ايضاً « الكتاب والحكم والنبوة » . وهم ربَّانيون اي « منسوبون الى الرب ، بزيادة ألف ونون تفخيماً » (الجلالان) لأنهم يدرسون كتاب الرب ويُعلّمونه . فهل في هذا القول من ريبة أو شبهة في تحريفهم الكتاب ؟

١١ – ويلوم اليهود ، في زمانه ، بالايمان ببعض الكتاب والكفر عملياً ببعضه بسبب اقامتهم لبعض احكام التوراة من دون بعض ، وكلها احكام الله :

« واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ، ثم أقررتم وانتم تشهدون . ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، تَظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ؛ وإن يأتوكم أسارى تفادوهم ؛ وهو محرّم عليكم اخراجهم : أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء مَن يفعل ذلك منكم إلّا خزيٌ في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يُردّون الى اشد العذاب ! وما الله بغافل عما تعملون » (البقرة ٨٤ – ٨٥) .

فالقرآن يكفر اليهود ، اذا لم يعملوا بأحكام التوراة ؛ ويلومهم لانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، وجميعها احكام الله ؛ وينذرهم بعذاب الآخرة اذا لم يقيموا أحكام التوراة كلها . وهذا كله لايمانه بأن احكام التوراة كلها احكام الله . فلا مجال للتحريف ، في عقيدة القرآن ؛ بل كله شهادة متواصلة بصحة الكتاب كما وصل الى زمانه في الحجاز .

نلاحظ ان ما يسميه القرآن هنا « الكفر ببعض » احكام التوراة ، يسميه ايضاً « نسوا حظاً مما ذكروا به » (المائدة ١٤ و ١٥) .

١٢ – كتمان اليهود لبعض الكتاب في زمن القرآن ، واختلاف أهل الكتاب من يهود ونصارى في تأويل الكتاب ، ونسيان اليهود والنصارى (المائدة ١٤- ١٥) حظاً مما ذكروا به ، كل ذلك لا يمنع ان الكتاب الذي بين ايديهم في زمن محمد هو « كتاب الله » :

« إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون بـــه ثمناً قليلاً ، أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النار . . . ذلك بأن الله نزّل الكتاب بالحق ؛ وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد » (البقرة ١٧٥ – ١٧٦) .

فالله « نزّل الكتاب بالحق » الذي يختلف فيـــه اليهود والنصارى ؛ والله « انزل من الكتاب » ما يحاول بعض اليهود كتمانه عن الناس في عهد محمد .

فالقرآن كله شهادة متواصلة بصحة الكتاب الذي بين ايدي اهل الكتاب في الحجاز ، على عهد محمد . فلا مجال مع هذه الشهادة المتواصلة لشبهة تحريف في الكتاب ، « الكتاب الذي نزّله الله بالحق » ، محفوظاً الى زمن القرآن .

●

الشهادة الثامنة : أهل الكتاب في زمن محمد يتلون كتاب الله ، وآيات الله.

١ – « وإن يكذبوك فقد كذّب الذين من قبلهم ، جاءتهم رسلهم بالبينات ، والزُبر والكتاب المنير » (فاطر ٢٩) .

« الكتاب المنير » « هـــو التوراة والانجيل » (الجلالان) ؛ « كالتوراة والانجيل ، على إرادة التفصيل دون الجمع ؛ ويجوز ان يُراد بهما واحد ، والعطف

لتغاير الوصفين » (البيضاوي). وعليه نقول : تدل القرائن ان « البينات » كناية عن التوراة، « والزبر» كناية عـــن الزبور اي المزامير ؛ « والكتاب المنير » كناية خاصة عن الانجيل .

وسواء كان « الكتاب المنير » كناية عن الكتاب كله ، أو عن الانجيل خاصة ، ما كان القرآن ليسميه في زمانه « الكتاب المنير » لو كان فيه تحريفاً !

٢ – و « الكتاب المنير » يسميه في آية لاحقة « كتاب الله » كما يتـــلوه أهل الكتاب :

« إن الذين يتلون كتاب الله ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور » (فاطر ٢٩) .

فأهل الكتاب في زمان محمد « يتلون كتاب الله » : فلو كان في تلاوتهم شبهة تحريف ، لما أسماه « كتاب الله » .

٣ – ويلوم اليهود على تعليم البرّ للناس ، وعـــدم العمل به ، وهم الذين يتلون الكتاب :

« أتأمرون الناس بالبرّ ، وتنسون أنفسكم ، وانتم تتلون الكتاب ، افلا تعقلون » ! ؟ (البقرة ٤٤) .

فأهل الكتاب الذين يخاطبهم القرآن يتلون كتاب الله .

٤ – ويستغرب القـــرآن خلاف اليهود والنصارى وهم يتلون كتاب الله الواحد :

« وقالت اليهود : ليست النصارى على شيء ! وقالت النصارى : ليست

اليهود على شيء ! وهم يتلون الكتاب . كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ! فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » (البقرة ١١٣) .

« الذين لا يعلمون » هم في اصطلاح القرآن المشركون الذين لا كتاب منزلاً لهم ، بإزاء اهل الكتاب ، « الذين يعلمون » ، « أولي العلم » ، لانهم اهل كتاب الله . والكتاب لم يزل واحداً قائماً كما نزل ، وان اختلف فيه اهله . فخلافهم في تأويل الكتاب هو دليل على صحته ، في نظر القرآن، لأنهم يتلونه واحداً .

٥ — قيام الليل للصلاة وتلاوة الكتاب عادة نصرانية رهبانية ، لا يهودية ولا عربية ، ولا اسلامية اذ هي « نافلة للنبي » . لذلك فعندما يصف القرآن قوماً مـــن أهل الكتاب بقيام الليل للصلاة و « تلاوة آيات الله » فهو يقصد النصارى ورهبانهم ، فهم « عباد الرحمان ... الذين يبيتون لربهم سُجّداً وقياماً» (الفرقان ٦٣ — ٦٤) . فهم في صلاتهم أيام محمد « يتلون آيات الله » .

القرآن يذكر المسلمين « خير أمة أُخرجت للناس » (آل عمران ١١٠) ، ثم اليهود الذين « يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق » (آل عمران ١١٢) ، وأخيراً يميز من اهل الكتاب النصارى :

« ليسوا سواء : من اهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ! يؤمنون بالله واليوم الآخر ! ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر! ويسارعون في الخيرات ! واولئك من الصالحين » (آل عمران ١١٣ — ١١٤).

فاليهود ، في زمن محمد ، « يتلون آيات الله » وان كفروا بها !

والنصارى ، في زمن محمد ، « يتلون آيات الله ، آناء الليل ، وهم يسجدون » .

فالتوراة والانجيل، والكتاب كله ، كما يتلوه اهله في الحجاز ، على ايام محمد هو « آيات الله » : فكيف تكون محرفة ؟

٦ – « وأشرقت الأرض بنور ربهـــا ، ووضع الكتاب ، وجيء بالنبيين والشهداء ... وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً ... وقال لهم خزنتُها : ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ، وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ (الزمر ٦٩ – ٧١) .

« يتلون عليكم آيات ربكم » اي « القرآن وغيره » (الجلالان) . والآية تقصد كل الكتب المنزلة ، لقوله « رسل منكم » فإلى يوم القيامة يظل الكتاب كله « آيات الرب » . فكيف يدخله تحريف ؟

٧ – في مطالع بعض السور ؛ استفتاح : « تلك آيات الكتاب » والقرآن يقصد بها آيات الكتاب لانه يميز في مطالع أخرى بين الكتاب والقرآن، بالتعبير عنه : « تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » (النمل ١ ؛ الحجر ١) ؛ أو بقوله : « تلك آيات الكتاب المبين : إنا أنزلناه قرآنا » عربياً (يوسف ١) . وبسبب قوله « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن خبير حكيم » (هود ١) – **ومهمة التنزيل للكتاب ، والتفصيل للقرآن** – فذكر الكتاب في هذه المطالع يعني الذي بين ايدي اهل الكتاب : فالقرآن يشهد في مطالع سوره بتنزيل الكتاب وصحته يوم نزول القرآن المبيّن للكتاب والمفصّل له :

« تلك آيات الكتاب المبين » (الشعراء ١) .

« تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » (النمل ١) .

« تلك آيات الكتاب المبين » (القصص ١) .

« تلك آيات الكتاب الحكيم » (يونس ١ لقمان ١) .

« كتاب أحكمت آياته ، ثم فُصلت من لدن خبير حكيم » (هود ١) .

« تلك آيات الكتاب المبين ، إنا أنزلناه قرآناً عربياً » (يوسف ١) .

« تنزيل من الرحمان الرحيم : كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً » (فصلت١).

« والكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآنا عربياً (الزخرف ١) .

« تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » (الجاثية ١ الاحقاف ١) .

في هذه المطالع يشهد القرآن بأن الكتاب تنزيل من الله العزيز الحكيم ، وأن القرآن « تفصيل » له أي تعريب . وقد جمع ذلك في مطلع سورة البقرة :

« ألم . ذلك الكتاب ، لا ريب فيه ، هدى للمتقين ... الذين يؤمنون بما أُنزل اليك وما أنزل من قبلك » (١ — ٣) .

فالكتاب هو ما أنزل الى محمد قرآناً عربياً ، وما أُنزل من قبله . وما أنزل من قبله « هو الكتاب ، لا ريب فيه ، هدى للمتقين » من العرب ، كما هو هدى لاهل الكتاب .

٨ — ففي الكتاب الذي في الحجاز على زمن محمد « البينات والهدى » : فمن كتم آياته عن الناس يلعنه الله :

« إن الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب ، اولئك يلعنهم الله ، ويلعنهم اللاعنون » (البقرة ١٥٩) .

فالكتاب في زمن محمد فيه « البينات والهدى » كما بيّنه الله للناس من قبل .

٩ — واليهود « ضُربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباؤوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ؛ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (البقرة ٦١) .

فاليهود، بما عصوا وكانوا يعتدون، «كفروا بآيات الله». ومع كفرهم بها، فهي لم تزل في زمن محمد «آيات الله».

١٠ – لقد شهد الله والملائكة وأولو العلم من أهل الكتاب: «ان الدين عند الله الاسلام؛ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب (اليهود)، إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم: ومن يكفر **بآيات الله**، فإن الله سريع الحساب... إن الذين يكفرون **بايات الله**، ويقتلون النبيين بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس (النصارى)، فبشرهم بعذاب أليم» (آل عمران ١٨ – ٢١).

فالكفر عملياً بكتاب الله الذي معهم، طيلة تاريخهم، يجعل اليهود موضع وعيد لهم بعذاب أليم، لانهم «يكفرون بآيات الله». فالكتاب مع شذوذ اليهود عنه لم يزل منذ موسى حتى محمد «آيات الله»، بشهادة مكررة، متواترة.

١١ – ففي زمن محمد لم يزل الكتاب «آيات الله» كما نزلت:

«وانّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أُنزل اليكم، وما أُنزل اليهم، خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، أولئك لهم أجرهم عند ربهم، ان الله سريع الحساب» (آل عمران ١٩٩).

إن أهل الكتاب في زمن محمد يؤمنون بالله وبما أُنزل اليهم، فما يزال كتابهم تنزيل الله، لا تحريف فيه؛ «ولا يشترون بآيات الله» – «التي عندهم في التوراة والانجيل» (الجلالان) – «ثمناً قليلاً»: فالتوراة والانجيل في زمن محمد والقرآن هما «آيات الله».

١٢ – فالقرآن في سورة آل عمران، يختم السورة ويستفتحها باعلان ايمانه بتنزيل التوراة والانجيل والقرآن، التي فيها جميعاً «آيات الله».

«الله ... نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ... إن الذين يكفرون بآيات الله لهم عذاب شديد ، والله عزيز ذو انتقام» (آل عمران ١ — ٤) .

فالكتاب المقدس لم يزل ، حين تنزيل القرآن ، تنزيل الله وفيه (آيات الله) . وهذه العقيدة القرآنية الشاملة تقضي على كل شبهة تحريف في الكتاب .

ومَن يقل ، باسم القرآن ، ان في الكتاب المقدس تحريفاً ، فهو يشهد على القرآن شهادة زور .

•

الشهادة التاسعة : المبدأ القرآني العام : «لا مبدّل لكلماته»

١ — ان القرآن يردّد مراراً : لا مبدّل لكلمات الله في كتابه ، سواءٌ في أصلها كما وردت في الكتاب ، او بتفصيلها في القرآن ، لأن القرآن هو «الكتاب مفصلاً» :

«أفغير الله أبتغي حكماً ، وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً ؟ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق ، فلا تكوننّ من الممترين . وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً ، **لا مبدّل لكلماته** ، وهو السميع العليم» (الانعام ١١٤ — ١١٥) .

القرآن تفصيل الكتاب : هذه عقيدة راسخة متواترة في القرآن . وما القرآن ايضاً سوى «الكتاب مفصلاً» : فالتنزيل فيهما واحد، في عرف القرآن. وتفصيل الكتاب في القرآن صدق وعدل ، لانه «لا مبدّل لكلماته» . فلو كان الكتاب محرفاً ، كان تفصيله في القرآن مبدلاً لكلماته ، لا صدق فيه ولا عدل . فهو يقرّر مرّتين ان الكتاب «كلمات الرب» لا تبديل لها . فكيف يشهدون على القرآن زوراً وبهتاناً انه يقول بتحريف في الكتاب .

٢ – لا تبديل لكلمات الله ، ما بين الكتاب والقرآن :

« واتلُ ما أوحي اليك من كتاب ربك : **لا مبدّل لكلماته** » (الكهف ٢٧).

٣ – لا تبديل لكلمات الله في حرفها ، ولا في معناها ومواعيدها :

« ولقد كُذّبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كُذّبوا وأوذوا ، حتى أتاهم نصرنا ، **ولا مبدّل لكلمات الله** » (الانعام ٣٤) .

فكلمات الله التي نزلت مع الرسل ، وان كذّب بها الناس ، لا مبدّل لها ، في حرفها أو في معناها : « لا مبدّل لكلمات الله » ، حتى زمن محمد .

٤ – لا تبديل لكلمات الله في وعدها ولا في وعيدها :

« لهم (أولياء الله) البشرى في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة : **لا تبديل لكلمات الله** ، ذلك هو الفوز العظيم » (يونس ٦٤) .

وهكذا اذا وقع في كتاب الله تحريف ، كما يزعمون ، يسقط مبدأ القرآن نفسه : « لا مبدّل لكلماته » ، فالله نفسه يحفظ « ذكره » .

●

الشهادة العاشرة : المبدأ القرآني الثاني : الله يحفظ كتابه

الذكر ، في لغة القرآن ، كناية عن الكتاب ؛ وهي صفة يطلقها القرآن على نفسه وعلى الكتاب : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (الانبياء ٢٤) ؛ « فاسألوا أهل الذكر ، إن كنتم لا تعلمون بالبينـــات والزبر » (النحل ٤٣ الأنبياء ٧) ؛ « لقد كتبنا في الزبور ، من بعد الذكر ، أن الارض يرثها عبادي الصالحون » (الانبياء ١٠٥) . لذلك عندما يشرع القرآن المبدأ :

« إنّا نحن نزّلنا الذكر ، وإنّا له لحافظون » (الحجر ٩) .

فلا يقصر قوله على القرآن ، كما يزعمون ، بل يعنى « الذكر » على الاطلاق ، أي كل كتاب منزل ، خصوصاً الكتاب الذي مع « أهل الذكر » ، أي أهل الكتاب ؛ فهم « أهل الذكر » المحفوظ قبل غيرهم ؛ و « الذكر » على الاطلاق هو عند « أهل الذكر » .

ونوجز موقف القرآن من صحة الكتاب كله ، كما وصل الى الحجاز ، على زمن الدعوة القرآنية ، **بهذا المبدإ** الذي شرعه القرآن : « إنا نحن نزّلنا الذكر ، وإنّا له لحافظون » « من التبديل والتحريف والزيادة والنقص » (الجلالان) ؛ **وبهذا الواقع** الذي يشهد له القرآن شهادة مطلقة مانعة : «أولئك الذين آتيناهم الكتاب، يتلونه حق تلاوته» اي « يقرؤونه كما أنزل » (الجلالان) فلا تحريف في الكتاب على الاطلاق ، بنص القرآن القاطع ، ولا من يفرحون ، ولا من يحزنون ، ولا من يفترون .

فصحة الكتاب كله ، وصحة الانجيل خاصة ، وصحة التنزيل فيهما ، عقيدة راسخة متواترة في سور القرآن كله .

والنتيجة المحتومة انه في الحوار بين المسلمين والمسيحيين يصح الاستشهاد بالانجيل ؛ وشهادته هي شهادة الله في وحيه وتنزيله .

وتلك هي **القاعدة الخامسة** للحوار الاسلامي المسيحي .



بحث رابع

هل نسخ القرآن التوراة والانجيل ؟

(القاعدة السادسة في الحوار المسيحي الاسلامي)

توطئة : النسخ ميزة القرآن وحده في الناسخ والمنسوخ منه .

قال جلال الدين السيوطي في (الاتقان ٢ : ٢٢) : « النسخ مماً خصَّ الله به هذه الأمة » .

فالنسخ في القرآن مـن خصائص القرآن في أحكامه من الناسخ والمنسوخ . أمّا فكرة نسخ القرآن للتوراة والانجيل فهي غريبة عن القرآن ولا يقول بها على الاطلاق .

والنسخ يقع في العقيدة أو الشريعة ؛ والعقيدة تسمى في القرآن الهدى ؛ والشريعة تسمى الدين . **والمبدأ العام** في القرآن أن الهدى في التوراة والانجيل والقرآن واحد ، لذلك يأمر القرآن نبيه : « اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ... اولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتدهْ » (الانعام ٩١) : فـلا نسخَ في العقيدة ما بين القرآن والكتاب كله . **والمبدأ العام** في القرآن ايضاً ان الدين في التوراة والانجيل والقرآن واحد ، لذلك يقول : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ... والذي أوحينا اليك – وما وصينا به ابراهيم وموسى

وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (الشورى ١٣) : فلا نسخ في الشريعة والدين ما بين توراة موسى وانجيل عيسى وقرآن محمد .

فمن أين جاؤوا ببدعة نسخ القرآن للتوراة والانجيل ؟

●

اولاً : النسخ في لغة القرآن

ترد لفظة (نسخ) في أربع آيات قرآنية لا غير :

١ — « هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق : إنا كنا نستنسخُ ما كنتم تعملون » (الجاثية ٢٨) .

فسره الجلالان : « هذا كتابنا : ديوان الحفظة — الملائكة الحفظة — كنا نستنسخ : نثبت ونحفظ ما كنتم تعملون » . فالأمر هنا يتعلق بملائكة الله الذين يسجلون اعمال البشر ليوم الدين .

٢ — « ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح في نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » (الاعراف ١٥٣) — النص صريح ، لا يحتاج الى تعليق .

٣ — « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيّته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يُحكم الله آياته ، والله عليم حكيم » (الحج ٥٢) .

فسره الجلالان : « تمنى : قرأ ؛ أمنيته : قراءته . وقد قرأ النبي ص. في سورة النجم ، بمجلس من قريش ، بعد (أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الاخرى) بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ص. (تلك الغرانيق العلى ، وإن

شفاعتهنّ لتُرتجى) . ففرحوا بذلك . ثم اخبره جبريل بما القاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن . فسلّي بهذه الآيات » . فالنسخ المذكور هو اذن من خصائص القرآن في تنزيله ، ولا يعني نسخ كتاب بكتاب ، أو شرع بشرع . والنسخ عند كل « رسول أو نبي » من قبل محمد يتعلق بنسخ ما يلقيه الشيطان في الوحي ، لا بأحكام الكتاب .

٤ – « ما ننسخ من آية أو نُنسها (ننسِئْها) ، نأت بخير منها او مثلها : ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير » ؟ (البقرة ١٠٦) .

تلك هي آية النسخ الشهيرة . وهي صريحة أنها تحصر نسخ آية بآية في القرآن نفسه . فسرها الجلالان : « نزلت لما طعن الكفار في النسخ وقالوا ؛ إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر ، وينهى عنه غداً » ! فالنسخ اذن من خصائص القرآن في تنزيله ، ولا علاقة له على الاطلاق بنسخ كتاب منزل بكتاب آخر منزل ، أو بنسخ شرع منزل بشرع آخر منزل .

هذا هو الواقع القرآني في لغة النسخ : إن القرآن يحصر مبدأ النسخ في آياته وأحكامه ، ولا ينظر في تطبيق مبدإ النسخ على كتاب غيره .

فالاستناد الى آية النسخ للقول بنسخ كتاب بكتاب أو شرع بشرع هو فرية على القرآن ، والقرآن منها براء .

●

ثانياً : النسخ في علوم القرآن

يذكر السيوطي في (الاتقان ٢ : ٢٠ – ٢١) معاني النسخ ، فيقول :

« يرد النسخ ١) بمعنى **الإزالة** ، ومنه قوله : « فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم

يحكم الله آياته » (الحج ٥٢) . ٢) وبمعنى **التبديل** ، ومنه : « واذا بدّلنـــا آية مكان آية ، والله أعلم بما ينزل ، قالوا : انما أنتَ مفترٍ ! بل اكثرهم لا يعلمون» (النحل ١٠١) . ٣) وبمعنى **التحويل** ، كتناسخ المواريث مـــن واحد الى واحد[1] . ٤) وبمعنى **النقل** من موضع الى موضع ، ومنه (نسخت الكتاب) اذ نقلت ما فيه حاكياً للفظه وخطه ... يشهد قوله تعالى (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) ... النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحِكم منها التيسير . وقد أجمع المسلمون على جوازه . وأنكره اليهود ظناً منهم أنه بَداء » .

وفي هذه المعاني كلها يحصر القرآن أنواع النسخ واسماءه وأشكاله بنفسه ، لا ينظر فيها الى غيره .

وقد ألفوا كتباً في « الناسخ والمنسوخ » من القرآن ، تنحصر فيه ، ولا تطال سواه .

•

ثالثاً : القول بنسخ القرآن للتوراة والانجيل في العقيدة ينقض القرآن نفسه .

١ — الكتاب في الثلاثة واحد .

القرآن يعلن وحدة الكتاب في التوراة والانجيل والقرآن : « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (البقرة ٢١٢) . فالكتاب واحـــد في التوراة والانجيل والقرآن ، فلا نسخ بينها .

والقرآن ينذر بعذاب النار من يكفر بأحد الكتب الثلاثـــة لأنها كلها

---

(١) في آخر سورة الانفال نسخ الارث بالموالاة . بالارث بالرحم ، في آيتين متقاربتين .

الكتاب : « الذين كذّبوا بالكتاب ، وبما ارسلنا به رسلنا ، فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل ، يُسحبون في الحميم ، ثم في النار يُسجرون » (غافر ٧٢) .

٢ — **التنزيل في الثلاثة واحد** : « الله . . . نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ؛ وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس ؛ وانزل الفرقان » (آل عمران ١ — ٣) .

فالكتب الثلاثة تنزيل الله ، فلا ينسخ بعضها بعضاً ، بل ، في نظر القرآن ، يصدّق بعضها بعضاً : « وقفينا على اثرهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة . وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين . . . وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » اي شاهداً له (المائدة ٤٦ — ٥١) . فالكتاب الذي يصدّق كتاباً لا ينسخه .

٣ — **الاسلام في الثلاثة واحد** : « قل : آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين احد منهم ونحن له مسلمون : ومَن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٣ — ٨٥) .

فالاسلام ، في نظر القرآن ، واحد من ابراهيم الى موسى الى عيسى الى محمد ؛ ولا دين عند الله غير هذا الاسلام التوراتي الانجيلي القرآني : فهل ينسخ الاسلام نفسه بنفسه ؟ !

٤ — **ومن الاسلام الايمان بكتبه تعالى ورسله بلا تفريق** : « يا ايها الذين آمنوا ، آمنوا بالله ورسوله ، والكتاب الذي نزّل على رسوله ، والكتاب الذي

انزل من قبلُ : ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالاً بعيداً (النساء ١٣٥) . والمسلمون مأمورون بالايمان « بالكتاب كله » (آل عمران ١١٩) .

وهذا الايمان لا يضيره اختلاف طــرق العبادة : « ليس البرّ ان تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ! ولكن البر مَن آمن بالله واليوم الآخــر والملائكة والكتاب والنبيين » (البقرة ١٧٧) .

فالكتاب واحد ، والنبوة واحدة ، والاسلام واحد ، والايمان واحــد : فهل من نسخ مقبول معقول ، بعد هذا كله ، في نظر القرآن ؟

٥ ــ إن الكتاب هو إمام القرآن في الهدى والبيان ، فكيف ينسخه ؟

قال : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً (الاحقاف ١٢) . فالكتاب هو إمام القرآن ، وما القرآن سوى نسخة عربية مصدّقة للكتاب الإمام ، فكيف تنسخه ؟

٦ ــ اعلان القرآن أنه لا يفرّق بين كتب الله ورسله شاهد انه لا ينسخها : « لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦ آل عمران ٨٥) .

٧ ــ اعلان القرآن المتواتر أنــه « تصديق » الكتاب كله برهان قاطع على عدم نسخه :

« وآمنوا بما أنزلتُ مصدّقاً لما معكم » (البقرة ٤١) .

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم » (البقرة ٨١) .

« وهو الحق مصدق لما معهم » (البقرة ٩١) .

« نزّله على قلبك بإذن الله مصدّقاً لما بين يديه » (البقرة ٩٧) .

« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدّق لما معهم » (البقرة ١٠١) .

« الله ... نزّل عليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه » (آل عمران ٣).

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزّلنا مصدقاً لما معكم » (النساء ٤٦).

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه» (المائدة ٤٧) .

« وهذا كتاب أنزلناه بالحق مبارك مصدّق الذي بين يديه » (الانعام ٩٢).

« وما كان حديثاً يُفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه » (يوسف ١١١).

« والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه» (فاطر ٣١).

« ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدق لساناً عربيّاً» (الاحقاف ١٢) .

« إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه » (الاحقاف ٣١) .

« وما كان هذا القرآن ان يُفترى من دون الله ، ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الكتاب ، لا ريب فيه ، من رب العالمين » (يونس ٣٧) .

فسر البيضاوي هذه الآية الاخيرة : جاء **تصديقاً أي مطابقاً** لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهودة على صدقها . . . (فهو) شاهد على صحتها . وتفصيلاً للكتاب اي تفصيل ما أثبت وحقق من العقائد والشرائع » .

فالقرآن تصديق للكتاب اي مطابق له : فكيف يتجاسر أحدهم ويزعم انه نسخه ؟!

فالقول بأن القرآن نسخ التوراة والانجيل هو نقض لتعليم القرآن كله . وما يقول بذلك إلاّ جاهل بالقرآن أو متجاهل لتعليمه .

صفة القرآن انه « تصديق » التوراة والانجيل : والقول بالتصديق والنسخ نقيضان لا يتفقان .

فليس في القرآن تعليم لنسخ التوراة والانجيل ؛ بل « تصديق الذي بين يديه » اي قبله (يونس ٣٦) .

•

رابعاً : والقول بنسخ شرع القرآن لشرع التوراة والانجيل ينقض القرآن نفسه .

في هذا الباب للقرآن ثلاثة مواقف . وفيها جميعاً لا ذكر لنسخ شرع بشرع.

١ - في **الموقف الاول** يعلن انه ينقل للعرب شرع الكتاب وسننه :

١) « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً - والذي أوحينا اليك - وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (الشورى ١٣) .

فسره البيضاوي : « اي شرع لكم من الدين ، دين نوح ومحمد وما بينهما من **أرباب الشرع** ، وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله (أقيموا الدين) وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله » . فالدين يعني الشريعة او الشرع ، لأنه الطاعة في أحكام الله .

ففي هذه الآية ثلاثة تصاريح : الاول ان الشرع من نوح الى ابراهيم الى موسى الى عيسى الى محمد هو واحد ؛ الثاني ان **القرآن يشرع للعرب شرع**

الكتاب؛ الثالث انه لا يصح تفريق في الشرع بين شرع ابراهيم وشرع موسى وشرع عيسى وشرع محمد .

فالقرآن الذي يشرع للعرب شرع الكتاب لا ينسخ شرعه شرع الكتاب.

٢) « يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سُنن الذين من قبلكم » (النساء ٢٥).

فسره الجلالان : « سنن الذين من قبلكم : طرائق الانبياء في التحريم والتحليل » .

فالقرآن الذي يهدي العرب ويبين لهم طرائق الانبياء في التحريم والتحليل، كيف ندّعي انه ينسخ شرائع الانبياء في التحليل والتحريم ؟

٢ — **في الموقف الثاني** يعلن استقلال كل امة في شرعها :

١) « إنا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها . . . الربانيون والاحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ... ومَن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون » (المائدة ٤٧) .

« وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ... وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (المائدة ٤٩ — ٥٠).

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه : فاحكم بينهم بما انزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عمّا جاءك من الحق » .

« لكلٍ جعلنا منكم شِرْعة ومنهاجاً ! ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة » (المائدة ٥١) .

فالقرآن يأمر أهل التوراة بشرعها ؛ وأهل الانجيل بشرعه ؛ وأهل القرآن

بشرعه . ثم يعطي المبدأ العام في الشرع : « لكل جعلنا منكم شِرْعة ومنهاجاً » ؛ وهو مبدأ استقلال الامم الثلاثة بشرع كتابهم . وقد فسره الجلالان : « لكل جعلنا منكم ، ايها الامم ، شريعة وطريقاً واضحاً في الدين تمشون عليه ، ولو شاء الله لجعلكم على شريعة واحدة ؛ ولكن فرّقكم فرقاً ليختبركم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة ، لينظر المطيع منكم والعاصي ، فسارعوا الى الخيرات » .

٢) ولما فارق محمد قبلة أهل الكتاب جاء : « ولكل وجهة هو مولِّيها : فاستبقوا الخيرات » (البقرة ١٤٨) . قال البيضاوي : « والمعنى : كل وجهة ، الله مولّيها أهلها » . قال الجلالان : « ولكل من الامم قبلة هو مولّيها وجهة في صلاته ، فبادروا الى الطاعات وقبولها » .

لكل أمة إذن قبلة مستقلة : فلا تنسخ قبلة قبلة . والقبلة عنوان الدين .

٣) ولما شرع الحج الى مكة ، بدل بيت المقدس ، جاء : « لكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام : فإلهكم إله واحد فله أسلموا » (الحج ٣٤) ؛ « لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه : فلا ينازعنّك في الامر » (الحج ٦٧) .

تحويل الحج من بيت المقدس الى مكة ليس تحويلاً في الاسلام : فلا داعي للنزاع في الامر . والمبدأ العام : لكل أمة منسك وحج ، كما لكل أمة شرع مستقل .

فسّره الجلالان : « لكل أمة جعلنا شريعة هم عاملون بها : فلا تنازعنّهم في الامر ! وادعُ الى دين ربك إنك لعلى دين مستقيم » . وكل أمة من الثلاثة على دين مستقيم في الاسلام الواحد لأن لكل أمة منسكاً أو شريعة .

وهكذا يشرع القرآن جملة وتفصيلاً استقلال الامم الثلاثة في شرعها . وفي هذا الموقف أيضاً لا ينسخ القرآن شرعاً بشرع !

٣ – **وفي الموقف الثالث** يقرّ أهل الكتاب على أحكام شريعتهم :

١) المبدأ القرآني العام : «لكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجاً» (المائدة ٥١).

٢) **وتحريضه** : « قلْ : يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » (المائدة ٧١) .

ويعدهم بخيرات الارض اذا أقاموها : « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم ، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » (المائدة ٦٩).

إن القرآن يحرّض أهل التوراة وأهل الانجيل على إقامة شريعتهم ، فكيف نفتري على القرآن بأنه نسخ هذه الشريعة ؟ !

ونلاحظ ان هذا التحريض يأتي بعد قوله : «فاحكم بينهم أو اعرض عنهم» (المائدة ٤٥) ؛ « فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءَهم عمـــا جاءَك من الحق » (المائدة ٥١) ؛ « وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبـــع أهواءهم » (المائدة ٥٢) . لذلك تلك الاقوال السابقة لا تنسخ استقلال أهل الكتاب على شريعتهم ، مهما اختلف الفقهاء في ذلك . قال الزمخشري : « قيل : كان رسول الله ص مخيراً اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم ، وبين ان لا يحكم . وعن عطاء والنخعي والشعبي أنهم اذا ترافعوا الى حكام المسلمين فإن شاؤوا حكموا وان شاؤوا أعرضوا . وقيل هو منسوخ بقوله : « واحكم بينهم بما أنزل الله » . وعند ابي حنيفة : « ان احتكموا الينا حُملوا على حكم الاسلام » (في تفسير المائدة ٤٦) .

فالمبدأ العام : « لكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجاً » ؛ **وتحريض القرآن** لاهل الكتاب بإقامة التوراة والانجيل الذي ورد بعد الآية المشبوهة في نسخ المبدإ العام (المائدة ٥٢) ، يجعلان مبدأ استقلال الشرائع محكماً لا نسخ فيـــه . فلا يصح ، بنص القرآن القاطع في المبدإ العام والتحريض ، حمل أهل الكتاب

على حكم المسلمين . فإذا احتكموا الى المسلمين ، يُحملون على حكم كتابهم : «وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله؟» (المائدة ٤٦)؛ والانجيل «هدى وموعظة للمتقين : وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ؛ **ومن لا يحكم بما أنزل الله فيه** ، فأولئك هم الفاسقون» (المائدة ٥٠) فالحكم بشرع الانجيل مطلق. ولا شيء في الآية التالية : «وأن احكم بينهم بما أنزل الله» (المائدة ٥٢) يدل على أنها ناسخة لما قبلها؛ ويفسرها تنفيذ هذا الحكم ، فقد حكم محمد على الزانيين من خيبر بالرجم وهو حكم التوراة .

وفي هذا الموقف الثالث ايضاً الذي يقر مبدأ استقلال أهل التوراة وأهل الانجيل وأهل القرآن ، في شرعهم ، لا شبهة على الاطلاق لنسخ شرع بشرع .

وهكذا كيفما تأملنا القرآن في مواقفه كلها من الشرع ما بين القرآن والكتاب والانجيل ، لا نجد أساساً لشبهة النسخ لشرع بشرع آخر .

والمقالة بذلك بدعة في الاسلام ، وفرية على القرآن .

فليس في القرآن نسخ عقيدة بعقيدة ، ولا شريعة بشريعة : فالكتاب إمام القرآن في العقيدة والشريعة ؛ والقرآن تصديق الكتاب والانجيل في العقيدة والشريعة .

تلك هي **القاعدة السادسة** في الحوار المسيحي الاسلامي .



بحث خامس

الانجيل الواحد ، والانجيل الرباعي
(القاعدة السابعة في الحوار الاسلامي المسيحي)

تهمة شائعة على صحة الانجيل الذي بين ايدي المسيحيين اليوم : أنّ القرآن يذكر الانجيل الذي نزل على عيسى بصيغة المفرد المُعلَم ، ولا يعرف له تعدّداً؛ **فالانجيل واحد** ، **بنظر القرآن** . ونحن نرى عند المسيحيين ، كما يقرون هم انفسهم ان عندهم **اربعة** اناجيل . لذلك على حد قولهم ، من المحال ان تكون هي الانجيل الذي نزل على السيد المسيح : فهي منحولة اذن ومحرّفة ؛ واقعان يتناقضان ، ما بين الانجيل والقرآن .

على رسلكم ، يا قوم : الواقعان لا يتناقضان ؛ والتاريخان يتشابهان ؛ وعلى ضوء البرهان يقوم اليقين والايمان .

اولاً : الواقع القرآني والانجيل

أجل إن **القرآن** لا يذكر الانجيل إلا مفرداً ، فهو في عرْفه واحد .

والاناجيل الاربعة تذكر ايضاً ان الانجيل واحد : « وبعدما أُلقي يوحنا في السجن ، اتى يسوع الى الجليل يدعو بانجيل الله . قال : « لقد تم الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٤ - ١٥) ؛

« وكان يطوف في الجليل كله ، يعلّم في جوامعهم ويبشّر بانجيل الملكوت » (متى ٤ : ٢٣) ؛ وفي محسنة ليسوع قال : « الحق اقول لكم : انه حيثما دُعي بالانجيل في العالم كله يُخبر ايضاً بما فعلت هذه تذكاراً لها » (متى ٢٥ : ١٣) . وقبل رفعه الى السماء أوصى تلاميذه : « اذهبوا في العالم اجمع ، وادعوا بالانجيل الخليقة كلها » (مرقس ١٦ : ١٥) .

وبولس في الدعوة بالمسيحية يدعو للانجيل الواحد : « فـــاني لا استحي بالانجيل ، لانه قدرة الله لخلاص كل مَن يؤمن ، من اهل الكتاب اولًا ، ثم من الأميين » (رو ١ : ١٦) . وفي معيشة رسل الانجيل يقول : « هكذا رتب الرب : ان الذين يدعون بالانجيل ، يعيشون من الانجيل » (ا كو ٩ : ١٤). وفي وصيته الأخيرة لتلميذه تيموتاوس يقول : « لا تستحي بالشهادة لربنا ، ولا بي انا أسيره بل اشترك في مشقات الانجيل، على حسب قوة الله » (تيم ١:٨).

هذا هو الواقع الانجيلي : فالاناجيل الاربعة ، مــــع رسائل الرسل الذين يدعون بالانجيل ، تذكر الانجيل دائماً بالمفرد المعْلم ! فهو في عرْف الاناجيل الاربعة، ودعاة المسيحية ، انجيل المسيح الواحد ، وإن دوّنوه بأربعة « احرف » او نصوص ، باتفاق المعاني واختلاف الالفاظ ، بسبب اختلاف البيئات الاربع التي دُون الانجيل فيها ، ولها قبل غيرها .

عن شهادة الاناجيل الاربعة ، نعرف اذن **ان الانجيل واحد بأربعة احرف**.

فهل في ذلك التعدّد شبهة على صحة انجيل المسيح الواحد ؟

•

ثانياً : نزول الانجيل على أربعة أحرف ، ونزول القرآن على سبعة أحرف .

من القدر الذي يربط تاريخ تدوين القرآن ، بتاريخ تدوين الانجيل ، نصل الى هذه المقارنة اللطيفة .

١ – مشهور الحديث الشريف في نزول القرآن **«على سبعة احرف»**.

١) نقل **السيوطي في** (الاتقان ١ : ٤٦) : «ورد حديث (نزل القرآن على سبعة احرف) من رواية جمع من الصحابة ... فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً. وقد نص أبو عبيد على تواتره . واخرج ابو يعلى في (مسنده) ان عثمان قال على المنبر : اذكر الله رجلاً سمع النبي ص قال : (ان القرآن أُنزل على سبعة احرف كلها شاف كاف) ؛ لمّا قام فقاموا حتى لم يُحصوا ، فشهدوا بذلك . فقال : « وأ اناشهد » .

وعلق على هذا الحديث بقوله : « اختُلف في معنى هذا الحديث على نحو اربعين قولاً ... (منها) ان المراد سبعة اوجه **من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة**، نحو أقبلْ وتعالَ وهلمّ وعجّل واسرع ... والى هذا ذهب سفيان ابن عُيينة وابن جرير (الطبري) وابن وهب وخلائق . ونسبه ابن عبد البرّ **لاكثر العلماء** ... قال ابن عبد البرّ : الحروف التي نزل عليها القرآن ، **انها معان متفق مفهومها ، مختلف مسموعها** ، لا يكون في شيء منها معنى وضده ، ولا وجه يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده » .

وينهي السيوطي بحثه بقوله : «وقد ظن كثير من العوام ان المراد بها (الاحرف السبعة) القراءات السبع لمصحف عثمان، **وهو جهل قبيح** » (١ : ٥١).

٢) **والطبري** ، شيخ المفسرين ، يصدر تفسيره[١] بشرح الحديث الشهير . يبدأ فيعرّف به : « **ان اختلاف الاحرف السبعة هو اختلاف الالفاظ باتفاق المعاني** » (١ : ٤٨) . ثم يرد على من فسّره غير هذا التفسير ، كما نقل السيوطي. ويرد خصوصاً على مَن تذرّع بالآية : « افلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » (النساء ٨٢) ، ليرفض تفسيره ؛ فقال :

---

(١) نشر الاخوين شاكر ، بيروت

انهـــا تقصد اختلاف المعاني والاحكام ، لا اختلاف الالفاظ والتعابير ، بدليل اختلاف الصحابة كل في قراءته ، وتصويب النبي لهم جميعاً (١ : ٤٨) . اذن قبل تدوين عثمان ، **كان للقرآن سبعة احرف اي سبعة نصوص** ، باتفاق المعاني .

ويعرض الطبري للسوآل البديهي : « فإن قال قائل : **ما بال الاحرف الستة غير موجودة** ، إن كان الامر على ما وصفت ، وقد اقرهن رسول الله ص. وامر بالقراءة بهنّ الامة ، وهي مأمورة بحفظها : **فذلك تضييع ما قد أمِروا بحفظه ؟** ام ما القصة في ذلك ؟ – قيل له : لم تنسخ فترفع ؛ ولا ضيعتها الامة ؛ ولكن الامة أُمرت بحفظ القرآن ، وخيّرت في قراءته وحفظه بـــأي تلك الاحرف شاءت . فرأت – لعلّة من العلل اوجبت عليها الثبات عـــلى حرف واحد – قراءته بحرف واحد ، ورفض القراءة بالاحرف الستة الباقية » (١ : ٥٩) .

والعلة التي اوجبت اتـــلاف الاحرف او النصوص القرآنية الستة ، كانت اختلاف المسلمين واقتتالهم على افضلية حرفهم ، من مكة بحضرة الخليفة الى الثغور في معارك القتال والفتح (١ : ٦٢) . ويقول : « **ان الاحرف الستة الاخر اسقطها عثمان** ومنع من تلاوتها ، ولا حاجة بنا الى معرفتها » (١ : ٦٦) .

٣) ومن الذين تابعوا الطبري في تفسيره الصحيح لحديث الاحرف السبعة المتواتر ، الزنجاني ، قال : « المراد بالأحرف السبعة اوجـه من المعاني المتفقة ، بالألفاظ المختلفة »

٤) وابو جعفر **النحاس** في (كتاب الناسخ والمنسوخ) يقول : « يفهم من من سلف الامة ، وخيار الائمة ان معنى (نزل القرآن على سبعة احرف) من انه **نزل بسبع لغات** ، وأمر بقراءته **على سبعة السن** ، باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني . ومن الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود ، وابي بن كعب ، وسائر مَن قدّمنا الرواية عنهم ، انهم تماروا في القرآن ، فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة ، دون ما في ذلك من المعاني . وانهم احتكموا

الى النبي ص. فاستقرأ كل رجل منهم ، ثم صوّب جميعهم في قراءتهم على اختلافها، حتى ارتاب بعضهم لتصويبه إياهم ، فقال رسول الله ص. للذي ارتاب منهم عند تصويبهم جميعاً : ان الله امرني ان اقرأ القرآن على سبعة احرف » .

من هذا العرض الصريح لحديث الاحرف السبعة وجمع القرآن العثماني نستخلص الحقائق التالية :

الاولى : كان للقرآن قبل عثمان سبعة احرف او نصوص ، متفقة المعاني ، مختلفة الالفاظ .

الثانية : أتلف الخليفة عثمان بن عفان ستة نصوص مختلفة للقرآن الواحد واحتفظ بنص واحد فرضه على الامة ، وهو النص الوحيد الذي نقرأ به القرآن حتى اليوم .

الثالثة : لم تكن لجان عثمان معصومة في اختيار النص الافضل : انما عملت برأيها .

•

ونعرف من الاناجيل الاربعة القائمة في المسيحية حتى اليوم ، وبشهادة التاريخ المسيحي كله ، **ان الانجيل الواحد دوّن بأربعة احرف او نصوص** : الانجيل بحسب متى ، الانجيل بحسب مرقس ، الانجيل بحسب لوقا ، الانجيل بحسب يوحنا . وبحسب تعبير لغة الحديث الاسلامي نترجم هذا الواقع بقولنا :

« نزل الانجيل على اربعة احرف » ، باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني .

ولم يختلف فيها المسيحيون ، ولم يقتتلوا عليها ، مع ان كل واحد منها ظهر في مكان وفي زمان غير الآخرين . بل قبلوها جميعهم بسبب « رسوليتها » التي تشهد بصحتها ، وصحة وحيها ، وصحة تدوينها لانجيل المسيح .

وصدور تدوينها عن الرسل او كتبتهم شاهد لعصمتها، لتأييدهم بالروح القدس .

لذلك لم يكن المسيحيون بحاجة الى اتلاف حرف من تلك الحروف الاربعة للانجيل ، لان الاحرف الاربعة رسولية قدسية موحى بها ؛ فهي تتمتع بعصمة الوحي .

وبعد عهد الرسل ، وتداول الاحرف الاربعة المنزلة ، حاول بعض المسيحيين ، عن تقى او عن هوى ، وضع « **اناجيل منحولة** » باسم الرسل ، وشاعت بين المسيحيين ، لكنهم لم يعترفوا بها اناجيل صحيحة ؛ ومع ذلك لم يتلفوها ، لانه ليس في وجودها خطر على الانجيل الصحيح في احرفه الاربعة .

من هذا الواقع التاريخي نستنتج :

اولاً ان الانجيل الواحد نزل بأربعة احرف او نصوص، باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني .

ثانياً : ان صحابة المسيح وكنيسته من بعدهم حفظت « الذكر » المسيحي بنصوصه الاربعة ، فكانت وفية اكثر من صحابة محمد وجماعته الذين اتلفوا ستة نصوص او احرف للقرآن ، واكتفت بتدوين ونقل وحفظ الحرف العثماني وحده . ففي المسيحيين اكثر من المسلمين تصح الآية : « انا نحن نزّلنا الذكر ، وانّا له لحافظون » (الحجر ٩)

ثالثاً : لم تكن لجان عثمان معصومة في اختيار الحرف الافضل للقرآن ؛ بينما احرف الانجيل الاربعة تحوي الشهادة فيها لعصمتها .

رابعاً : الاحرف الاربعة للانجيل الواحد ، باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني، هي شهادة قاطعة لصحة الوحي الانجيلي ، لان **اربع شهادات** ، مختلفة الالفاظ متفقة المعاني ، افضل من **شهادة واحدة** تقوم على نص واحد ، لا له ولا عليه ،

لمعرفة الوحي القرآني معرفة علمية . وفي الشرع العـــام : « على فم شاهدين او ثلاثة تقوم كل حجة » .

وهكذا يقول الايمان والعلم :

نزل القرآن على سبعة احرف ، فلم يُحفظ منها الا حرف واحد .

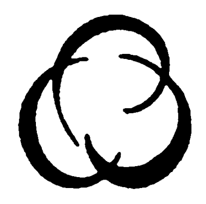
ونزل الانجيل على اربعة احرف ، فحُفظت جميعاً .

فالانجيل واحد ، بأربعة احرف ، باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني . فليس في تعدّد نصوص الانجيل الواحد ايُّ شبهة على صحته ؛ بل هي اربع شهادات للوحي الانجيلي تثبت صحته .

تلك هي **القاعدة السابعة** في الحوار الاسلامي المسيحي .

●

وتلك هي بعض المواقف الراهنة « للانجيل في القـــرآن » ، والقواعد الصحيحة المنبثقة من صميم شهادة القرآن للكتاب عامةً وللانجيل خاصة ، في بناء الحوار الاسلامي المسيحي الصحيح .





الفصل الثالث

المسيح في القرآن

بحث أول : سيرة المسيح في القرآن

بحث ثانٍ : رسالة المسيح في القرآن

بحث ثالث: آخرة المسيح في القرآن

بحث رابع : ميزات المسيح في القرآن

بحث خامس: شخصية المسيح في القرآن



توطئة

منزلة المسيح في القرآن

اعاظم الرسل ، في القرآن ، هم ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد . وليس في القرآن لواحد منهم صورة تداني صورة المسيح في القرآن .

يتميز المسيح ، في القرآن ، عن العالمين باسمه وصفته .

في التعريف الجامع المانع ، الشامل الكامل ، الذي يعطيه القرآن للمسيح ، يميّزه باسم مزدوج لا يطلقه على أحد من العالمين والمرسلين : « انما المسيح عيسى ، ابن مريم ، رسول الله ، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) . فهو كلمة الله ، وروح الله .

والقرآن يصف المسيح ، عيسى ، ابن مريم ، بأنه « آية » الله في العالمين مع أمه : « وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الانبياء ٩١) ؛ « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » (المؤمنون ٥١) .

إنه آية الله في أحواله وأعماله وأقواله ، كما انه وحده انفرد على العالمين والمرسلين بتأييد روح القدس له في جميع أحواله وأعماله وأقواله .

لذلك ، وان استعمل القرآن « آية للناس » أو « آية للعالمين » بحق عزير (البقرة ٥٢٩) وبحق فرعون الغارق الناجي ببدنه (يونس ٩٢) ، وبحق قوم نوح (الفاقان ٣٧) وبحق نوح نفسه (العنكبوت ٢٩) فهو انما يأخذ من ظرف

في حياتهم **آية أي عبرة** للذكرى والتــاريخ . بينما القرآن يجعل المسيح نفسه **في سيرته كلها وفي شخصيته كلها** «آية للعالمين » ؛ ويظهر القرآن المعنى المقصود، بالميزة الثانية التي انفرد بها على العالمين والمرسلين : « وايدناه بروح القدس » ، فسّره الجلالان «لا يفارقه ساعة» . فــلا نجعل من المشاكلة اللفظية ، مقابلة شخصية .

باسمه وصفته ينفرد المسيح ، ويستعلي في القرآن ، على العالمين وعــلى المرسلين أجمعين .

☆ ☆ ☆

بحث اول

سيرة المسيح في القرآن

(القاعدة الثامنة للحوار المسيحي الاسلامي)

يرد ذكر المسيح في القرآن في ست عشرة سورة .

ويرد ضمنا في حوار القرآن مع اهل الكتاب ، من اليهود والنصارى .

فالمسيح ، بعد الدعوة للتوحيد ، **هو الموضوع الثاني للدعوة القرآنية** : « إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٥٧) ؛

وقد اختلف بنو اسرائيل الى نصارى ويهود بإيمان طائفة منهم بالمسيح وكفر طائفة أخرى فجاء القرآن يؤيد « الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) .

أجل يدعو القرآن الى الشهادتين . ان لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله. لكن القرآن يدعو الى الايمان بمحمد رسولاً لله ، **تأييداً لدعوته ، لا موضوعاً لدعوته** ، كما هو الحال مع المسيح ، اذ يحاور أهل الكتاب على خلافهم في شخصية المسيح (النمل ٥٧) .

•

اولاً : اسماء المسيح الحسنى في القرآن

يرد اسم المسيح في القرآن مراراً وعلى اشكال[1] :

١ — **باسم « عيسى » وحده** في (٢ : ١٣٦ ؛ ٣ : ٥٢ و ٥٥ و ٥٩ و ٨٤ ؛ ٤ : ١٦٢ ؛ ٥ : ٤٩ و ٨١ ؛ ٦ : ٨٥ ؛ ٣٣ : ٧ ؛ ٤٢ : ١٣ ؛ ٤٣ : ٦٣) اي اثنتي عشرة مرة .

٢ — **باسم « المسيح » وحـــده** في (٤ : ١٧١ ؛ ٥ : ٧٥ ؛ ٩ : ٣١) اي ثلاث مرات .

٣ — **باسم « ابن مريم » وحده** في (٢٣ : ٥١ ؛ ٤٣ : ٥٧) اي مرتين .

٤ — **باسم « عيسى ابن مريم »** فقط في (٢ : ٨٧ و ٢٥٣ ؛ ٥ : ١١٣ و ١١٥ و ١١٧ و ١١٩ ؛ ١٩ : ٣٤ ؛ ٥٧ : ٢٧ ؛ ٦١ : ٦ و ١٤) اي عشر مرات .

---

(١) قابل : محمد فارس بركات : المرشد الى آيات القرآن الكريم وكلماته — دمشق : المطبعة الهاشمية ١٩٥٧ . والمستشرقون يعتمدون :
Flügel: Concordanciae Corani arabicae, Leipzig 1842.

٥ – **باسم « المسيح ابن مريم »** فقط في (٥ : ١٩ مرتين و ٧٥ و ٧٨ ؛ ٩ : ٣٢) اي خمس مرات .

٦ – **باسم « المسيح ، عيسى ، ابن مريم »** – وهو الاسم الكامل – في (٣: ٤٥ ؛ ٤ : ١٥٦ و ١٧٠) اي ثلاث مرات .

٧ – **باسم كلمة الله** : يرد صفة ولقباً في قوله : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته » (النساء ١٧٠) ؛ وعَلَماً في قوله : « يبشرك بيحيى مصدّقا بكلمة من الله » (آل عمران ٣٩) ، وفي آيتين مختلف في قراءتها : « وصدّقت بكلمة ربها » اي مريم (التحريم ١٢) ؛ « يؤمن (النبي الامي) بالله وكلمته » (الاعراف ١٥٧) ؛ وعلى الصفة والعلمية معاً في قوله : « إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم» (آل عمران ٤٥)، وفي قوله على الترادف : « ذلك عيسى ابن مريم ، **قول الحق**[١] ، الذي فيه يمترون » (مريم ٣٤).

وهكذا يرد خبر المسيح في ست عشرة سورة ، من بينها ثلاث من السور الكبار اتخذت اسمها من سيرته : مريم وآل عمران والمائدة . بينما ابراهيم لا تحمل الا سورة واحدة اسمه ؛ ومحمد لا تحمل الا سورة واحدة اسمه ، مع سورة اخرى على الترادف : طه . كما تحمل سورة اسم نوح ولقمان وهود ويوسف ويونس .

فالقرآن يميّز المسيح بالاسماء والالقاب والسور على سائر الانبياء .

•

---

(١) الزمخشري : «قول الحق . . . وقرىء : قول الحق بالنصب على المدح ، ان ُفسر « بكلمة الله » ، وانه مصدر مؤكد لمضمون الجملة إن اريد قول الثبات والصدق . وانما قيل لعيسى (كلمة الله ، وقول الحق) لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها » . البيضاوي : « وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ، ومعناه : كلمة الله » .

وهناك مشكلان في اسماء المسيح .

من اين جاء القرآن بصيغة : عيسى ؟

في الاصل الاسم هو «يشوع» بالعبرية. وفي نقل الاسم من العبرية الى العربية يصير « يسوع » بتحويل الشين (بالنقط) الى سين (بدون نقط) .

لكن نقل اسم « يشوع مشيحو » الى العربية لم يتم من العبرية او الارامية إلى العربية مباشرة ، بل تمّ بواسطة اليونانية ، فالسريانية .

فالانجيل دوّن باليونانية حتى في العالم السوري ، ودرج اسم « إيسوس » وبالمنادى « إيسو » في العالم كله ، لان « المسكونة » الرومانية كانت كلها تتكلم اليونانية .

فصار الاسم يُلفظ في اللغة الارامية المحيطة بالجزيرة العربية : « عيشو » باللهجة الشرقية العراقية ، و « عيسى » باللهجة الارامية الغربية ، او السريانية على التخصيص .

وهذا هو سر اسم عيسى . ولما رحل النصارى من بني اسرائيل الى الحجاز هرباً من دين الدولة ، كانوا يجمعون في التقديس والتسمية : موسى وعيسى ، بلغتهم الارامية الغربية السريانية . فشاع في الحجاز بهذه الصيغة ونزل به القرآن .

ولا ننسَ اسلوب التبديل والقلب بين الحروف الشائع في العربية : فصار « إيسو » اليونانية ، و « عيشو » الارامية : عيسى بالعربية .

ومن اين جاء لقب : **ابن مريم** ؟ وما معناه في لغته ؟

قبل معرفة الحبل المعجز كان مواطنو يسوع يسمونه « ابن يوسف » عـلى حيـاة مربي المسيح ، و « ابن مريم » بعد وفاته ، كما نقل لنا الانجيل بحسب مرقس (٦ : ٣) .

وفي البيئة الشرقية ظل هذا اللقب قائماً كما تشهد اناشيد افرام السرياني التي سرت بها الركبان حتى جاءت الحجاز ونزل به القرآن .

ومن عادة العرب ، والشرقيين عموماً ان ينسبوا الابن الى ابيه ؛ ولا ينسبونه الى امه الا في ظرف خاص ؛ فكيف اذا كان هذا الظرف الخاص مولداً معجزاً لا مثيل له في تاريخ المرسلين ؟ !

ففي البيئة الارامية كان اليهود يسمونه : « ابن مريم » ، « بكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً» (النساء ١٥٥) ؛ وكان النصارى يسمونه أيضاً : «ابن مريم» لايمانهم بالحبل المعجز ، رداً على اليهود .

والقرآن الذي يؤيد النصرانية على اليهودية (الصف ١٤) يسمي المسيح « ابن مريم » اعلاناً منه **لايمانه بالمولد المعجز ؛ وليس لإعلان بشرية المسيح ،** لان المسيح ، وان كان في نظر القرآن عبداً لا رباً ، فهو اكثر مـن بشر : « كلمتُه القاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) ، إنه روح « من المقربين » (آل عمران ٤٥ النساء ١٧١) .

فعيسى ابن مريم هو في القرآن : مسيح الله ، كلمة الله ، روح الله . وسنرى تفاسيرهم لهذه الالقاب التي ترفع المسيح على العالمين والمرسلين .

فالمسيح في القرآن ، آية الله في اسمائه وألقابه .

●

ثانياً : نسب المسيح المعجز في القرآن

المسيح ، بذاته وبواسطة امه، هو خاتمة الذرية المصطفاة عـــلى العالمين .

يفتتح القرآن قصص المسيح بقوله : «ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين : ذرية بعضها من بعض » (آل عمران ٣٣) .

فسره البيضاوي : « ان الله اصطفـــاهم بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ، ولذلك قووا على ما لم يقوَ عليه غيرهم ، لما أوجب طاعة الرسل؛ وبيّن انها الجالبة لمحبة الله . وعقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضاً عليها . وبه استدل **على فضلهم على الملائكة** . . . وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث ، بن لاوي ، بن يعقوب . وعيسى ، وامه مريم بنت عمران ، بن ماثان، بن اسعاذا ، بن ابيود ، بن يورن ، بن زربابل ، بن سالثان ، بن يوحنا ، بن اوشا، بن أموزن ، بن مشكي ، بن حارفار ، بن آحاد ، بن يوتام ، بن عزريا ، بن يورام ، بن ساقط ، بن ايشا ، بن راحبعيم ، بن سليمان ، بن داود ، بن ايشا ، بن عريد ، بن سلمون ، بن ياعر ، بن يخشون ، بن عميار ، بن رام ، بن خضروم ، بن فارض، بن يهوذا ، بن يعقوب عليه السلام . وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة » .

فالمسيح عيسى ابن مريم هو ثمرة وختام الذرية المصطفاة عـــلى العالمين :
أولاً بأمه : « ان الله اصطفاكِ وطهركِ واصطفاكِ على نساء العالمين » (آل عمران ٤٢) ؛ **ثم بذاته** لانه ختامها ، ومسك الختام : « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧) ، « يكلم الناس في المهد ، وكهلاً ، ومن الصالحين » (آل عمران ٤٦) .

فكأن الله ، في نظر القرآن ، ما فضّل بني اسرائيل على العالمين : « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ، وأني فضلتكم على العالمين » (البقرة

٤٧ ، ١٢٢) قابل الاعراف ١٣٩ الاسراء ٧٠ الجاثية ١٥) الا بسبب المسيح، ولأجله ، لأنهم بعد المسيح صاروا « شر البرية » (البينة ٦) .

فقبل المسيح فضل الله بني اسرائيل على العالمين ؛ وفي بني اسرائيل فضّل آل عمران ، ومريم بنت عمران ، على المفضلين في العالمين .

فالمسيح ، في نسبه ، ذروة الفضل في العالمين ، بنص القرآن القاطع . فهو آية الله في خلقه ، بنسبه المعجز .

•

ثالثاً : أم المسيح فى القرآن

يذكر القرآن مريم احدى عشرة مرة . ولا يذكر القرآن اسم انثى غيرها . وقد اختص (سورة مريم) باسمها . ولا يستثنيء القرآن انثى سواها : وحدها بين النساء خاطبها الملائكة وخاطبتهم .

فهي، تهيئة لابنها، ذروة الذرية المصطفاة على العالمين (آل عمران ٣٣—٤٥).

في حين الحبل بها تقول امها : « واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» (آل عمران ٣٦) . وأم مريم ، « امرأة عمران » هي « حنة بنت فاقوذا، جدة عيسى . . . وزكريا كان معاصراً لابن ماثان ، وتزوج بنته ايشاع . وكان يحيي وعيسى عليهما السلام ابني خالة من الأب » (البيضاوي) .

وتقول : « اني سمعتها مريم » . فسره البيضاوي : « وانما ذكرت ذلك لربها تقرباً اليه وطلباً لأن **يعصمها ويصلحها** حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها . فان مريم ، في لغتهم بمعنى العابدة » .

وينقل البيضاوي مثل سائر المفسرين ، بياناً لعصمة مريم في الحبل بها ، هذا

الحديث : «وعن النبي ص. ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل (يصرخ) من مسه ، الا مريم وابنها . **ومعناه** : ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه ، الا مريم وابنها ، **فان الله عصمها** ببركة الاستعاذة» .

فمريم ام المسيح ، معصومة من مسّ الشيطان عند الحبل بها والولادة .

وهذا التلقين القرآني ، الذي يؤيده ويفسره الحديث ، دليل على عصمة مريم من الخطيئة في الحبل بها ؛ ودليل على ان هذه العقيدة كانت شائعة بين الطوائف المسيحية في مطلع القرن السابع ، كما نزل بها القرآن . فالقرآن حجة على مَن ينكر ذلك من المسيحيين في عصرنا .

فمريم ، ام المسيح ، مصطفاة على العالمين بنسبها ؛ ومصطفاة على العالمين بعصمتها في خلقها ومولدها ؛ ومصطفاة على العالمين في نشأتها .

فهي نذيرة الله منذ الحبل بها : «رب اني نذرت لك ما في بطني محرراً» (آل عمران ٣٥) . « فتقبلها ربها بقبول حسن » في نذرها « وأنبتها نباتاً حسناً » ، وهذا « مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها » (البيضاوي) .

وانقطعت مريم للعبادة منذ صغرها في محراب الهيكل : « وكفّلها (الله) زكريا » — وفي قراءة : « وكفِلها زكرياء » . وتنافس الاحبار في كفالتها « لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم » (البيضاوي) . وهكذا كان عمران ، او يواكيم كما يقول الانجيل ، من الأحبار . فهي مصطفاة على العالمين في انقطاعها صغيرة للعبادة .

وهي مصطفاه على العالمين في معيشتها في الهيكل : « كلما دخل عليها زكريا المحراب[1] ، وجد عندها رزقاً . قال : يا مريم أنى لكِ هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، يرزق مَن يشاء بغير حساب » (آل عمران ٣٧) .

---

(١) المحراب كلمة حبشية تعني الهيكل (السيوطي : الاتقان ١ : ١٣٦) .

فسره البيضاوي : « المحراب : الغرفة التي بنيت لها ، أو المسجد ؛ وأشرف مواضعه ، ومقدمها . . . كأنها وضعت في أشرف موضع ، من بيت المقدس . . . روي أنه كان لا يدخل عليها غيره ، واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب . فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وبالعكس . . . قيل : تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ، ولم ترضع ثدياً قــط ، وكان رزقها ينزل عليها من الجنة » .

وتقضي مريم حداثتها في الهيكل ، في حديث مع الملائكة : « واذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله اصطفاك ، وطهّرك ، واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين » (آل عمران ٤٢ – ٤٣) .

فسره البيضاوي : « كلموهــا شفاهاً ، كرامة لها ... والاصطفاء الأول : تقبلها من أمها ، ولم ُتقبل قبلها انثى (في الهيكل) ، وتفريغها للعبادة ، واغناؤها برزق الجنة عن الكسب ؛ وتطهيرها عمّا يستقذر من النساء – وبالعصمة ايضاً من الخطيئة – والاصطفاء الثاني : هدايتها وإرسال الملائكة اليهــا ، وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب ، وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين » .

وفسره الزمخشري : « اصطفاك اولًا حين تقبلك من امك ورباك ، واختصك بالكرامة السنية . واصطفاك اخراً بأن وهب لك عيسى من غير أب ، **ولم يكن ذلك لاحد من النساء** » .

وقال الرازي : « الاصطفاء الاول : ما حصل لها من الامور الحسنة في أول عمرها ؛ والاصطفاء الثاني ما حصل لها في آخر عمرها .

« أما النوع الأول من الاصطفاء فهو أمور : انــه تعالى قبل تحررها (نسكها في الهيكل) مع انها كانت انثى ، ولم يحصل مثل هذا المعنى من الاناث

ــ قال الحسن : إن امها لما وضعتها ما غذّتْها طرفة عين ، بل ألقتها الى زكريا، وكان رزقها يأيتها من الجنة ــ انه تعالى فرغها لعبادته ، **وخصها في هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية والعصمة** ــ انه كفاها أمر معيشتها ، فكان يأتيها رزقها من عند الله ــ انه تعالى أسمعها كلام الملائكة شفاهاً ، ولم يتفق ذلك لأنثى غيرها .

« والاصطفاء الثاني : هدايتها ــ وارسال الملائكة اليها **وتخصيصها بالكرامات السنية** ، كالولد من غير أب ــ وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل ــ وجعلها وابنها آية للعالمين » .

فمريم ، أم المسيح ، معجزة في ذاتها وفي سيرتها : « وجعلناها وابنها آية للعالمين » (الانبياء ٩١)[١] .

فالمسيح ، في أمه أيضاً ، آية للعالمين ، بحسب القرآن الكريم .

•

رابعاً : مولد المسيح المعجز بحسب القرآن .

هذه هي النصوص القرآنية فيه :

١ ــ سورة مريم ١٥ ــ ٣٢ .

« واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً

(١) يلاحظ المستشرقون أن القرآن يأخذ برواية بعض الاناجيل المنحولة ؛ ويأتي المفسرون فيستزيدون منها . ولكن فاتهم ان ما نسميه « الاناجيل المنحولة » هي منحولة بسبب نسبتها الى الرسل ، وليس منحولا بما تنقله عن أوساط آل المسيح من سيرة المسيح وأمّه التي لم ترد في الاناجيل الصحيحة الرسمية . فما في القرآن هو من تلك الرواية التي لم يسجلها الانجيل .

فاتخـــذت من دونهـــم حجاباً
فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا

قالت: إني أعـــوذ بالرحمان منـــك إن كنت تقياً!
قـــال: إني رسول ربك لأهب (ليهب) لك غلاماً زكياً

قالت: أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً!
قال: كذلك! قال ربك هو علي هين!
ولنجعلــه آية للناس ورحمـــة منّا!

وكان أمـــراً مقضياً! فحملته. فانتبذت به مكاناً قصياً.
فأجاءها المخاض الى جـــذع النخلة
قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً!

فناداهـا من تحتها: ألاّ تحزني قـد جعل ربك تحتك سرّيا!
وهزي اليك بجذع النخـــلة تساقط عليـــك رطباً جنياً!

فكلي واشربي وقـــرّي عيناً فإمّا ترين من الناس أحـــدا
فقولي: اني نذرت للرحمان صوماً فلن أكلّم اليـــوم إنسيا

فأتت بـــه قومها تحملـــه. قالوا: يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً
يا اخت هارون، ما كان أبوك امرء سوء! وما كانت أمك بغياً!

فأشارت اليه . قالوا : كيف نكلم مَن كان في المهد صبياً؟
قال : اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً

وجعلني مباركاً أينما كنت
وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً
وبرّاً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقيا

والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً»

•

٢ – من سورة آل عمران (٤٥ – ٤٨)

«اذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه
اسمه المسيح، عيسى» بن مريم
وجيها في الدنيا والآخرة، ومن المقربين
ويكلم الناس في المهد وكهلاً، ومن الصالحين .
قالت : أنّى يكون لي ولد، ولم يمسسني بشر؟ قال : كذلك!
الله يخلق ما يشاء! اذا قضى أمراً فانما يقول له : كن! فيكون!
ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . . .»

•

٣ ـ من سورة الانبياء :

« والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا
وجعلناها وابنها آية للعالمين » (٩١)

٤ ـ من سورة التحريم :

«ومريم ابنت عمران ، التي احصنت فرجها
فنفخنا فيه (فيها) من روحنا
وصدّقت بكلمات (بكلمة) ربها
وكتبه (كتابه) وكانت من القانتين» (١٢)

تلك هي النصوص القرآنية في البشرى بعيسى ومولده. يترتب عليها مسائل ومشاكل ، نقتصر منها على ما تيسّر .

المسألة الاولى : كان الحبل بالمسيح معجزة اي من غير أبٍ . واجماع النصوص ، واجماع المفسرين المسلمين يدفع تخرصات بعض المستشرقين الذين زعموا أن جبريل قام مقام الأب في مولد المسيح ، استناداً الى بعض المفسرين المسلمين .

استند هذا البعض الفاجر الى قوله : « لأهب لك » (مريم ١٨) !

وفاتهم قراءة « ليهب لك » ، والقرائن القريبة والبعيدة : فالملاك نفسه يفسّر قوله : « قال : كذلك ! قال ربك هو عليَّ هين ولنجعله آية للناس » (مريم ٢٠) . فسره الجلالان : « قال : كذلك اي الامر كذلك من خلق غلام منك من غير أبٍ » .

وما حمل بعض المستشرقين على الشطط هو قول القرآن : « فنفخنا فيها من

روحنا » (الانبياء ٩١) ، « فنفخنا فيه من روحنا » (التحريم ١٢) ، كما فسره الجلالان « فنفخ جبريل في جيب درعها فأحست بالحمل في بطنها مصوراً » (مريم ٢٠) ؛ والبيضاوي : « فحملته بأن نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها » .

وفات هؤلاء وأولئك صريح آية آل عمران : « قالت : انى يكون لي ولد، ولم يمسسني بشر ؟ قال : (هو) كذلك : الله يخلق ما يشاء ، اذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن ! فيكون » (٤٧) . فالمسيح كوّن في مريم بأمر خلّاق من دون واسطة على الاطلاق ، حتى نفخة جبريل في درع مريم ! ويؤيد قوله في آية النساء « وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (١٧٠) : فالله التي مباشرة الى مريم كلمته الذي هو روح منه تعالى ، بدون واسطة .

* وآية النساء : « روح منه » تجعل الملقىٰ الى مريم « روحاً منه » تعالى . وهذا يفسر الغموض الذي في آية الانبياء وآية التحريم : « فنفخنا فيها من روحنا » ، حيث التعبير قد يكون على الفاعل او على المفعول : على الفاعل هـــو جبريل النافخ ، وعلى المفعول هو المسيح ، روح الله ، الملقى الى مريم . وبما ان الملقى الى مريم هو « روح منه » تعالى ، فيكون قوله : « فنفخنا فيها من روحنا » على المفعول : اى نفخ الله روحه اي كلمته في مريم ، بدون واسطة جبريل .

• وهكذا تنسجم كل القرائن القرآنية ، وتتضح عقيدة القرآن في الحبـــل المعجز بالمسيح ، بدون واسطة مخلوق على الاطلاق : « اذا قضى امراً فانما يقول له . كن ! فيكون » . ومعجزة تكوين المسيح تشبه معجزة تكوين آدم : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ، ثم قال له : كن ! فيكون » (آل عمران ٥٩) . ففي الحالين تكوين بلا واسطة .

قال الزمخشري في تفسير (المؤمنون ٥١): « إن مريم ولدت من غير مسيس؛ **وعيسى روح من الله ألقي اليها »** .

المسألة الثانية : مدة الحمل .

ظاهر القرآن يجعل الحمل والولادة متلاحقين كأنه لا زمن بينهما : « فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً ، فأجاءها المخاض » (مريم ٢١ — ٢٢) .

فقال المفسرون : « والحمل والتصوير والولادة في ساعة » ! (الجلالان) ؛ « وكانت مدة حملها سبعة اشهر ، وقيل سنة ، وقيل ثمانية ، ولم يعش مولود وُضع لثمانية غيره ، وقيل ساعة » (البيضاوي) . وقال غيرهم : ثلاث ساعات .

ولا حاجة لهذه التخرصات ؛ فان اسلوب الايجاز في القرآن يختصر القصص ، فتذوب فيه الاوقات والمسافات . فالأصح ان نقول : ان القرآن لا يذكر مدة الحمل . وبحسب ظاهره ، فمدة الحمل القصيرة معجزة أخرى .

المسألة الثالثة : ولادة المسيح .

هل كانت طبيعية أم معجزة مثل الحمل ؟ المفسرون المسلمون الذين يجعلون مع ابن عباس ترجمان القرآن . « الحمل والتصوير والولادة في ساعة » يجعلون الولادة معجزة مثل الحمل .

قال البيضاوي : « كما حملته نبذته » (مريم) اي بمعجزة ، فظلت مريم بتولاً في الحمل .

يظن بعضهم ان الولادة كانت طبيعية لقوله : « فأجاءها المخاض » (مريم ٢٢). يفسره الجلالان : « وجع الولادة » . وتفسير البيضاوي أصح : « المخاض مصدر مخضت المرأة ، **اذا تحرك الولد في بطنها للخروج** » . فليس في اصل اللغة معنى وجع الولادة في المخاض ، لكنه العرف والعادة ، ونحن في مولد المسيح مع عالم المعجزة : « كما حملته نبذته » . والقرائن تدل على ان مريم لم تقاس وجع الولادة : فهي حال الولادة « تهز بجذع النخلة » (مريم ٢٤) ؛ وتأكل وتشرب

وتقرّ عيناً (مريم ٢٥)؛ وللحال أتت به قومها تحمله (مريم ٢٦) ـ فكلها إشارات الى حال لا تدل على وجع الولادة .

وفي الحديث عن عدم صراخ المسيح الوليد عند ولادته : « ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد ، فيستهل (صارخاً) من مسه ، إلا مريم وابنها » . دليل على ان المسيح في مولده لم يقاسِ مع أمه ألم المخاض ، ولا وجع الولادة .

المسألة الرابعة : نطق المسيح منذ مولده

في سورة مريم : « قالوا : كيف نكلم مَن كان في المهد صبياً ؟ قال : اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً (٢٨ — ٢٩) .

وفي آل عمران : « يكلّم الناس في المهد وكهلًا » (٤٦) .

فسره البيضاوي : « إني عبد الله : انطقه الله به ... وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلًا » (مريم ٢٩). نطق المسيح في المهد صريح بنصّ القرآن القاطع. وولادة المسيح نبياً صريحة ايضاً بنص القرآن القاطع : «آتاني الكتاب وجعلني نبياً» . ونطقه المعجز معجزة نبؤته ؛ ونبؤته في المهد « يكلم الناس في المهد » (آل عمران ٤٦) دليل نطقه المعجز . البيضاوي : « يكلمهم حال كونه طفلًا، وكهلًا ، كلام الانبياء ، من غير تفاوت » (آل عمران ٤٦) . فنبوّة المسيح في المهد ، مثل نبؤته في كهولته ورسالته . معجزتان انفرد بهما على الرسل .

المسألة الرابعة : « مثل عيسى كمثل آدم »

كان مسيحيو نجران يجعلون من مولد المسيح المعجز دليلًا على الهيته وبنوته لله فأجابهم القرآن : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له : كن ! فيكون » (آل عمران ٥٩) .

فقارن القرآن ، في الرد عليهم ، الغريب بالاغرب : المسيح وُلد بدون أب ، وآدم كان بدون أب ولا أمّ ! فكما ان مولد آدم لا يجعله الهاً ، كذلك مولد المسيح لا يجعله ابن الله . هذا منطق القرآن ومنطوقه .

فالقرآن لا ينكر فضل المسيح على المرسلين ، بمولده المعجز الذي انفرد به على العالمين . انما ينكر برهنته على الهية المسيح .

لذلك نستغرب قول الذين لا يرون للمسيح فضلاً على المرسلين اجمعين بمولده المعجز ، ونستغرب استشهادهم بهذه الآية . فإن خلق آدم بدون أب ولا امّ ليس معجزة ، اذ المعجزة خرْق العادة : فخلق آدم بدء لناموس الطبيعة البشرية ، ولا خرْق فيه لهذا الناموس ؛ اما مولد المسيح من أم بلا أب ، فهو خرْق العادة وهو المعجزة عينها . وبما ان الله قد خص المسيح بمعجزة مولده من دون المرسلين أجمعين ، فقد فضله فيها عليهم اجمعين . لا ينكر القرآن ذلك ، بل يستنكر البرهنة به على بنوته او الهيته .

فختم قصص مولد المسيح المعجز باستجماع المعجزات التي تمت فيه :

١ — تمثل جبريل ، رئيس الملائكة ، لمريم بشراً سوياً وكلمها شفاهاً وعياناً (مريم ١٦) .

٢ — بشرها « بغلام زكي » اي « طاهر من الذنوب » (البيضاوي) منذ الحبل به (مريم ١٨) .

٣ — يتم الحمل بالمسيح بمعجزة الهية ، بدون واسطة مخلوق .

٤ — مدة الحمل بالمسيح معجزة ، بإجماع المفسرين المسلمين .

٥ — كيفية المولد معجزة ايضاً : « كما حملته نبذته » (البيضاوي) .

٦ — « فناداها من تحتها ألا تحزني » (مريم ١٣) — من المنادي ؟ « جبريل كان يقبل الولد » (البيضاوي) . فالمسيح وحده في العالمين ، قام جبريل مقام القابلة في مولده . او كان المولد الوحيد الذي حضره جبريل .

٧ — معجزة النخلة : « وهزي اليك بجذع النخلة تُساقط عليك رطباً جنياً » (مريم ٢٥) . « روي انها كانت نخلة يابسة ، لا رأس لها ولا ثمر ، وكان الوقت شتاء ، فهزتها ، فجعل الله تعالى لها رأساً وخوصاً ورطباً » (البيضاوي) .

٨ — معجزة النهر السري : « قد جعل ربك تحتك سرياً » . قال الجلالان : « ناداها جبريل وكان اسفل منها : الا تحزني قد جعل ربك تحتك سرّيا اي نهر ماء كان قد انقطع » . وقال الزمخشري : « لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب، ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس **انهما من اهل العصمة**» .

٩ — نطق المسيح منذ مولده ، ولم يحصل ذلك لاحد من العالمين .

١٠ — نبوءة المسيح منذ مولده (مريم ٣٠، آل عمران ٤٦) . وحده ولد نبياً .

١١ — هذه النبوءة تقتضي كمال العقل في المهد : « اكمل الله عقله واستنبأه طفلًا » (البيضاوي) .

١٢ — ينال كمال الوحي والتنزيل منذ مولده : « ويعلمه الكتاب والحكمة، والتوراة والانجيل » (آل عمران ٤٨) . « يكلم الناس في المهـــد وكهلًا » على حدٍّ سواء .

١٣ — معجزة التكليف بالفرائض الدينية وهو طفل « وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً » (مريم ٣٠) ، يقولها المسيح في مهده .

١٤ — معجزة القداسة والعصمة منذ مولده : « وجعلني مباركاً اينما كنت » (مريم ٣٠) . فهو وحده « المبارك » في زمان ومكان .

١٥ – معجزة نبوءته بموته وبعثه ، حين مولده : « والسلام علي يوم وُلدت ويوم اموت ويوم أبعث حياً (مريم ٣٢) .

فهل جرى شيء من ذلك لاحد من العالمين ، واكابر المرسلين مثل ابراهيم وموسى ومحمد ؟ حقاً لقد انفرد المسيح بمولده ، وبمعجزات مولده على العالمين وعلى المرسلين اجمعين .

فالمسيح آية الله الكبرى في مولده

●

خامساً : حداثة المسيح في القرآن

رواها القرآن في آية : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية ! وآويناهما الى ربوة ذات قرار معين: يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، اني بما تعملون عليم » (المؤمنون ٥١ – ٥٢) .

فسرها البيضاوي : « ربوة : ارض بيت المقدس ، فإنها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر ، فإن قراها على الربى » .

ولماذا لا نقول مع الانجيل : تلك الربوة الغناء هي الناصرة .

فهي « ذات قرار ومعين » . القرار يعني انها ذات ثمار وزروع ، فإن ساكنيها يستقرون فيها لاجلها . ومعين : ظاهر جار . . . وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان » .

« يا ايها الرسل : خطاب لجميع الانبياء . . . أو حكاية لعيسى وامه عند ايوائهما للربوة ، ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا . وقيل : النداء له ، ولفظ الجمع للتعظيم » .

«كلوا من الطيبات : ان اباحة الطيبات للأنبياء شرع قديم !... والطيبات ما يُستلذ من المباحات. وقيل : الحلال الصافي القوام، فالحلال ما لا يُعصى الله فيه، والصافي ما لا يُنسى الله فيه، والقوام ما يُمسك النفس بحفظ العقل».

حداثة معجزة في السكينة والطمأنينة، وفي طيبات الحياة. وفيها صدى لحياة المسيح في الناصرة، ولقول الانجيل : «وجاء ابن البشر يأكل ويشرب» (لوقا ٧ : ٣٤).

فالمسيح آية ايضاً في حداثته على «ربوة ذات قرار ومعين».

•

سادساً : رسالة المسيح في القرآن

نمهِّد هنا لما نفصّله في البحث التالي.

المسيح وحده من دون المرسلين أجمعين وُلد نبياً؛ نطق في المهد وقال : «اني عبد الله، آتاني الكتاب وجعلني نبياً» (مريم ٢٩).

تنبأ في المهد، وكهلاً (آل عمران ٤٦)، وهذه ميزة أخرى انفرد بها على المرسلين.

وقد استجمع الله فيه الوحي كله : «ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل» (آل عمران ٤٨) وهذه ايضاً ميزة انفرد بها على الرسل اجمعين.

وكانت رسالته بالكلمة والقدوة والمعجزة؛ فرسالته صورة لسيرته؛ وسيرته مثال لرسالته؛ وهو في كليهما معجزة : «ورسولاً الى بني اسرائيل : أني قد جئتكم بآية من ربكم» (آل عمران ٤٩). وفي هذا الاجتماع ميزة خاصة به على المرسلين.

وميّزه الله وفضّله على العالمين والمرسلين أجمعين بتأييد روح القدس له في سيرته ورسالته : « وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و ٥٣ ، المائدة ١١٣) .

فكانت رسالة المسيح معجزة الرسالات .

فالمسيح آية الله في رسل الله .

•

سابعاً : آخرة المسيح بحسب القرآن

كما دخل المسيح العالم بمعجزة لا مثيل لها في تاريخ المرسلين ، خرج من العالم بمعجزة لا مثيل لها في تاريخ الرسل والعالمين : إنه رُفع حيًّا الى السماء .

نصوص القرآن في آخرة المسيح كلها صريحة في هذا المعنى ؛ انما الخلاف قائم بينها في تعارض آية النساء (١٥٦) مع آيات (مريم ٣٣ وآل عمران ٥٥ والمائدة ١٢٠) .

فالمسيح منذ مولده يتنبّأ عن آخرته : « والسلام عليّ يوم وُلدتُ ! ويوم أموتُ ! ويوم أبعث حيًّا ! » (مريم ٣٣) . فالمسيح وحده دون المرسلين أجمعين عرف مصيره منذ مولده .

وهو الآن وحده ، دون العالمين والمرسلين ، حيٌّ خالد في السماء عند الله ، بينما هم أجمعون ينتظرون يوم يبعثون !

فآخرة المسيح أيضاً معجزة المعجزات .

فالمسيح برفعه حيًّا الى السماء آية الله في المرسلين والعالمين .

•

ثامنا : رجوع المسيح في اليوم الآخر

وهذه ايضاً ميّزة أخرى ينفرد بها المسيح على العالمين والمرسلين أجمعين : « وإنه لعِلْم — لعَلَم — للساعة » (الزخرف ٦١) : اي « شرط من اشراطها ... أو علامة » لها (الزمخشري) . سيرجع المسيح الى الدنيا ، ورجوعه علامة على قيام الساعة . فعلم الساعة من خصائص الله : « تبـــارك الله الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما ، وعنـــده عِلم الساعة ، واليه تُرجعون » (الزخرف ٨٥) ؛ والمسيح عنده عِلْم الساعة وهو علَمٌ لها .

رجوع المسيح قبل يوم الدين عقيدة قرآنية ، توسع فيها الحديث ، كما سنرى في بحث لاحق .

وهذا الدور الفريد للمسيح في العالمين يجعله آية المرسلين أجمعين ، وخاتمهم .

●

تاسعاً : دور المسيح في يوم الدين

لا يعترف القرآن بالشفاعـــة في يوم الدين إلاّ لمن ارتضى من الملائكة ، وللمسيح وحده من دون العالمين والمرسلين أجمعين .

١) الشفاعة في يوم الدين لله وحده : « لله الشفاعة جميعاً » (الزمر ٤٤) ، « يومئذٍ لا تنفع الشفاعة » (طه ١٠٩)؛ « ولا تنفع الشفاعة عنده » (سبأ ٢٣). فني يوم الدين : « لا يُقبل منها شفاعة » (البقرة ٤٨) ؛ « ولا تنفعها شفاعة » (البقرة ١٢٣) ، « يوم لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة » (البقرة ٢٥٤) . فيوم الدين « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذٍ لله » (الانفطار ٧) .

وبحسب القرآن لا يسمح الله بشفاعة إلاّ للملائكة المقربين ، ضمن حدود

وقيود : « وكم من ملاك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً ، إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (النجم ٢٦) ؛ « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً ، لا يتكلمون إلاّ مَن أذِن له الرحمان وقال صواباً » (النبأ ٣٧) ، « ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى ، وهم من خشية مشفقون » (الانبياء ٢٦) ؛ « الذين يحملون العرش ، ومَن حوله ، يسبحون بحمد ربهم ، ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا : وسعت كل شيء رحمةً وعلماً ، فاغفر للذين تابوا وقهم عذاب الجحيم » (غافر ٧) .

فالذين يحملون العرش ، ومن حوله من الملائكة ، لهم وحدهم السماح بالشفاعة لمن يرضى : وهم الملائكة المقربون . فوحدهم لهم شفاعة مشروطة .

٢) ويستند أهل السنة والجماعة الى ثلاث آيات ليثبتوا الشفاعة لمحمد في يوم الدين :

١ — « ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً ، وقل : رب ، أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » (الاسراء ٧٩) . فالآية تعني المقام المحمود في الدنيا بنصرة الله له . وهبها تعني المقام المحمود في الآخرة ، فلا شيء يوحي بالشفاعة .

٢ — « والضحى والليل اذا سجى ، ما ودّعك ربك وما قلى ! وللاخرة خير لك من الاولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » (الضحى ١ — ٥) . القرائن كلها تدل على ان الآخرة المذكورة هي الآخرة في سيرة النبي ودعوته ، لا الآخرة في يوم الدين . وهب انها تعني الآخرة في يوم الدين ، فعطاء الله للنبي فيرضى لا يقتضي حكماً بالشفاعة لان صريح القرآن ينفيها عن الخلق ، إلاّ الملائكة المقربين .

٣ — « يوم لا يُخزي الله النبي والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم

(قدامهم) : ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا، انك على كل شيء قدير » (التحريم). فالنبي ومَن معه يستغفرون لأنفسهم في يوم الدين حتى يُتم الله لهم نوره فيعبرون الصراط الى الجنة : فكيف يشفعون بالآخرين ؟ !

ولجوء القوم الى هذه الآيات المتشابهات لاثبات الشفاعة للنبي في يوم الدين ، دليل على ان محكم القرآن وصريحه لا يقول بشفاعة لمحمد في يوم الدين : « أفمن حقّ عليه كلمة العذاب ، أفأنت تنقذ من في النار ؟ ! » (الزمر ١٩) – وبعد القرآن ، لا عبرة بما جاء في الحديث .

٣) فهل يقول القرآن بالشفاعة للمسيح ؟

في البشارة بالمسيح تقول الملائكة : « يا مريم ان الله يبشرك بكلمةٍ منه ، اسم المسيح ، عيسى ، ابن مريم : وجيهاً في الدنيـــا والآخرة ، ومن المقربين » (آل عمران ٤٥). اي « ذا جاه عند الله في الدنيا بالنبوة ، وفي الآخرة بالشفاعة والدرجات العُلا ! » هكذا فسره جميع المفسرين من الزمخشري الى البيضاوي الى الرازي الى الجلالين . ولنا في الآية قرينة على صحة التفسير ، من جعل المسيح « من المقربين » اي المـــلائكة الذين يحفون بعرش الله ، « ويستغفرون لمن في الارض » .

وفي محاكمة الرسل يوم الدين يستجوب الله عيسى في عبادة الناس له وتأليهه ، فينكر بأدب جم نسبتها له ، ويقول : « إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وان تغفر لهم فإنك انت العزيز الحكيم » (المائدة ١١٣ – ١٢١) . هذا مثال حي من القرآن على شفاعة المسيح في يوم الدين . ولا نرى في القرآن أحداً من الملائكة ولا من الرسل يقف هذا الموقف الاستغفاري الاستشفاعي الاّ المسيح وحده .

فالمسيح الشفيع في يوم الدين آية للعالمين والمرسلين .

•

عاشراً : سيرة المسيح تتخطى الزمن وغلوّه

تلك هي سيرة السيد المسيح في القرآن ، لا تدانيها سيرة من سير الأنبياء ولا سيرة نبي القرآن .

فقد استجمع الله آياته في سيرة مسيحه . سيرة الانبياء ، تقوم على دعوتهم ولا تتخطاها الى ما قبلها وما بعدها في الزمن الى يوم الدين . فالمسيح وحده ، في نظر القرآن ، كانت سيرته معجزة في مولده من الذرية المصطفاة على للعالمين ، وفي رفعه حياً الى السماء ، وفي رجوعه لليوم الآخر علماً للساعة ، وفي دوره في يوم الدين . وحده يتخطى دوره رسالته في زمانها . وحده استجمع الله في سيرته عظيم معجزاته ، حتى كانت سيرته «آية للعالمين» من دون المرسلين أجمعين .

وسيرته المعجزة دليل رسالته المعجزة ، وشخصيته المعجزة .

وهذه هي القاعدة الثابتة للحوار المسيحي الاسلامي في نطق القرآن ومنطقه



بحث ثان

رسالة المسيح بحسب القرآن
(القاعدة التاسعة في الحوار الاسلامي المسيحي)

بحسب القرآن تنفرد رسالة المسيح على رسالة الأنبياء أجمعين بسبع ميّزات هي سبع آيات لها ترفعها على الرسالات كلها.

أولاً : وُلد المسيح على الهدى والنبوّة

أعاظم الأنبياء، من ابراهيم الى موسى الى محمد، لم يصيروا أنبياء إلاّ في الكهولة. ولا شيء قبل هدايتهم ودعوتهم للنبوّة والرسالة يميّزهم عن بني قومهم. ومحمد نفسه، نبي القرآن: «ووجدك ضالاً فهدى» (الضحى ٧)؛ وما دُعي للرسالة الا في الاربعين.

المسيح وحده في العالمين والمرسلين وُلد على الهدى، ووُلد نبياً: فقد نطق في مهده «قال: اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً» (مريم ٢٩) ونطقه في مهده معجزة نبوته منذ مولده. قال البيضاوي مفسراً آية مريم (٢٩)؛ «أكمل الله عقله واستنبأه طفلاً».

وبالفعل فهو «يكلم الناس في المهد وطفلاً» (آل عمران ٤٧)، «واذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً» (المائدة ١١٣). فسّره

الرازي : « قوله (تكلم الناس في المهد وكهلًا) من غير ان يتفاوت كلامه في هذين الوقتين . وهذه خاصية شريفة كانت حاصلة له ، **وما حصلت لاحد من الانبياء قبله ولا بعده** » .

•

ثانيا : المسيح في نبوّته استجمع الوحي والتنزيل كله منذ مولده

منذ مولده قال : « آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا » (مريم ١٩) ، فمنذ مولده : « يعلمه الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل » (آل عمران ٤٨) . قال البيضاوي : « الكتاب جنس الكتب المنزلة ، وخص الكتاب (التوراة والانجيل) لفضلها » . وكرّره في تعداد نعمة الله على عيسى ، وميزته على المرسلين : « واذ علمتك الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل » (المائدة ١١٣) . فسره الرازي : « الكتاب اي الكتابة وهي الخط – (لا يرد هذا المعنى على الاطلاق في القرآن) – او جنس الكتب ، وأما الحكمة فهي عبارة عن العلوم النظرية والعلوم العلمية . وخص التوراة والانجيل بالذكر على سبيل التشريف ، او اشارة الى الاسرار التي لا يطلع عليها أحد إلّا أكابر الانبياء » .

وهذه **ميزة مزدوجة** . لقد علم الله المسيح الوحي والتنزيل كله ؛ ولا يقول ذلك بحق احد المرسلين ؛ وعلم الوحي والتنزيل كله منذ مولده ، ولا يقول القرآن ذلك بحق ابراهيم ولا بحق موسى ولا بحق محمد ، « خاتم النبيين » .

ومن يخصه الله بالتنزيل كله ، منذ مولده ، ألا يكون سيد المرسلين ؟

•

ثالثا : استجمع المسيح طرق الرسالة الالهية كلها

كانت رسالة المسيح بالكلمة المعجزة، والمثل المعجز، والآيات المعجزة. قد يشبهه بعض الانبياء في واحدة منها؛ لكن أحداً منهم لم يستجمعها مثله، بشهادة القرآن.

١) **كانت رسالته بالكلمة المعجزة**. والقرآن يردّد مراراً على لسان المسيح اعلان التوحيد الكتابي المنزل: «وقال المسيح: يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم» (المائدة ٧٥). هذا هو الصراط المستقيم الذي جاء به عيسى: «ولما جاء عيسى بالبينات قال: قد جئتكم بالحكمة، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه؛ فاتقوا الله وأطيعون: ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم» (الزخرف ٦٣ – ٦٤). وهذا هو الاسلام الحق الذي دعا اليه عيسى: «واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي، قالوا: آمنا وأشهد بأنا مسلمون» (المائدة ١١١). هذا هو عهد الله، «وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن» (التوبة ١١١).

ومن دعوة عيسى تبيان ما كانوا يختلفون فيه من الكتاب: «ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه» (الزخرف ٦٣)؛ وتحليل بعض ما حرّم عليهم: «ولأحل لكم بعض الذي حرّم عليكم» (آل عمران ٥٠).

ومن دعوته انه مصدّق لما بين يديه من التوراة (المائدة ٤٦ الصف ٦)؛ كما هو مفصّل لها، فيما كانوا فيه يختلفون.

وكان ايضاً «مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمــه أحمد» (الزخرف ٦) – آية وحيدة فريدة في القرآن، سنرى معناها في بحث لاحق.

ومع الدعوة للتوحيد، كان المسيح يُظهر «كلمة الله» في ذاته (النساء

١٧٠) ؛ وينفرد بتأييد روح القدس له في سيرته كلها ، كما في رسالته وتنزيله (البقرة ٨٧ و ٢٥٣ المائدة ١١٣). وكلمة الله الملقى الى مريم «روحاً منه» تعالى، وروح القدس ، هما روحان من الملا الأعلى يظهران في ظهور المسيح (البقرة ٨٧ و ٢٥٣ ، النساء ١٧٠) .

فما هو سر « كلمة الله » ؟ وما هو سر «روح القدس» من الله ؟ سنرى ذلك أيضاً في بحث لاحق .

هذا هو الانجيل الذي أوتيه عيسى : « وآتيناه الانجيل ، فيه هدى ونور . . . هدى وموعظة للمتقين » (المائدة ١٥) ، فهو هدى ونور لاهل الكتاب ؛ وهدى وموعظة للمتقين من الأميين ، كالعرب الذين آمنوا « مع محمد » .

٢) وكانت رسالته بالمثل الحي

ضرب القرآن للناس «مثلًا من الذين خلوا» (النور ٣٤) ؛ « وتلك الامثال نضربها للناس » (العنكبوت ٤٣، الحشر ٢١) . وأعطى القرآن ابراهيم والذين معه « اسوة حسنة » في براءتهم من بني قومهم الظـــالمين (الممتحنة ٤ و ٦) . وأعطى القرآن محمداً ايضاً « اسوة حسنة » في الجهاد (الاحزاب ٢١) كما فسره الجلالان : « اقتداءً به في القتال والثبات في مواطنه » .

أما المسيح فكان مثلًا لبني اسرائيل مطلقاً : « انْ هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلًا لبني اسرائيل » (الزخرف ٥٩) ؛ ومثلًا للأميين على السواء : « ولما ضرب ابن مريم مثلًا ، اذا قومك منه يصدون » (الزخرف ٥٧) .

٣) وميزة رسالة المسيح البينات والمعجزات التي لم يستجمعها غيره، ولم يبلغ شأوها احد من المرسلين .

فالقرآن يصف رسالة المسيح جملة بانفرادها بالبينات : « وآتينـــا عيسى ابن

مريم البينات وايدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و ٢٥٣) ؛ « فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين » (الصف ٦) ؛ « واذ كففت بني اسرائيل عنك ، اذ جئتم بالبينات ، قال الذين كفروا منهم : ان هذا إلا سخر مبين » (المائدة ١١٣) ؛ « ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة » (الزخرف ٦٣) .

ثم يفصّل مرتين بإيجاز بعض تلك المعجزات :

« ورسولًا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم : اني **أخلق** لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله — وابرىء الأكمه (الاعمى منذ مولده) والأبرص — **واحيي الموتى** بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم : إن في ذلك لآية لقوم يعقلون » (آل عمران ٤٩، قابل المائدة ١١٣) .

فسره البيضاوي : «إنه حكى هنا **خمسة انواع** من معجزات عيسى . وروي انه عليه السلام ربما اجتمع عليه خمسون ألفاً من المرضى من أطاق منهم أتاه، ومن لم يطق أتاه عيسى. وما كانت مداواته الا بالدعاء». ونحن نعتبرها أربعة انواع. هذا النوع الأول من الاشفية المعجزة. والنوع الثاني هو الاطلاع على الغيب : فعيسى يعلم الغيب، وليس كغيره لا يعلم الغيب (الانعام ٥٠، هود ٣١ الاعراف ١٨٧). والنوع الثالث هو « خلق » الطيور . لاحظ قوة التعبير : « أني أخلق لكم » ؛ ولا يستعمل القرآن كلمة « خلق » بحق احد من المخلوقين والمرسلين ، إلا بحق عيسى ، على لسانه (آل عمران ٤٩) وعلى لسان الله نفسه بحق عيسى (المائدة ١١٣) : فقد اشركه في حق الخلق مع الخالق سبحانه ، وإن قيده بقوله : «بإذن الله» او « بإذني » ؛ فإطلاق الفعل الالهي الخاص على عيسى يكفيه ليرفعه فوق المخلوقين الى الخالق . وكما وصفه بصفة الهية لا تليق الا بالله ، « الخلق »، فهو يؤيدها بصفة الهية ثانية ، في النوع الرابع ، هي إحياء الموتى ؛ ولم يسند القرآن هذه الصفة الالهية لأحد من المخلوقين إلا لعيسى . ولم يشترك احد من الرسل

والأنبياء مع عيسى الا بنوع الاشفية ؛ أما الخلق ومعرفة الغيب والاحياء ، فقد انفرد بها شهادة له على شخصيته . نعرف من الكتاب والانجيل ان ايليا واليشع أقاما ميتاً بالدعاء الى الله ، امّا المسيح فقد اقام الموتى بكلمته الشخصية وان كان «بإذن الله» ، لان ذات المسيح السامية وقدرتها من الله ذاته ، فهو «روح منه» تعالى .

وآية الآيات البينات هي معجزة المائدة ينزّلها على الرسل الحواريين من السماء : «قال عيسى ابن مريم . اللهمّ ربنا انزل علينا مائدة من السماء ، تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا ، وانت خير الرازقين» (المائدة ١١٧) .

قال الرازي في تفسيرها : «إن جميع تلك المعجزات التي طلبتها كانت ارضية وهذه **معجزة سماوية**، وهي اعجب واعظم ... وقالوا بالاجماع : انها نزلت يوم الاحد فاتخذه النصارى عيداً» .

وهذه الاشارات : مائدة ، عليها رزق من السماء ، تكون عيداً دائماً لهم ، نزلت يوم الاحد ، كلها تشير الى قول المسيح في الانجيل : «أنا الخبز الحي النازل من السماء ... والخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي ... مَن يأكل جسدي ، ويشرب دمي ، فله الحياة الابدية» (الانجيل بحسب يوحنا ، الفصل ٦ كله) . فمعجزة المائدة في القرآن هي عند النصارى القربان .

وأسمى ما انفرد به المسيح على الرسل اجمعين هو اختصاصه بتأييد روح القدس له على الدوام في سيرته ورسالته وشخصيته .

•

رابعاً : اختصاص المسيح ، دون الرسل اجمعين ، بتأييد روح القدس له

ان القرآن لا يذكر تأييد روح القدس للأنبياء والرسل مطلقاً . وبحق محمد يقول : « قل : نزّله روح القدس » (النحل ١٠٢) ، وبمقارنتها مع آية البقرة (٩٧) نعرف ان روح القدس ، في تنزيل القرآن ، هو كناية عن جبريل . فروح القدس جبريل ، يحصر القرآن دوره مع محمد في تنزيل القرآن ، وخارجاً عن تنزيل القرآن ، لا يذكر القرآن له تأييداً لمحمد .

أمّا السيد المسيح فميزته تأييد روح القدس له الشامل المطلق ، في السيرة والرسالة والمعجزة والشخصية ، كما نرى من النصوص الآتية :

— « ولقد آتينا موسى الكتاب ؛ وقفينا من بعده بالرسل ؛ وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وايدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧) .

ظاهر الآية يدل على اختصاص المسيح بتأييد الروح القدس من دون المرسلين اجمعين ، وظاهرها ايضاً يدل على التأييد الدائم المطلق .

— « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض : منهم من كلم الله ؛ ورفع بعضهم درجات ؛ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٢٥٢).

ظاهر الآية يدل على اختصاص المسيح بتأييد روح القدس له، في باب المفاضلة بين الرسل : فقد فُضّل المسيح على الرسل أجمعين بتأييد روح القدس له .

— « اذ أيّدتك بروح القدس ، تكلم الناس في المهد وكهلاً » (المائدة ١١٣).

هنا يجعل القرآن تأييد روح القدس للمسيح في علاقة مع سيرته المعجزة ورسالته المعجزة وشخصيته المعجزة : فبسبب تأييد روح القدس له ، يكلم المسيح الناس في المهد وكهلاً . ومنذ المهد ينطق المسيح بمعجزة ليبرّىء أمه ،

ويعلن نبوته : « قال : اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً (مريم ٣٠) . من الآيتين (مريم ٣٠، المائدة ١١٣) يظهر ان التأييد بروح القدس يشمل سيرة المسيح ورسالته وشخصيته .

فمن هو « روح القدس » الذي أيد الله به عيسى ؟ وما معنى هذا التأييد ؟

قال الطبري في تفسير البقرة (٨٧) : اختُلف في تأويله : فقال بعضهم هو جبريل ؛ وقال آخرون : هو الانجيل ؛ وقال آخرون هو الاسم الذي كان عيسى به يحيي الموتى » . وهو يفضل القول انه جبريل بسبب سورة المائدة (١١٣) التي تقرن التأييد بالنبوة في المهد وكهلاً . لكن فات الطبري ان التأييد المقيد في سورة المائدة هو مطلق في سورة البقرة (٨٧) وفي باب المفاضلة بين الرسل (البقرة ٢٥٣) .

والرازي ينقل قول الحسن في تفسيره البقرة (٨٧) : « والذي يدل على أن روح القدس جبريل عليه السلام قوله تعالى : « قلْ : نزّله روح القدس » . لكنه ينقل ايضاً قول ابن عباس : « ان روح القدس هو الاسم الذي كان يحيي به عيسى الموتى » . وينقل ايضاً قول ابي مسلم : « ان روح القدس الذي ايده به يجوز ان يكون الروح الطاهرة التي نفخها الله تعالى فيه وأبانه بها عن غيره » والى هذا الرأي يذهب الرازي في تفسير (المائدة ١١٣) : « قوله : اذ ايدتك بروح القدس اي جبريل ، فالروح هو جبريل ، والقدس هو الله ، اضافة الى نفسه تعظيماً له ؛ أو روح عيسى ؛ فالله خصّه بالروح الطاهرة النورانية المشرفة العلوية الخيّرة » .

ويقول الرازي هنا ايضاً : وكان روح القدس « **لا يفارقه ساعة** ، وهو معنى قوله : وأيدناه بروح القدس » . وقال الجلالان : « **يسير معه حيث سار** » ، في تفسير البقرة (٨٣ و ٢٥٣) وهذان القولان يدلان على ان التأييد بروح القدس كان في السيرة والرسالة والشخصية .

ومن تعارض وتنوع أقوال المفسرين، نرى ان تفسير روح القدس في تأييد المسيح ، بجبريل هو من باب المشاكلة ، لا من باب المطابقة بين محمد والمسيح ؛ والتعبير الفارق صريح : فعند محمد تنزيل ، وفي المسيح تأييد مطلق . وتفسير روح القدس بجبريل هو قول من ثلاثة .

والقولان الآخران هما الصحيحان : امّا الاسم الاعظم الذي كان به عيسى يحيي الموتى ؛ واما الروح العلوية النورانية التي نفخها الله تعالى في عيسى « وأبانه بها على غيره » كما يقول ابو مسلم والرازي . وفي كلا القولين نرى في القرآن صدى لمقالة الانجيل في الروح القدس، الذات القائمة في الله مع كلمة الله؛ وفي عيسى كلمة الله ، « وروح منه » (النساء ١٧٠) نفخها الله منه في عيسى ، فابانه على غيره من المخلوقين والمرسلين ؛ ففي عيسى ذات نورانية روحية غير ذاته البشرية : فهو عيسى ابن مريم وهو ايضاً « كلمة الله القاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠) .

بهذه الذات النورانية الروحانية ، المسماة « كلمة الله » ، التي نفخها الله في عيسى ، وأيده بها ، رفع الله عيسى ابن مريم فوق المخلوقين الى صلة خاصة به تعالى من دون العالمين والمرسلين أجمعين .

•

خامساً : انفراد المسيح بالرفع الى السماء ، من دون العالمين (النساء ١٥٦)

يذكر القرآن في لغته رفع السماوات بغير عمد (الرعد ٢) ورفع الطيور واشياء اخرى (البقرة ٦٥ و ٩٣؛ النساء ١٥٣)، ورفع الناس بعضهم فوق بعض (الانعام ١٦٥) ورفع بعض الانبياء درجات (البقرة ٢٥٣) .

ويخص القرآن محمداً بهذه الكلمة الوحيدة ، في لغة الرفع : « ورفعنا لك ذكرك » (الانشراح ٤) . وبديهي ان رفع الذكر لا يعني رفع الشخص الى غير الارض ، كما تدل أيضاً قرائن السورة كلها .

وادريس (أخنوخ في الكتاب) «كان صديقاً نبياً، ورفعناه مكاناً علياً» (مريم ٥٧). فهو رفـــع فوق الارض لا يحدّد القرآن مكانه ولا زمانه ولا كيفيته.

واختص القرآن المسيح بالرفع الى السماء، الى الله نفسه، من دون العالمين والمرسلين أجمعين.

«اذ قال الله: يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ» (آل عمران ٥٥).

«وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله اليه» (النساء ١٥٧).

فظاهر الكلام أن الرفع الى الله كان عقب وفاة المسيح، قتله اليهود شبهةً، أم لم يقتلوه يقيناً.

ومكان الرفع هو في النصين الى الله تعالى نفسه. فالمسيح وحده، من دون المخلوقين أجمعين، رفعه الله اليه حياً.

قال الرازي في تفسيرها: «رفع عيسى عليه السلام ثابت بهـــذه الآية (النساء ١٥٧). ونظير هذه الآية قوله في آل عمران: (رافعك إلي). ودلّ ذلك عـــلى أن رفعه اليه أعظم في باب الثواب من الجنة ومن كل ما فيها من اللذات الجسمانية. وهذه الآية تفتح عليك باب معرفة السعادة الروحانية».

واختصاص الله المسيح برفعه حياً خالداً الى السماء، الى قرب الله، من دون العالمين والمرسلين أجمعين، بينما جميعهم ينتظرون يوم يبعثون، برهان على سمو رسالته على الرسالات كلها، وعلى سمو شخصيته على المخلوقين أجمعين.

فكما ان الله خص عيسى ابن مريم في **تكوينه** بروح منه تعـــالى هو كلمة الله (النساء ١٧٠)، خصه في مصيره وخلوده حياً في السماء، لدى الله، بميزة

تدل على سمو شخصيته على المخلوقين أجمعين. فالملائكة المقربون هم «حول العرش»؛ أما المسيح فهو مع الله: «رافعك إليَّ»، «رفعه الله اليه».

وهذا الرفع الفريد في القرآن تفضيل لرسالته على كل الرسالات، وتمييز لسمو شخصيته على العالمين أجمعين.

•

سادساً: المسيح وحده علَمٌ وعِلْم للساعة (الزخرف ٦١)

هـذا أيضاً دور فريد للمسيح في القرآن يدل على سمو رسالته وعلى سمو شخصيته. سيرجع المسيح ثانيةً الى الارض لقيام الساعة.

فهو وحده بين الانبياء والاولياء له دور في قيام الساعة. قال الجلالان: «وانه — عيسى — لَعِلْم للساعة تُعلم بنزوله».

والمسيح «عِلم» للساعة، وعِلم الساعة من خصائص الله عزّ وجلّ: «وأن الله عنده علم الساعة» (لقمان ٢٤). وهنا يظهر أنه يشرك المسيح في عِلم الساعة. قال البيضاوي: «وانه لعلم للساعة لأن حدوثها ونزوله من اشراط الساعة، يُعلم به دنوُّها. وقرىء (لَعَلَمٌ) وهو العلامة».

والمسيح «علَمٌ» للساعة اي علامة (الزمخشري والبيضاوي). فقد جعل الله رجوع المسيح في اليوم الآخر علامة لحضور الساعة. قال الزمخشري: «وانه (لعلم) للساعة اي شرط من اشراطها يُعلم بها، فسمّي الشرط علماً لحصول العلم به. وقرأ ابن عباس (لَعلمٌ) وهو العلامة».

نلاحظ أنهم في تفسيرهم يميلون الى قراءة (لعَلمٌ) بمعنى شرطها؛ ولا يستنبطون معنى القراءة الفضلى (لعلم). وقول القرآن ان المسيح (علم) للساعة يجعله يعلمها كما يعلمها الله.

في المعنى (لَعَلَمٌ) يكون المسيح برجوعه علامة لقيام الساعة. وهذا دور فريد لا يعطيه القرآن إلا للمسيح وحده من دون المرسلين أجمعين؛ وفي هذا المعنى برهان سمو رسالته على الرسالات كلها: فهي الخاتمة في يوم الدين نفسه.

وفي المعنى (لَعِلم) يشترك المسيح مع الله في علم الساعة الذي هو من غيب الله وحده، فلا يطّلع على غيب الله إلا المسيح وحده من دون المخلوقين أجمعين. وفي هذا المعنى برهان سمو شخصية المسيح على خلق الله كلهم.

وقد نقلوا في الحديث عن النبي هذه الاقوال:

— «يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكَماً عدلاً[١]».

— «ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم» في يوم الدين[٢].

— «ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها[٣]».

وعن أبي هريرة: «ألا ان ابن مريم، ليس بيني وبينه نبي ولا رسول. ألا انه خليفتي في أمتي من بعدي[٤]».

بحسب هذين الحديثين الآخرين، سيد أمة محمد في آخر الزمان هو المسيح نفسه. فكما يدعو القرآن، مع التوحيد، للمسيح؛ كذلك ستكون أمة محمد أمة للمسيح قبل يوم الدين.

---

(١) الثعلبي: عرائس المجالس ٤٠٣

(٢) ابن ماجه: السنن ٢: ٢٧٥

(٣) الترمذي: نوادر الاصول ١٥٦؛ وفي صيغة أخرى: «وعيسى ابن مريم آخرها»

(٤) السيوطي: الاعلام بحكم عيسى

ـ « يدرس الاسلام كما يُدرس وشي الثوب ... ويسري على كتاب الله (القرآن) في ليلة **فلا يبقى في الارض منه آية**[١] ».

ـ « لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء[٢] ».

« بدأ الاسلام غريباً، وسيعود كما بـــدأ[٣] » ـ عن أبي هريرة، وأنس ابن مالك.

ـ « ليس بيني وبين عيسى نبي، وذلك من قبل ومن بعد ».

ـ « ان المسيح ابن مريم خارج يوم القيامة، **وليستغنِ به الناس عن سواه**[٤] ».

نتساءل: بحسب هذه الاحاديث النبوية هل يُدرس القرآن والاسلام القرآني قبل يوم الدين، فلا يبقى إلا المسيح ودينه، فتتبعه أمة محمد أيضاً؟

وقد استنبط **الصوفية** من ميزة المسيح هذه أقوالاً تدل على دور المسيح في تاريخ البشرية والنبوة.

قال ابن العربي: « وانه سيد الاولياء[٥] ».

---

(١) الهندي: منتخب كنز العمال ٦: ١١؛ ابن ماجه: السنن ٢: ٢٥٩؛ الشعراني: مختصر تذكرة الامام القرطبي ١٧٠

(٢) الهندي: منتخب كنز العمال ٦: ١٥

(٣) ابن ماجه: السنن ٢: ٢٤٨ ـ ٢٤٩؛ الشعراني: الكتاب نفسه ١٧٩؛ الحلبي: إنسان العيون ٢: ٧٧

(٤) ابن حنبل: المسند ٢: ٢٤٠ و ٢٧٢ و ٤٩٣ و ٥٣٨؛ والهندي: منتخب كنز العمال ٦: ٥٥ ـ ٥٧

(٥) ابن العربي: عنقاء مغرب ٧٦

وله في الفتوحات المكية (٤ : ٢١٥) : « فالختم ختمان : ختم واحد في العالم يختم به الله الولاية المحمدية ، فلا يكون في الاولياء المحمديين أكبر منه . ومن ثمّ ختم آخر يختم به الله الولاية العامة من آدم الى آخر ولي : وهو عيسى عليه السلام ؛ وهو ختم الاولياء » .

فالمسيح هو سيد الاولياء ، وختم الاولياء .

وابن العربي يرى في المسيح ختم الولاية وختم الملك وختم النبوة :

قال[1] : « الختم ختمان : ختم يختم به الله الولاية المطلقة ، وختم يختم به الولاية المحمدية . (ختم الولاية المحمدية هو ابن العربي نفسه) . **فأما ختم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام** : فهو الولي بالنبوة المطلقة . فينزل في آخر الزمان وارثاً خاتماً ، لا وليّ بعده بنبوة مطلقة ، كما ان محمداً خاتمة النبوة ، لا نبوة تشريع بعده ، فكان اول هذا الامر نبي وهو آدم ، وآخره نبي وهو عيسى . وهو عليه السلام من هذا الوجه **خاتم الانبياء**. فجمع الله له بين ختم الولاية والنبوة » . وهذه ميزة للمسيح وحده على الرسل أجمعين .

وقال[2] : «وأما خاتمية عيسى عليه السلام ، فله **ختام دورة الملك** ، فهو آخر رسول يظهر ، ويظهر بصورة آدم في نشئه . . . ثم ان عيسى اذا نزل الى الارض في آخر الزمان ، **اعطاه الله ختم الولاية الكبرى** من آدم الى آخر نبي . ومن ثمّ فله ختم دورة الملك ، وختم الولاية العامة ، فهو من الخواتم في العالم» .

فالمسيح ، عند الصوفية المسلمين وامامهم ابن عربي ، هو ختم وختام الولاية ، وختم وختام الملك ، وختم وختام النبوة والرسالة .

---

(١) الفتوحات المكية ٢ : ٥٥

(٢) الفتوحات المكية ٣ : ٥٦٨ — ٥٦٩

فالمسيح هو سيد الملوك ، وسيد الاولياء ، وسيد الانبياء .

فاذا كان محمد « خاتم النبيين » نسبياً، فالمسيح هو خاتمة الانبياء على الاطلاق، كما هو خاتمة الأولياء على الاطلاق .

هذا هو دور المسيح « علماً » و « عَلَماً » للساعة .

●

سابعا : المسيح وحده هو « الوجيه » الوحيد في يوم الدين

لقد رأينا أنه بحسب القرآن ـ لا الحديث ـ لا شفيع في يوم الدين إلا الملائكة المقربون ، ضمن حدود وقيود .

فلا شفاعة ، في نص القرآن ، لرسول إلا المسيح ، فقد جاء « وجيهاً في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين » (آل عمران ٤٥) .

وأجمع المفسرون ان الوجاهة في الدنيا هي النبوة ، والوجاهة في الآخرة هي الشفاعة .

وبما أن القرآن جمع الوجاهة في الآخرة للمسيح مع الملائكة المقرّبين ، ففي ذلك دليل على شفاعته معهم في يوم الدين .

وفي استجواب الله له في يوم الدين (المائدة ١٢٠) يستنكر المسيح نسبة الناس الالهية له ، ثم يستشفع بأدب جم بأمته التي تؤلهه . فهذا مشهد شفاعة المسيح في يوم الدين .

ظن بعضهم ان هذا الموقف موقف شهادة عليهم ، لا موقف شفاعة لهم

لقوله: «وان من أهل الكتاب إلا ليؤمننّ به قبل موته، **ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً**» (النساء ١٥٨).

إن القرآن يستعمل تعبير اهل الكتاب إمّا على الاطلاق، وحينئذٍ يشمل اليهود والنصارى، وإما على التخصيص، كما يظهر من القرائن، وحينئذٍ قد يعني اليهود، او النصارى، بحسب دلائل القرائن. وفي الآية (١٥٨) من سورة النساء جاء تعبير أهل الكتاب على العموم وهو يقصد به التخصيص. والفقرة كلها (النساء ١٤٩ — ١٦١) حملة على اليهود لكفرهم بالمسيح وأمه؛ ومنها كفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وادعائهم قتل المسيح (النساء ١٥٥ — ١٥٨). فأهل الكتاب الذين يكون المسيح شاهداً عليهم يوم القيامة هم اليهود، لا النصارى، لان الله «جاعل الذين اتبعوك (النصارى)، فوق الذين كفروا (اليهود) الى يوم القيامة» (آل عمران ٥٥)، هؤلاء النصارى الذين قالوا مع الحواريين في المسيح: «ربنا آمنا بما أُنزلت واتبعنا الرسول (المسيح) فاكتبنا مع الشاهدين» (آل عمران ٥٣)؛ وقالوا في القرآن: «ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين... فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار، خالدين فيها، وذلك جزاء المحسنين» (المائدة ٨٦ — ٨٨).

فشهادة المسيح في يوم الدين ليست على أمته؛ بل هي شفاعة لهم لغلوّهم في أمره.

فالمسيح هو الوجيه الاوحد في يوم الدين مع الملائكة المقربين.

•

تلك هي رسالة المسيح في القرآن.

سبع ميزات ترفع رسالة المسيح على الرسالات كلها؛ فهو وحده وُلد على الهدى والنبوة؛ وهو وحده استجمع الوحي والتنزيل كله؛ وهو وحده استجمع

أنواع الرسالة كلها بالكلمة والقدوة والمعجزة؛ وهو وحده في رسالته وفي شخصيته انفرد بتأييد روح القدس له؛ وهو وحده رفعه الله اليه؛ وهو وحده عِلم للساعة؛ وهو وحده الوجيه الشفيع في يوم الدين.

وهذه الميزات السبع دلائل وبراهين على سمو شخصية المسيح على المخلوقين أجمعين. فرسالته تتخطى الزمن؛ فهي تسيطر على تاريخ البشرية والنبوة منذ اختيار الذرية المصطفاة على العالمين، حتى قيام الساعة ويوم الدين. وشخصية فيها «كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه» تعالى (النساء ١٧٠) يؤيده في ذاته وفي سيرته وفي رسالته (البقرة ٨٧ و ٢٠٣)، ويجعله وجه الدنيا والآخرة (آل عمران ٤٥) هي شخصية أسمى من المخلوق، وفي صلة خاصة بالخالق.

تلك هي القاعدة التاسعة في الحوار الاسلامي المسيحي.



بحث ثالث

آخرة المسيح، بحسب القرآن

(القاعدة العاشرة في الحوار المسيحي الاسلامي)

يختلف المسلمون والمسيحيون في قتل المسيح وصلبه، وينسبون هذا الاختلاف الى الانجيل والقرآن.

فالانجيل صريح، لا شبهة على موقفه ومقالته التي بها يتقيد المسيحيون.

فما هو موقف القرآن الصحيح ؟

في كل تفسير ديني او غيره، لا يؤخذ موقف معلم من عقيدة على قول او آية؛ بل تؤخذ العقيدة من مجموعة الاقوال فيها.

فما هي أقوال القرآن في آخرة المسيح ؟

●

اولاً : النصوص القرآنية

في القرآن أربعة نصوص صريحة، ونصّان تلميحاً، في آخرة المسيح، نوردها بحسب ترتيب نزولها :

١ — « والسلام عليَّ يوم ولدت ! ويوم أموت ! ويوم أبعث حيًّا » (مريم ٣٣).

هذه نبوءة من المسيح في مهده عن آخرته بعد رسالته.

٢ — « ولقد آتينا موسى الكتاب، وقفّينا من بعده بالرسل، وآتينا عيسى ابن مريم البينات، وأيدناه بروح القدس : أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقاً كذبتم، وفريقاً تقتلون !؟ » (البقرة ٨٧).

فالمقابلة قائمة في موقف اليهود من موسى وعيسى، والنتيجة ظاهرة : كذّبوا موسى، وقتلوا عيسى، اذ لا ذكر لسواهما، وصلة « وقفينا من بعده بالرسل » صلة ما بين موسى وعيسى. على كل حال نعتبر النص تلميحاً الى قتل عيسى.

٣ — « إذ قال الله : يا عيسى، ابـن مريم، إني متوفيك، ورافعك اليّ !

ومطهّرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » (آل عمران ٥٥) .

هذه الآية تفسر آية (مريم) : الرفع الى السماء يـــأتي بعد الوفاة ، في ختام رسالته .

٤ – « قالوا (اليهود) : إن الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار . قلْ : قد جاءكم رسل قبلي بالبينات وبالذي قلتم ، فلمَ قتلتموهم ان كنتم صادقين » (آل عمران ١٨٣) .

عهد الله لليهود بقربان الذبائح في التوراة عـــلى يد موسى ؛ وجميع انبياء الكتاب على شريعته . فالرسول الذي جاء بالبينات وقربان المائدة هو بحسب القرآن المسيح وحده ، فهو الذي قتلوه ، واستعمال العام للخاص اسلوب عربي وقرآني . على كل حال نعتبر النص تلميحاً الى قتل المسيح .

٥ – « وقولهم (اليهود) : إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ! – وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شُبّه لهم ! وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه . ما لهم به من علم الا اتباع الظن . وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزاً حكيماً » (النساء ١٥٦) .

ظاهر هذا النص – لا باطنه – هو مصدر الخلاف .

٦ – « واذ قال الله : يا عيسى ، ابن مريم ، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ؟! – قال : سبحانك ، ما يكون لي أن اقول ما ليس بحق ... وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم : فلمّا توفيتني ، كنت انت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد » (المائدة ١١٦ – ١٢٠) .

هذا النص آخر ما نزل من القرآن في آخرة المسيح .

فالظاهرة الكبرى في هذه النصوص انها كلها تقول بموت ووفاة وقتل المسيح، تصريحاً أو تلميحاً، ما عدا آية النساء، بحسب ظاهرها.

فما هو التفسير السوي لمقالة القرآن في آخرة المسيح، وما هو معنى آية النساء الصحيح ؟

●

ثانياً : التفسير الصحيح لتعليم القرآن في آخرة المسيح

موقف أهل السنة والجماعة أنهم يأخذون آية النساء على ظاهرها، وبها يفسرون سائر القرآن في تعليمه عن آخرة المسيح. وبعضهم أخذ من آية النساء اسطورة الشبه الذي القاه الله على احدهم فقتل بدل المسيح. وبهذا التفسير ينقضون قتل المسيح والصلب والصليب.

ينتج عن ذلك أنهم يقيمون تناقضاً بين آية النساء وسائر القرآن، ويفسرون الكل بالجزء. ويجعلون تناقضاً ظاهراً بين القرآن والانجيل المبني كله على صلب المسيح. ويخلقون تناقضاً بين التاريخ الذي تبدؤه آية النساء وبين التاريخ العام قبلها بمدة ستماية سنة ونيف، كما يقول به الرومان واليهود والنصارى.

وتلك **المتناقضات الثلاث** الضخمة، مع مجموع الايات القرآنية في آخرة المسيح، تفرض حلاً عادلاً غير مقالة العامة من المسلمين حتى اليوم.

●

١ – الرد على الشبهات

الشبهة الاولى : قصة الشبه : « ولكن شبّه لهم »

فسره **الجلالان** « ولكن شبه لهم المقتول والمصلوب وهو صاحبهم ، بعيسى اي القى الله عليه شبهه فظنوه إياه . (وان الذين اختلفوا فيه) اي في عيسى (لفي شك منه) من قتله ، حيث قال بعضهم لمـّا رأوا المقتول : الوجه وجه عيسى ، والجسد ليس بجسده ، فليس به ؛ وقال آخرون : بل هو هو » .

فسره **البيضاوي** : « روي ان رهطاً من اليهود سبوه وأمه فدعى عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير ، فاجتمعت اليهود على قتله ، فأخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء . فقال لأصحابه : ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويُصلب ويدخل الجنة . فقام رجل منهم ، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب . وقيل : دخل طيطاوس اليهودي بيتاً كان هو فيه فلم يجده ، والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فأخذ وصلب . وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة . وإنما ذمهم الله تعالى بما دلّ عليه الكلام من جرأتهم على الله ، **وقصدهم قتل نبيه** المؤيد بالمعجزات القاهرة ، **وتبجّحهم به لا** بقولهم هذا على حسب حسبانهم .

« و (شبّه) مسند الى الجار والمجرور ، وكأنه قيل : ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول ، او في الامر على قول من قال : **لم يُقتل احد ولكن ارجف بقتله** فشاع بين الناس ؛ او الى ضمير المقتول لدلالة (إنا قتلنا) على ان ثمّ قتيلاً .

« فإنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود : إنه كان كاذباً فقتلناه حقاً . وتردّد آخرون ، فقال بعضهم : إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا ؟ وقال بعضهم : الوجه وجه عيسى ، والبدن بدن صاحبنا . وقال مَن سمع منه : (ان الله يرفعني الى السماء) انه رفع الى السماء . وقال قوم : « **صلب الناسوت وصعد اللاهوت** » .

ـ وهنا يخلط البيضاوي مقالة النصارى : «صلب الناسوت وصعد اللاهوت»، بمقالات اليهود ؛ وما كان احد من اليهود يقول بلاهوت في المسيح .

والاختلاف بين المفسرين في: هل قتل احد بدل المسيح ام لم يقتل، بل ارجف بذلك فشاع بين الناس ؟ هذا الاختلاف ، وقول القائلين لم يقتل أحد ، بل هي اشاعة ، ينقض قصة الشبه .

وفسره **الزمخشري** : « ما معنى قوله : شبّه لهم ؟ (شبّه) مسند الى ماذا ؟ إن جعلته مسنداً الى المسيح ، فالمسيح مشبه به وليس بمشبه ، وإن اسندته الى المقتول ـ وقد زعموا ان اليهود قتلوا رجلاً آخر شبيهاً بعيسى ـ فالمقتول لم يجرِ له ذكر. قلت : هو مسند الى الجار والمجرور (لهم) ، كقولك **خيّل اليهم**، كأنه قيل : وقع لهم التشبيه . ويجوز أن يسند الى ضمير المقتول » .

ونحن نقول : ان الصعوبة اللغوية في اسناد (لهم) تجعل الضمير في (لهم)لا يعني المسيح ، ولا المقتول المزعوم بدلاً عنه . وهذه حجة لغوية ضد قصة الشبه . والمعنى ما قاله الزمخشري : « خيّل اليهم » الأمر .

والقول الفصل في تفسير **الرازي** : «اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضوع (قُتل أحد بدل المسيح) وذكروا طرقاً : (الاول) قال كثير من المتكلمين ان اليهود لمّا قصدوا قتله رفعه الله تعالى الى السماء ، فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم فأخذوا انساناً وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس أنه المسيح . (الثاني) انه تعالى ألقى شبهه على انسان آخر؛ ثم فيه وجوه: ١) دخل طيطاوس اليهودي بيتاً كان المسيح فيه فلم يجده ، وألقى الله عليه شبهه ، فلمّا خرج ظنّ انه عيسى فأخذ وصلب . ٢) وكلوا بعيسى رجلاً يحرسه ، فرفع عيسى الى السماء وألقى الله شبهه على ذلك الرقيب فقتلوه ، وهو يقول : لست بعيسى ! ٣) تطوع أحد أصحابه ، فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرج وقتل ،

ورُفع عيسى . ٤) نافق أحد تابعيه ودلهم على عيسى ليقتلوه ، فلما دخل مع اليهود لأخذه ، ألقى الله شبهه عليه فقُتل وصلب . — وهذه الوجوه **متعارضة متدافعة** ، والله اعلم بحقائق الامور » .

فمقالات الذين يقولون ان ثمّت قتيل بدل عيسى « **متعارضة متدافعة** » ينقض بعضها بعضاً ، وبالتالي ينقض وجود قتيل بدل المسيح .

بقيت **اسطورة الشبه**؛ والرازي يفنّدها تفنيداً محكماً في (آل عمران ٥٥).

« فكيفما كان ، ففي القاء شبْهه على الغير اشكالات :

الاشكال الاول : انه ان جاز أن يقال ان الله تعالى يُلقي شبه انسان على انسان آخر ، فهذا يفتح باب السفسطة ، وأيضاً يفضي الى القدح في التواتر: ففتح هذا الباب أوله سفسطة ، وآخره **ابطال النبوءات بالكلية** .

والاشكال الثاني : ان الله أيده بروح القدس ، جبريل ، فهل عجز هنا عن تأييده ؟ وهو كان قادراً على احياء الموتى ، فهل عجز عن حماية نفسه ؟

والاشكال الثالث : انه تعالى كان قادراً على تخليصه برفعه الى السماء ، فما الفائدة بإلقاء شبهه على غيره ؟ وهل فيه الا القاء مسكين في القتل من غير فائدة اليه ؟

والاشكال الرابع : بإلقاء الشبه على غيره اعتقدوا (اليهود) أن هذا الغير هو عيسى ، مع انه ما كان عيسى : فهذا كان القاء لهم في الجهل والتلبيس ، وهذا لا يليق بحكمة الله .

والاشكال الخامس : ان النصارى (واليهود) على كثرتهم في مشارق الارض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح وغلوهم في أمره (أو شدة بغض اليهود له)

شاهدوه مقتولاً مصلوباً : فلو أنكرنا ذلك، كان طعناً فيما ثبت بالتواتر، **والطعن بالتواتر يوجب الطعن في نبوة محمد وعيسى وسائر الانبياء.**

والاشكال السادس : ألا يقدر المشبوه به أن يدافع عن نفسه أنه ليس بعيسى -؟ والمتواتر أنه فعل. ولو ذكر ذلك لاشتهر عند الخلف هذا المعنى. فلما لم يوجد شيء من ذلك علمنا أن الامر ليس على ما ذكرتم . . .

« وبالجملة فالأسئلة التي ذكروها أمور تتطرق الاحتمالات اليها من بعض الوجوه »

ويختار الرازي مقالة الإشاعة الكاذبة التي انطلقت على الناس. فهو يردّ رداً مبرماً قصة الشبه.

وآن للقوم أن يتخلّصوا من هذه الخرافة التي ينقضها العقل، ولا تستند الى النقل، فلا يعني قوله : « شبه لهم » قصة الشبه، بل « خيّل اليهم » كما يقول أصح العارفين في لغة القرآن، الزمخشري. فإن فلسفة القرآن، وعلم الكلام، والتفسير الصحيح تنقض نقضاً مبرماً تلك الاسطورة السخيفة.

●

الشبهة الثانية : معنى « الوفاة » في لغة القرآن

بسبب التعارض الظاهر بين آية النساء وسائر القرآن يجتهد القوم في تفسير معنى الوفاة على ثلاثة معانٍ إلا الموت.

١) قال بعضهم : ان الوفاة في لغة القرآن لا تعني الموت بل وفاة النوم استناداً الى آيتين : « وهو الذي **يتوفاكم بالليل**، ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه » (الانعام ٦٠)، « الله يتوفى الانفس حين موتها، والتي لم تمت في

منامها ؛ فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الاخرى الى أجل مسمّى » (الزمر ٤٢) . فالقرآن ، على حدّ قولهم ، يأخذ الوفاة بالمعنى المجازي ، لا بالمعنى الحقيقي .

وفات هؤلاء أن القرآن يستعمل كلمة « الوفاة » بمعنى الموت الحقيقي نحو خمس وعشرين مرة ؛ ولا يعدل الى المعنى المجازي الا لقرينة لفظية كما في الآيتين اللتين ذكروهما : « يتوفاكم بالليل » ، « والتي لم تمت في منامها » .

منها بالمعنى الحقيقي :

ـ « وكنت شهيداً عليهم ما دمت فيهم ، فلما توفيتني » (المائدة ١٢٠) فالوفاة هنا عكس الحياة ، فهي تعني الموت الحقيقي .

ـ « خلقكم ثم يتوفاكم » (النحل ٧٠) فالوفاة عكس الولادة ، فهي تعني الموت .

ـ « يتوفاكم ملاك الموت» (آلم السجدة ١١)؛ القرينة الظاهرة تعني الموت.

ـ « حتى يتوفاهن الموت » (النساء ١٤) ؛ القرينة الظاهرة تعني ايضاً الموت .

ـ « الله يتوفى الانفس حين موتها » (الزمر ٤٢)؛ القرينة الظاهرة تعني وفاة الموت .

ـ « ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة، يضربون وجوههم وأدبارهم ! وذوقوا عذاب الحريق » (الانفال ٥١) . هنا القرينة المعنوية تعني وفاة الموت.

ـ « فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم» (يونس ١٠٤) اي « يقبض ارواحكم » (الجلالان) : فالقرينة المعنوية تعني وفاة الموت .

— « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فألقَوا السلم » (النحل ٢٨) اي « انقادوا واستسلموا عند الموت » (الجلالان) : فالقرينة المعنوية تعني وفاة الموت .

— « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون : سلام عليكم ، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » (النحل ٣٢) اي « يقولون لهم عند الموت » (الجلالان) : فالقرينة المعنوية تعني وفاة الموت .

— « حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا : اين ما كنتم تدعون من دون الله ؟ ... قال : ادخلوا ... في النار ، كلما دخلت امة لعنت اختها ! » (الاعراف ٣٦ — ٣٧) اي « شهدوا على انفسهم عند الموت » (الجلالان) : فالقرائن المعنوية واللفظية تعني وفاة الموت .

— وإمّا نرينك بعض الذي نعدهم ، او نتوفينك فإلينا مرجعهم » (يونس ٤٦) : ان قرينة (فالينا مرجعهم) ، دليل على ان الوفاة بمعنى الموت .

— « وانْ ما نرينك بعض الذي نعدهم ، أو نتوفينك ، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب » (الرعد ٤٢) : ان قرينة (وعلينا الحساب) دليل على وفاة الموت .

— « فاصبر ان وعد الله حق : فإما نرينك بعض الذي نعدهم ، او نتوفينّك فإلينا يرجعون » (المؤمن أو غافر ٧٧) اي (نتوفينك قبل تعذيبهم فإلينا يرجعون فنعذبهم أشد العذاب » (الجلالان) : فالقرائن اللفظية والمعنوية تعني وفاة الموت .

— « توفني مسلماً والحقني بالصالحين » (يوسف ١٠١) : القرينة الظاهرة تعني وفاة الموت .

— «فآمنا بربنا فاغفرْ لنا ذنوبنا وكفرْ عنّا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار» (آل عمران ٩٣) اي «اقبض ارواحنا في جملة الصالحين» (الجلالان): فقرينة (مع الابرار) تعني وفاة الموت.

— «قالوا: انا الى ربنا منقلبون؛ وما تنقم منا (يا فرعون) الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا! ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين» (الاعراف ١٢٤–١٢٥): فالقرائن اللفظية والمعنوية تدل على وفاة الموت.

— «يا ايها الناس، ان كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب... ثم نخرجكم طفلاً، ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى، ومنكم مـــن يُرد الى ارذل العمر» (الحج ٥) قال الجلالان: «ومنكم من يتوفى: يموت قبل بلوغ الأشد». فالقرائن اللفظية والمعنوية كلها تؤيد معنى وفاة الموت.

— «هـــو الذي خلقكم... ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً؛ ومنكم من يُتوفّى من قبل» (المؤمن أو غافر ٦٧): ان القرائن اللفظية والمعنوية كلها توكّد ان معنى الوفاة الموت.

— «والذين يُتوفون منكم ويذرون ازواجاً يتربَّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً» (البقرة ٢٣٤). قال الجلالان: «يُتوفون: يموتون». وهذا مـا تدل عليه القرائن.

— «والذين يُتوفون منكم، ويذرون أزواجاً، وصية لأزواجهم، متاعاً الى الحول» (البقرة ٢٤٠) اي «الى تمام الحول من موتهم الواجب عليهـــن تربصه» (الجلالان) كما تدل عليه القرائن.

تلك هي الآيات التي ترد فيها الوفاة. وانت ترى انها في كلها تعني الموت، الا في الايتين المذكورتين (الانعام ٦٠؛ الزمر ٤٢) لقرينة لفظية ظاهرة صريحة تحمل الوفاة **من المعنى الحقيقي الذي لها في كل القرآن**، الى معنى مجازي.

فتفسير الوفاة بمعنى النوم هو افتراء على القرآن ، لأنه ليس في الآيات التي تذكر موت المسيح أية قرينة لفظية أو معنوية تحولها من المعنى الحقيقي الذي لها في كل القرآن ، وفي آيات وفاة المسيح ، الى معنى مجازي .

●

٢) وقال بعضهم ، كما ذهب اليه الزمخشري والبيضاوي : ان « الوفاة » بمعنى « الاستيفاء » ، من (استوفي الشيء) و (توفي الشيء) اي أخذه كاملاً .

قال البيضاوي : «اني متوفيك (آل عمران ٥٥) اي مستوفي أجلك ، ومؤخرك الى اجلك المسمّى عاصماً اياك من قتلهم . أو قابضك من الارض ، من (توفيت مالي) . أو متوفيك نائماً **إذ روي انه رفع نائماً** . او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت . وقيل : أماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء ؛ واليه ذهبت النصارى » .

ينقل البيضاوي خمسة تفاسير ، منها معنى الموت الذي لا مفر منه . وانت ترى ان التفاسير الاربعة الأخرى تمحلات على اللفظ لاستدراج المعنى الى ما يقصدون لا الى ما يعنيه ظاهر اللفظ وباطنه .

وفي **الواقع القرآني** لا يرد اسم (الوفاة) على الاطلاق بمعنى الاستيفاء . انما يرد فعل (وفّى) وحده بهذا المعنى ، أو بمعنى الوفاء (٥٣ : ٣٧ ؛ ٢٤ : ٣٩ ؛ ١١ : ١٥ ؛ ٣ : ٥٧ ؛ ٤ : ١٧٢ ؛ ٢٤ : ٢٥ ؛ ٣٥ : ٣٠ ؛ ٤٦ : ١٩ ؛ ١١ : ١١٢ ؛ ٣ : ٢٥ ؛ ٣٩ : ٧٠ ؛ ٣٩ : ١٠ ؛ ٢ : ٢٧٢ ؛ ٨ : ٦١ ؛ ٢ : ٢٨١ ؛ ٣ : ١٦١ ؛ ١٦ : ١١١ ؛ ٣ : ١٨٥ ؛ ٣ : ٧٦ ؛ ٩ : ١١٢ ؛ ٤٨ : ١٠ ؛ ١٢ : ٥٩ ؛ ٢ : ٤٠ ؛ ١٣ : ٢٢ ؛ ٧٦ : ٧ ؛ ٢٢ : ٢٩ ؛ ١٢ : ٨٨ ؛ ٢ : ٤٠ ؛ ٥ : ١ ؛ ٦ : ١٥٢ ؛ ٧ : ٨٤ ؛ ١١ : ٨٤ ؛ ١٦ : ٩١ ؛ ١٧ : ٣٤ و ٣٥ ؛ ٢٦ : ١٨١) .

●

وليس من قرينة لفظية أو معنوية في ايات وفاة المسيح تعني الاستيفاء أو الوفاء؛ بل كل القرائن اللفظية والمعنوية فيها تعني وفاة الموت.

•

٣) وبعضهم فسّر وفاة المسيح بمعنى النوم، اذ رفعه الله في حالة نوم الى السماء، في سِنَة الكرى.

وقد رأينا ان الوفاة بالمعنى المجازي، اي النوم، أو المنام، لم ترد الا في موضعين (الانعام ٦٠، الزمر ٤٢) بقرينة لفظية تحولها من المعنى الحقيقي الى المعنى المجازي، من اصل خمسة وعشرين موضعاً تعني كلها وفاة الموت، بالمعنى الحقيقي.

وما نقله البيضاوي وغيره: «رُوي انه رفع نائماً» لا اصل له في الانجيل ولا في القرآن.

فتفسير الوفاة بمعنى النوم في موت المسيح تهريج، لا تخريج. فالوفاة في لغة القرآن تعني الموت الحقيقي، كما تشهد به آيات القرآن كلها كما نقلناها.

وفي تفسير «متوفيك» في (آل عمران ٥٥) قال الرازي: «متوفيك اي مميتك، وهو مروي عن ابن عباس ومحمد بن اسحاق؛ قالوا مع وهب: توفّي ثلاث ساعات ثم رُفع؛ ومع محمد ابن اسحاق: توفي سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعه». ونقل السيوطي في (الاتقان ١ : ١١٦) : «متوفيك : مميتك».

ومن جمْع آية النساء الى آية آل عمران يتضح ان المسيح مات، ولم يشتبهوا في موته، ولم يمت أحد بدلاً عنه. وما نفي القتل والصلب في آية النساء الا لاثباته في حقيقته، بحسب الاسلوب البياني كما سنرى: «نفي الشي لإيجابه».

•

الشبهة الثالثة : آية النساء نسخت سائر آيات وفاة المسيح .

بسبب التعارض الظاهر في آية النساء مع سائر ايات القرآن عن موت المسيح لجأ بعضهم الى مبدإ الناسخ والمنسوخ ، فقالوا : إن آية النساء نسخت سائر آيات القرآن في وفاة المسيح .

وفات هؤلاء المتخرصون أن النسخ - إن قبل كمبدإ في تفسير كلام الله - لا يقع الا في الاحكام التشريعية ، ولا يجري على الاخبار التاريخية . فما جرى قد جرى ، « وكان أمر الله مفعولاً » . فبعد أن تنبأ المسيح منذ مولده أنه سيموت وسيبعث حياً (مريم ٣٣) ، وأنه مات ورُفع الى الله (آل عمران ٥٥) ، لا يصح ان تنسخ آية النساء : « ومـــا قتلوه وما صلبوه ... » (١٥٦) خبر موته .

وهب أن آية النساء هذه تنسخ ما قبلها من خبر موت المسيح في سورة مريم وسورة آل عمران ، فكيف تنسخ ما بعدها من سورة المائدة : « وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم » (١٢٠) ؟ وآية المائدة حيث الوفاة عكس الحياة هي آخر ما نزل من القرآن في آخرة المسيح ، وهي تؤكد بصراحة موت المسيح قبل رفعه الى السماء .

ففي مذهب هؤلاء ليس النسخ إلا من باب المسْخ !

●

الشبهة الرابعة : آية النساء تنفي القتل والصلب ، لا الموت .

انها تصرح : « وما قتلوه وما صلبوه ... ومـــا قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه » (١٥٦) .

نقول : كل التفاسير تذهب الى ان المسيح لم يمت - مهما كان نوع موته - بل رُفع حياً الى السماء . وليس من تفسير أو تعليم في الاسلام يقول بموت المسيح وبعثه ثم رفعه الى السماء، مع ان هذا هو ظاهر آية مريم (٣٣) .

وهب ان ما يدعيه هؤلاء من موت المسيح ورفعه حيا الى السماء هو موقف القرآن والاسلام : فهذا هو موقف المسيحية في الصميم، مهما كانت الكيفية ؛ ولا خلاف اذن، بحسب هذا المذهب، بين الاسلام والمسيحية، في موت المسيح وقيامته ورفعه حيا الى الله . فسواء مات المسيح ثم قام وارتفع الى السماء؛ أو قُتل وصلب ثم رُفع الى السماء حيا، فالحقيقة الجوهرية واحدة، والطريقة عرَضٌ، في منطق القرآن .

واذا كان المسيح قد مات ثم قام وارتفع الى السماء، فما قتله الا استشهاداً يرفع من معنى موته ؛ وقتل النبيين بغير حق، سُنّة عند اليهود، بحسب القرآن . فمن قال بموت المسيح قبل رفعه، يقول باستشهاده لأن الشهادة بالموت برهان الشهادة للحق، في دعوة الانبياء ؛ وهذا معنى قوله : «ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً، بل أحياء عند ربهم يرزقون» (آل عمران ١٦٩) .

●

الشبهة الخامسة : آية النساء تكذّب شبهة شائعة عن قتل المسيح .

يقول فريق من علماء المسلمين : لم يُقتل أحد بدل المسيح، بل هي إشاعة كاذبة أرجف بها اليهود وصدقها قومهم، فكذبها القرآن في آية النساء .

هذا القول ينقض قصة الشبه التي اختلقها الفريق الآخر .

والقول بأن المسيح لم يقتل ولم يمت، بل هي إشاعة كاذبة أطلقها اليهود،

هو قول ينقض صريح القرآن الذي يؤكد موت المسيح قبل رفعه الى السماء في آيات مريم وآل عمران والمائدة .

ولا تجوز فرية على شعوب مختلفة كالرومان واليهود والنصارى الذين يشهدون جميعهم بموت المسيح وقتله واستشهاده ، وذلك مدة مئات السنين، حتى جاءت آية النساء تفتح فتحاً جديداً في التاريخ المتواتر ، اذا ما فهمها القوم حسب ما يشتهون

لكن فهم آية النساء حق فهمه يبدّد كل تلك الشبهات .

●

٢ – التفسير الصحيح لآية النساء في قتل المسيح

ان تعارض آية النساء مع سائر القرآن بشأن آخرة المسيح تحملنا على تدبّر ظاهرها ، ليتضح باطنها ، كما أمرنا القرآن : «أفلا يتدبرون القرآن؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» (النساء ٨١ قابل ٤٧ : ٢٤ ؛ ٢٣ : ٦٩ ؛ ٣٨ : ٢٩) .

يزول التعارض بين آية النساء وسائر القرآن ، اذا ما تدبرنا هذه الآية المتشابهة في اسلوبها اللغوي ، والموضوعي ، والبياني ، والكلامي .

الاسلوب اللغوي يقوم على معنى « شبّه لهم » انهم قتلوه وصلبوه . فالتعبير « شبّه لهم » لا يعني ، كما رأينا ، ان المسيح ألقي شبهه على غيره فقتل هذا الغير المشبوه . بل تعني كما قال الزمخشري ، أفضل مَن فسر لغة القرآن وبيانه : « خيّل اليهم » أي توهموا أو وهموا أنهم قتلوه وصلبوه ، فهو ميت لا حي ؛ بل هو حي لأن الله رفعه اليه .

الاسلوب الموضوعي : ما هي غاية القرآن في هذه الآية ؟ بما أن القرآن قبلها وبعدها يؤكد موت المسيح ثم رفعه حيا الى السماء ، فليس المقصود نفي القتل والصلب بل الرد على تبجّح اليهود به ، وافحامهم بتأكيد رفعه حيا الى الله . قال البيضاوي : « وانما ذمهم الله تعالى بما دلّ عليه الكلام من جرأتهم على الله ، وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة ، وتبجحهم به » !

وما تشابه من قصد القرآن في آية النساء، يظهر في آية آل عمران: «ومكروا (اليهود) ومكر الله ، والله خير الماكرين : اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اني متوفيك ورافعك اليّ ، ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » (٥٤ — ٥٥) . فقد مكر اليهود لقتل المسيح والقضاء عليه نهائياً قضاءً مبرماً ، فكان مكر الله أكبر ، اذ توفاه ثم رفعه اليه . ومن انسجام آية النساء وآية آل عمران في الموضوع الواحد ، يظهر جلياً ان موضوع آية النساء ليس نفي القتل والصلب ، بل الرد على مكرهم بمكر الله الذي اذ رفع المسيح حيا الى السماء بعد قتله وصلبه، فوّت عليهم مكرهم وقتلهم له . فالمسيح حي خالد في السماء ، مهما تبجّحوا بقتله وصلبه !

وسياق التعابير في آية النساء يؤيد ما نذهب اليه : « وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه » : فاليهود انفسهم مختلفون في القضاء النهائي على المسيح . « ما لهم به من علم الا اتباع الظن » : فالذين منهم يؤكدون القضاء المبرم على المسيح انْ هم الا يظنون، وبعض الظن اثم . « وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه » : فبرفع المسيح الى الله ، ما قتلوه يقيناً ، ذلك القتل الذي يجعله معدوماً ؛ بل هو حي عند الله ، فكأنهم ما قتلوه وما صلبوه ، وما تخلصوا منه . انه حي يشهد بفشل مكرهم وقدرة الله وحكمته : « وكان الله عزيزاً حكيماً » برفع المسيح اليه بعد موته .

الاسلوب البياني على نوعين :

اسلوب المقابلة الصحيحة بين أمرين قابل الخصم بينهما خطأ ، فيصدر أحدهما بأداة نفي ، لا لنفي حقيقته ، بل لإظهار فضل الآخر على الاول : فالقرآن يقابل بين قتل المسيح وصلبه ، وبين رفعه حيا الى الله ، فيصدر القتل والصلب بشكل نفي ، لاثبات فضل رفع المسيح على مكرهم بقتله وصلبه . يؤيد ذلك قوله : « وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه » .

وهذا اسلوب سامي ، عبري ، عربي متواتر في القرآن والكتاب . جاء في التوراة (سفر التكوين ٤٥ : ٨) : في خطاب يوسف لاخوته : « ليس أنتم أرسلتموني الى ههنا ، بل الله » . فهل ينكر يوسف أن اخوته قد باعوه الى تجار عابرين ؟ كلّا ، بل يقابل بين قصدهم وعملهم ، وقصد الله وعمله ، ليظهر فضل الله على عمل العبد . وفي الانبياء قول هوشع (٦ : ٦) : « لا أريد ذبيحة، بل رحمة » . فالله يفرض عليهم الذبيحة ، فكيف لا يريدها ؟ انما يقابل بين الذبيحة وبين الرحمة ، فتصدر الذبيحة بشكل نفي ، والرحمة بشكل توكيد ، لاظهار فضل الرحمة على الذبيحة .

هكذا يقابل القرآن بين تبجح اليهود بقتل المسيح وصلبه ، وبين ايمانه برفع المسيح حيا الى السماء ، فيصدر تبجحهم بشكل نفي ، وايمان القرآن برفع المسيح حيا الى الله بشكل توكيد ، لاظهار فضل الله برفع المسيح على مكر اليهود بقتله وصلبه ، لا لإنكار قتله وصلبه . واسلوب المقابلة هذا يظهر من قوله : « وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه » .

وهناك اسلوب آخر : الاثبات في معرض النفي ، كالمدح في معرض القدح ، حيث ظاهر الكلام يكون قدحاً ، وباطنه مدحاً ، او ظاهره نفياً ، وباطنه اثباتاً .

وبما أن القرآن قبل آية النساء وبعدها يؤمن بموت المسيح ورفعه حياً الى السماء، ففي رده على تبجح اليهود بقتل المسيح وصلبه، يرد القرآن عليهم باسلوب النفي والاثبات، فيظهر نفي ما يقولون ليعلن فضل ايمانه برفع المسيح حياً الى السماء؛ **فيكون ظاهر الكلام نفياً، وباطنه اثباتاً**: «وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه»؛ فما قتلهم للمسيح قتلاً، بل استشهاداً لأن الله رفعه اليه. فالقرآن في آية النساء، انسجاماً مع القرآن كله، يثبت الموت بالقتل والصلب، في معرض النفي.

وهذا الاسلوب البياني يسمّى أيضاً: «نفي الشيء لإيجابه».

الاسلوب الكلامي يفضح التعارض الذي يخلقه ظاهر آية النساء بين آي القرآن، وبين القرآن والانجيل، وبين آية النساء والتاريخ العام.

آية واحدة من آي القرآن الست يظهر انها تنفي ما يثبته آي القرآن كله عن آخرة المسيح، من أنه مات ثم رفع حياً الى السماء. فمن الخطل تفسير آي القرآن كله الصريح في موت المسيح ورفعه حياً، بآية متشابهة؛ ومن الخطإ تفسير الكل بالجزء! فالمنطق يقتضي تفسير الجزء بالكل، وتفسير متشابه القرآن بمحكمه. وتفسير القوم آي القرآن في موت المسيح ورفعه على ضوء ظاهر آية النساء يخلق تفاسيرهم المتعارضة التي يظهر تهافتها على ضوء الواقع القرآني. وهذا الواقع القرآني يشهد بتعارض ظاهر آية النساء مع سائر آي القرآن في موت المسيح. فالأحرى التدقيق بباطن آية النساء على ضوء قرائنها وقرائن سائر الآيات لاتقاء التناقض في تفسير القرآن. وهذا ما فعلناه استناداً الى الوقع القرآني كله.

ان الانجيل بأحرفه الاربعة مبني على قتل المسيح وصلبه، وموته ورفعه الى السماء: أفنخلق تعارضاً بين الانجيل والقرآن، والمسيحية والاسلام، بتفسير مغرض لآية متشابهة يوضح معناها سائر آي القرآن؟ وبما أن القرآن ينقل ذكر وفاة المسيح ورفعه، عن «الذكر الحكيم» في الانجيل (آل عمران ٥٨)؛

ويقول: «هذا ذكر مَن معي وذكر مَن قبلي» (الانبياء ٢١)؛ ويحيلنا مراراً الى اهل الذكر للتثبت من صحة الذكر في القرآن: «واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر» (النحل ٥٣ قابل الانبياء ٧)؛ فمن التجني على القرآن خلق التعارض بينه وبين الانجيل، وهو منه براء: «قل: كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومَن عنده علم الكتاب» (الرعد ٤٥). وعلم الكتاب يؤكد قتل المسيح وصلبه، فموته ورفعه، والقرآن تصديق له وتفصيل.

وان التاريخ العام الذي تمثله الوثنية الرومانية، واليهودية المجرمة في قتل المسيح، والمسيحية المؤمنة بقتله، مدة ستماية سنة ونيف قبل القرآن والاسلام، لا يطعن في تواتر شهادتها بالاجماع قول آية متشابهة في ظاهرها. يقول الرازي: «فلو أنكرنا ذلك، كان طعناً فيما ثبت بالتواتر، والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوة محمد وعيسى وسائر الانبياء». وهذا خبر لا يصح فيه نسخ؛ وخبر متواتر في التاريخ العام لا تنقضه آية متشابهة وتفسير لها مشبوه.

لهذا كله نرى ان التفسير الصحيح لتعليم القرآن في آخرة المسيح هو ما يقيم الانسجام بين آي القرآن، وبين الانجيل والقرآن، والتاريخ العام والقرآن.

لهذا كله، بناء على الواقع القرآني نفسه، نقول إن القرآن يعلِّم تعليم الانجيل في قتل المسيح وصلبه، فموته ورفعه.

وهذه هي القاعدة العاشرة في الحوار الاسلامي المسيحي.



بحث رابع

ميزات المسيح في القرآن

(القاعدة الحادية عشرة للحوار المسيحي الاسلامي)

ميزات المسيح في القرآن تنبع من سيرته ومن رسالتـــه ومن شخصيته . والقرآن لا يعطي أحداً من الرسل ، حتى محمداً « خاتم النبيين » شيئاً من ميزات المسيح التي ترفعه على العالمين والمرسلين أجمعين .

كتاب كامل لا يكفي لتعداد ميزات المسيح في القرآن ؛ نكتفي منهـــا بالميزات الظـــاهرة في نص القرآن ، من دون مضمونه . وقد يكون في ما نذكره بعض الاعادة لما تقدّم ، نردده لاستجماع الصورة التي تسمو على صور المخلوقين أجمعين .

أولاً : المولد من بتول اصطفاها الله على نساء العالمين

هذا ما يؤكده القرآن في سورة مريم (١٩ — ٢٠) :

« قالت : أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أكُ بغياً !
« قال : (هو) كذلك ! قال ربك : هو عليّ هين !
ولنجعله آية للناس، ورحمة منا، وكان أمراً مقضياً »

ويردّد في آل عمران (٤٧) :

« قالت : ربّ أنى يكون لي ولد ، ولم يمسسني بشر !
« قال : (هو) كذلك ! الله يخلق ما يشاء !
اذا قضى أمراً فإنما يقوله له : كن ! فيكون »

والقرآن يكفّر اليهود في كفرهم ببتولية مريم في مولد المسيح :

« ويكفّرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً » (النساء ١٥٥) .

وتلك ميزة انفرد بها المسيح علــى العالمين والمرسلين . قال البيضاوي في (البقرة ٨٧) : « لم تضمه الاصلاب ، ولا الأرحام الطوامث » : وهــذا لم يجرِ لبشر !

●

ثانياً : نطق المسيح عند مولده

يؤكد القرآن ذلك في سورة مريم (٢٩ ــ ٣٠) .

« فأشارت اليـــه ! قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبياً !!
قال : إني عبـــد الله آتاني الكتـــاب وجعلني نبياً »

ويردّده في سورة آل عمران (٤٦) :

« يكلّم الناس في المهد وكهلًا » (٤٦) :

كما يكرّره في سورة المائدة (١١٣) :

« تكلّم الناس في المهد وكهلًا »

وهذا النطق الطبيعي منذ مولده ميزة انفرد بها المسيح على العالمين والمرسلين.

•

ثالثاً : نبوّة المسيح منذ مولده

في الكتاب والقرآن استنبأ الله الأنبياء رجالًا في سن الكهولة. وانفرد المسيح على الانبياء والمرسلين أنه وُلد على الهدى وتنبأ منذ مولده :

« قال : اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيًّا » (مريم ٣٠) .

« ويكلِّم الناس في المهد وكهلًا » (آل عمران ٤٦) .

والقرآن يجعل نطق المسيح المعجز منذ مولده ، برهانا على نطقه النبوي في المهد :

« اذ قال الله : يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك
إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلًا »
(المائدة ١١٣)

وميزة المسيح في هذه الميزة مزدوجة : تنبأ منذ مولده ، وكانت نبوّته في المهد مثل نبوّته كهلًا ، بدون تفاوت . قال الرازي أيضاً : « من غير أن يتفاوت كلامه في هذين الوقتين . وهذه خاصية شريفة حاصلة له ، وما حصلت لاحد من الأنبياء قبله ولا بعده » .

•

رابعاً : عصمة المسيح في سيرته ، مثل عصمته في رسالته

يتوهم بعضهم ان العصمة في الرسالة تشمل العصمة في السيرة ؛ وصريح القرآن ينقض هذا الوهم . فقبل رسالة محمد يُقال له : « ألم نشرح لك صدرك

ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك» (الشرح ١ — ٣). وفي اوج رسالته يقال له: «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر» (الفتح ١).

قال محمد عبدالله السمّان[1]: «والذي لا مرية فيه أن محمداً كان بشراً... بكل ما في هذه اللفظة من معنى، وبكل ما ينطبق عليها من سنن الكون وظروف الطبيعة؛ وُلد كما يولد البشر... وعاش كما يعيش البشر... ومات كما يموت البشر. لم يشذّ عن سنن الطبيعة، **ولم يقدر له ان يمتاز عن مجريات أحوالها**. وما امتاز به عن البشر **قد انحصر** في تكليف الله اياه مهمة الوحي، ليكون مبلغاً عن الله وداعياً اليه بإذنه».

وفي تركيز القرآن على اعلان بشرية محمد دليل على ان عصمته في رسالته لم تعصمه في سيرته: «قلْ إنما أنا بشر مثلكم يُوحي إليَّ أنما إلهكم إله واحد» (الكهف ١١١، فصّلت ٦)؛ «قلْ: سبحان ربي هل كنت إلاَّ بشراً رسولاً» (الاسراء ٩٣).

أما المسيح فكانت عصمته في سيرته مثل عصمته في رسالته:

فهو «غلام زكي» منذ مولده (مريم ١٨) كان «طاهراً من الذنوب، أو نامياً على الخير، أي مترقياً من سن الى سن على الخير والصلاح» (البيضاوي)؛ «وجعلني مباركاً أينما كنت» (مريم ٣٠)، وبركة الله الدائمة دليل العصمة في السيرة. فهو في المهد وكهلاً «من الصالحين» (آل عمران ٤٦). لذلك استحق سلام الله في سيرته كلها منذ مولده: «والسلام عليَّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أُبعث حيّاً» (مريم ٣٠). وهذه النبوءة في سيرته كلها دليل عصمته في سيرته، كما في رسالته.

---

(١) محمد... الرسول البشر ص ١٠

وبهذه العصمة في السيرة ، كما في الرسالة ، انفرد المسيح على المرسلين أجمعين .

•

خامساً : تأييد روح القدس للمسيح في سيرته وفي رسالته وفي شخصيته

لم يؤيد روح القدس أحداً من الرسل إلاّ في التنزيل ، لضمان عصمته ؛ ولا يذكر القرآن لروح القدس جبريل من صلة بمحمد إلاّ في تنزيل القرآن : « قلْ : نزّله روح القدس » (النحل ١٠٢) ، « فإنه نزّله على قلبك » (البقرة ٩٧) .

فقد فضّل الله المسيح على الرسل أجمعين **في سيرته** بتأييد روح القدس له : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض : فمنهم من كلّم الله ؛ ورفع بعضهم درجات ؛ وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٢٥٣) ، قال الجلالان : « أيدناه : قويناه ، بروح القدس ، جبريل ، **يسير معه حيث سار** » .

وفضّل الله المسيح على الرسل أجمعين **في رسالته** بتأييد روح القدس له : « ولقد آتينا موسى الكتاب ، وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات ، وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧) . قال الجلالان : « قويناه بروح القدس اي الروح المقدسة ، جبريل ، لطهارته يسير معه حيث سار » . وبما ان الكلام عن تنزيل الكتاب ، فروح القدس يسير مع المسيح في رسالته كلها حيث سار بها . قال البيضاوي . « بروح القدس : الروح المقدسة . أراد به جبريل؛ او روح عيسى عليهما السلام، ووصفها به لطهارته من مسّ الشيطان، أو لكرامته على الله تعالى ، ولذلك أضافها الى نفسه تعالى (والقدس هو الله)، أو لأنه لم تضمه الاصلاب ، ولا الارحام الطوامث ؛ أو الانجيل ؛ أو **اسم الله الاعظم الذي كان يُحيي به الموتى** » . فتأييد روح القدس للمسيح كان في سيرته كلها كما في رسالته كلها ، لا في تنزيل الانجيل وحده ، كما عند جميع الرسل .

والتأييد في السيرة والرسالة أظهر في قوله : « إذ قال الله ، يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك : إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً » (المائدة ١١٣) . فذكر والدته معه يوحي بتأييد روح القدس للمسيح في سيرته ؛ وذكر النطق النبوي في المهد وكهلاً يشير الى تأييد روح القدس له في نبوته ورسالته . قال البيضاوي ايضاً : « بروح القدس : بجبريل عليه السلام، أو بالكلام الذي يحيي به الدين أو النفس بحياة ابدية وتطهيره من الآثام. ويؤيده قوله : تكلم الناس في المهد وكهلاً : اي كائناً في المهد وكهلاً . والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على السواء. **والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل** » .

وفضّل الله المسيح على الرسل بتأييد روح القدس له في **شخصيته ذاتها**. ففي المواضع الثلاثة (البقرة ٨٧ و ٢٥٣ المائدة ١١٣) التعبير واحد ؛ فإذا جمعنا من كلام البيضاوي قولين : « روح القدس: روح عيسى ، والاسم الاعظم الذي كان به يحيي الموتى » ، اتضح لنا ان الله اعطى عيسى في ذاته روحاً منه تعالى ، صادرة منه كما قال في (النساء ١٧٠) : « كلمة الله القاها الى مريم، وروح منه». ففي عيسى روح من الله ذاته ، اسمه كلمة الله ، يؤيد عيسى في شخصيته ؛ كما قال (على المفعول) : « ونفخنا فيه من روحنا » (التحريم ١٢) .

وهذه خاصية لم تحصل لاحد من العالمين والمرسلين أجمعين .

•

سادساً — ميزة رسالة المسيح على الرسالات كلها : « بالبينات »

كما انفردت رسالة المسيح على الرسالات كلها بتأييد روح القدس لهـــا في جميع احوالها ، لا في تنزيلها فقط ؛ انفردت رسالة المسيح على الرسالات جميعها بالبينات ، وباستجماعها كما لم تجتمع لغيره .

قال : « وآتينا عيسى ابن مريم البينات » (البقرة ٨٧) اي « المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وابراء الأكمه والابرص والاخبار بالمغيبات واحياء الموتى » . (البيضاوي) .

كررها : « وآتينا عيسى ابن مريم البينات » (البقرة ٢٥٣) . قال البيضاوي: « خصه بالتعيين . . . وجعل معجزاته سبب تفضيله (على الرسل) لانها **آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره** » .

قد يقولون : ان محمداً جاء أيضاً بالبينات : « من بعد ما جاءتكم البينات » (البقرة ٢١٩) ؛ « من بعد ما جـــاءتهم البينات » (البقرة ٢١٣) ؛ « وجاءهم البينات » (آل عمران ٨٦) ؛ « لما جاءني البينات من ربي » (غافر ٦٦) . . .

وفاتهم ان بينات محمد ليست معجزات ، بل آيات قرآنية : « أنزلنا اليك آيات بينات » (البقرة ٩٩) ؛ «واذا تتلى عليهم آياتنا بينات» (مريم ٧٣ قابل ٢٢ : ٣٤ و ٧٢ ؛ ٤٣ : ٤٥ ؛ ٢٤ : ٢٤ ؛ ٤٦ : ٧) ؛ « أنزلناه آيات بينات » (الحج ١٦) ؛ « هو الذي ينزل على عبده آيات بينات » (الحديد ٩) ؛ « وقد أنزلنا آيات بينات » (المجادلة ٥) . **فكلها بينات من « الهدى والفرقـــان »** (البقرة ١٨٥) .

فالبينات اي المعجزات العظيمة الـــتى تصل الى الاحياء والخلق والتي « لم يستجمعها غيره » (البيضاوي) تميز بالتفضيل رسالة المسيح على الرسالات كلها .

●

سابعا : رفع المسيح حيا الى السماء من دون العالمين والمرسلين اجمعين

القرآن يؤكد مرتين رفع المسيح حيا الى الله في السماء :

« إذ قال الله ، يا عيسى ابن مريم اني متوفيك ورافعك الي » (آل عمران ٥٥) .

« وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله اليه » (النساء ١٥٧) .

وقد جمع الرازي موقف المفسرين فقال: «**ورفع عيسى عليه السلام الى السماء ثابت بهذه الآية** (النساء ١٥٧) . ونظير هذه الآية قوله في آل عمران : اني متوفيك ورافعك الي » .

فالمسيح وحده رُفع حياً الى السماء ، بينما العالمون أجمعون ، والمرسلون أجمعون ينتظرون يوم يبعثون .

وهذه ميزة الميزات على المخلوقين أجمعين : المسيح يُرفع الى الله تعالى نفسه ، لا إلى السماء فقط .

●

ثامناً : المسيح وحده علم وعَلَم للساعة من دون الرسل أجمعين

في حديث عن ضرب ابن مريم مثلاً (الزخرف ٥٧ – ٦٦) يقول فيه : « وانه لعِلم – لعلَم – للساعة فلا تمترنّ بها » (الزخرف ٦١) .

أجمعوا ان الضمير في (انه) لعيسى (البيضاوي) ؛ « وقيل : الضمير للقرآن فإن فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها » (البيضاوي) . ان المفسر الكبير يشير الى القول الثاني ، ولا يتبناه . وهو قول لاسند له في القرآن ، فالضمير في الآيات كلها (٥٨ و٥٩ و٦١ و ٦٣) يعود الى عيسى .

في سورة الزخرف نفسها ينفرد الله عن خلقه بأنه وحده عنده علم الساعة : « تبارك الذي له ملك السماوات والارض وما بينهما ، وعنده علم الساعة ، واليه

تُرجعون » (٨٥) . وهو الذي جعل المسيح ابن مريم « عِلماً للساعة » و « عَلَماً » لها (٦١) .

فعيسى « علم للساعة » ، ولا يعلم الساعة الا الله وحده (لقمان ٢٤) ، وقد اشرك المسيح في غيبه وعلمه من دون المخلوقين . وهو « عَلمٌ للساعة » « لان حدوثه أو نزوله من اشراط الساعة يُعلم به دنوها » (البيضاوي) .

وفي رجوع المسيح في آخر الزمان رسولاً نبياً في علم الساعة يكون المسيح، كما قال ابن العربي : ختم وختام النبوة ، ختم وختام الملك ؛ ختم وختام الولاية؛ فهو من الخواتم في اليوم الآخر .

بهاتين الميزتين ، العلم والختم ، في قيام الساعة، يفضل القرآن المسيح على الرسل أجمعين ، لانه انفرد وحده من دونهم بهذا الدور الفريد .

●

تاسعاً : المسيح وحده مع الملائكة المقربين شفيع في يوم الدين ، لانه « من المقربين » .

إن القرآن ، من دون الحديث، يحصر الشفاعة في يوم الدين بالله تعالى وحده: « ولله الشفاعة جميعاً» (الزمر ٤٤) ؛ وقد يأذن بها للملائكة المقربين ضمن حدود وقيود ، كما رأينا .

وفي القرآن بحق محمد آيتان رأى بعضهم فيهما حق الشفاعة المحفوظ له : « عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً » (الاسراء ٧٩) ، « وللآخرة خير لك من الاولى » (الضحى ٤). وقد رأينا ان القرائن اللفظية والمعنوية تدل على أن المقام المحمود هو في هذه الدنيا ، في رسالة محمد التي ستكلل بالنجاح . وهب ان

الآيتين تعنيان الآخرة ، فليس في مبناهما ولا في معناهما ما يدل على الشفاعة في يوم الدين ، وهو يقول صريحاً : « أفمن حق عليه كلمة العذاب ، أفأنت تنقذ مَن في النار » (الزمر ١٩) :

فاستعاضوا عن القرآن بالحديث . وهل يقوم حديث ضد صريح القرآن ؟

أما المسيح فيذكر له القرآن شفاعة في يوم الدين تلميحاً في قوله : « وجيهاً في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين » (آل عمران ٤٥) . فقد اجمع المفسرون ان الوجاهة في الدنيا هي النبوة ، والوجاهة في الآخرة هي الشفاعة . ومَن كان وجيهاً عند ربه ، لا يرد له شفاعة . وبما ان القرآن يجعل المسيح « من المقربين » اي الملائكة المقربين (النساء ١٧١) ، وقد حصر فيهم قبول الشفاعة المشروطة ، فجمْع المسيح مع الملائكة المقربين ، دليل على الشفاعة مثلهم . قال الرازي : « وجيهاً : ذا جاه » ، دليلًا على المكانة والشفاعة .

ويعطينا القرآن مشهداً صريحاً لشفاعة المسيح في يوم الدين : « يوم يجمع الله الرسل » يستجوب عيسى في تأليه أمته له باسلوب استفهام انكاري ، فيرد التهمة بادب جـم ، ويقول : « إنْ تعذبهم فإنهم عبادك ، وان تغفر لهم فإنك انت العزيز الحكيم » (المائدة ١٢١) ، فيطلب لهم الغفران ، بلطيف البيان ، وهذه هي الشفاعة ، مثل الملائكة : « يستغفرون لمن في الارض » (٤٢ : ٥) .

فالمسيح وحده ، مع الملائكة المقربين ، شفيع في يوم الدين ، من دون العالمين ، والمرسلين أجمعين .

●

عاشراً : المسيح وحده « وجيه في الآخرة ، ومن المقربين »

نعود الى النص الذي يوجز ميزات المسيح في القرآن : « إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيهاً في

الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين »
(آل عمران ٤٥ – ٤٦) .

فالمسيح على الارض « من الصالحين » ؛ وهو ايضاً كان ويكون وسيكون « وجيهاً في الدنيا » اي « ذا جاه » (الجلالان ، الرازي) ؛ « والوجاهة في الدنيا ، النبوة والتقدم على الناس » (الرازي) . **فالمسيح في الدنيا وجه الدنيا:** لم يقل القرآن ذلك بحق احد من العالمين والمرسلين .

والمسيح سيكون « وجيهاً في الآخرة » : « بالشفاعة والدرجات العلا » (الجلالان) ، « الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة » (الزمخشري) . **فالمسيح في الآخرة وجه الجنة** : لم يقل القرآن ذلك بحق احد من العالمين والمرسلين .

وهذه الوجاهة في الآخرة تجعله مع الملائكة «المقربين» فوق سائر الملائكة، والبشر أجمعين . قال البيضاوي : « ومن المقربين من الله ؛ وقيل إشارة الى علو درجته ، أو رفعه الى السماء (وفي السماء) وصحبته الملائكة » المقربين ، ويؤيده الزمخشري .

واذا كان الله تعالى منذ هذه الدنيا قد « رفعه اليه » (النساء ١٥٦) ، فوق المخلوقين ، فكم بالاحرى في الآخرة ، حيث يكون « وجيهاً » . فالرفعة الى قرب الله والوجاهة أمامه تعالى ، على المخلوقين اجمعين ، تجعل المسيح في جنة الخلد وجه الخلق الى الابد .

تلك هي بعض ميزات المسيح في القرآن ، وهي لا تقاس بشيء تجاه ميزات شخصيته : مسيح الله ، كلمة الله ، روح الله .

تلك هي القاعدة الحادية عشرة للحوار المسيحي الاسلامي .

* * *

بحث خامس

شخصية المسيح في القرآن

(القاعدة الثانية عشرة في الحوار الاسلامي المسيحي)

المسيح في القرآن **عبد لا رب**، لكنه «**كلمتُه وروح منه**» تعالى، «ومن المقربين»: وفي هذه **الازدواجية** لغز المسيح في القرآن، وسر شخصيته.

نرى أولاً الواقع القرآني؛ ثم نحاول تحليله وتفسيره، بتمحيص أقوال المفسرين.

أولاً: المسيح، بحسب ظاهر القرآن، عبد لا رب

الواقع القرآني قائم على حقيقتين تحملان لغزاً وسرّاً في شخصية المسيح. الحقيقة الاولى أن المسيح، بصفة كونه «ابن مريم»، هو «عبد الله». هذه هي الكلمة الاولى التي ينطق بها المسيح في القرآن. «قال: اني **عبد الله**، آتاني الكتاب وجعلني نبياً» (مريم ٣٠).

وكلمة «عبد الله» في لغة الكتاب والقرآن تعني «بشراً رسولاً».

وفي جدال القرآن لليهود يجعله عبداً وعلماً للساعة: «إنْ هو إلاَّ **عبد** أنعمنا عليه، وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل... وإنــــه لعِلم — لعَلَم — للساعة»

(الزخرف ٥٩ و ٦١) . فمهما علا دور المسيح في الخلق ، فهو « عبد » ميّزه الله على الخلق ، لا رب .

ولكن هذه العبودية لله لا تنفي أنه « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) ، فالازدواجية ظاهرة في هذا التعريف الجامع : « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه ... لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧١) . فهو « عبد الله » ، من « الملائكة المقربين » لانه « روح منه » . هذا هو الحق القرآني ، لذلك « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلّا الحق » (النساء ١٧٠) .

•

وانطلاقاً من هذا التعريف بالمسيح يعلن القرآن اخلاصه للتوحيـــد الذي لا يقبل في الله ولادة ولا بنوة : « قلْ هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلدْ ولم يُولد ولم يكن له كفوءا أحد » (سورة الاخلاص) .

لا ولد لله من ذاته ، ولا ولد له من خلقه : « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً ! — لقد جئتم شيئاً إدّا ، تكاد السماوات يتفطرن منه ، او تنشق الارض ، وتخر الجبال هدّا : أنْ دعوا للرحمان ولداً ! وما ينبغي للرحمان أن يتّخذ ولداً : إنْ كل ما في السماوات والارض إلّا آتى الرحمان عبداً » (مريم ٨٨ — ٩٣) . كل خلق الله عبد للرحمان .

انها استحالة واقعية ومبدئية معاً ! « وقالوا : اتخذ الله ولداً ! — سبحانه ، بل له ما في السماوات والارض كلٌّ قانتون ! بديع السماوات والارض ، واذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن ! فيكون » (البقرة ١١٦ — ١١٧) .

•

وتقوم **جدلية القرآن** في استنكار البنوة منه وله تعالى على ثلاث نظريات :

نظرية « الأخذ » من خلقه : « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً » (مريم ٨٨) ؛ « وقالوا : اتخذ الله ولداً » (البقرة ١١٧) ؛ « ذلك عيسى ابن مريم ، قول الحق، الذي فيه يمترون : ما كان لله أن يتّخذ من ولد ! سبحانه ! » (مريم ٣٤) .

قال البيضاوي في تفسير آية البقرة (١١٧) : « وقالوا : اتخذ الله ولداً ـ نزلت لما قالت اليهود : عزير ابن الله ! والنصارى : المسيح ابن الله ! ومشركوا العرب : الملائكة بنات الله . (سبحانه !) تنزيه له عن ذلك ، فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء... (حجة أولى). (بل له ما في السماوات والارض): رد لما قالوه واستدلال على فساده . والمعنى انه تعالى خالق ما في السماوات والارض (حجة ثانية) . (كلٌّ له قانتون) منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه ؛ وكل ما كان بهذه الصفة **لم يجانس مكوّنه** الواجب لذاته ، فلا يكون له ولد ، لأن من حق الولد أن يجانس والده . أي كل ما فيها ، ويجوز أن يُراد كل من جعلوه ولداً ، له مطيعون مقرون بالعبودية ... والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة أوجه (حجة ثالثة) . (بديع السماوات والارض) أي مبدعها ، أو بديع سماواته وأرضه من بدع فهو بديع (وهو حجة رابعة) . وتقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفصل بانفصال مادته عنه ، والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها، فاعل على الاطلاق، منزه عن الانفعال ، فلا يكون والداً . (واذا قضى أمراً) أي أراد شيئاً ، وأصل القضاء اتمام الشيء قولاً كقوله تعالى : « وقضى ربك » ؛ أو فعلاً كقوله تعالى : « فقضاهن سبع سماوات » . وأطلق على تعلق الإرادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه . (فإنما يقوله له : كن ! فيكون) : فيه تقرير لمعنى الابداع، وايماء الى (حجة خامسة)، وهو انّ ايجاد الولد مما يكون بأطوار ومهلة ، وفعله تعالى يستغني عن ذلك » .

نقلنا هذا التعليق لبيان معنى استحالة الاخذ ولداً لله .

نظرية ضم «جزء» لله من خلقه. القول بابن لله تعالى معناه ضم جزء لله من خلقه : «وجعلوا له من عباده جزءًا ! إن الانسان لكفور مبين» (الزخرف ١٥) فسره البيضاوي : « وجعلوا له من عباده ولداً ولعلّه سماه **جزءاً**، كما سمّى **بعضاً** لأنه بضعة من الوالد، دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته ».

فالقول بالابن لله هو ضم جزء له من خلقه، وذلك ممتنع بين الخالق والمخلوق لأنه لا نسبة بينهما، ولا صلة كيانية .

نظرية البنوة الجسدية، والولادة التناسلية. وهـذه هي النظرية السائدة لامتناع الابن أو الولد على الله : « وجعلوا لله شركاء، الجن ! -- وخلقهم ! وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ! سبحانه وتعالى عما يصفون ! بديع السموات والارض ! **أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة** ! وخلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم » (الانعام ١٠١) .

فسره البيضاوي : « أنى يكون له ولد : أي من أين ؟ أو كيف يكون له ولد ؟ (ولم تكن له صاحبة) يكون منها الولد . . . وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه : الاول من مبدعاته السماوات والارضون، وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرّأة عنها لاستمرارها وطول مدتها، فهو أولى بأن يتعالى عنها . والثاني **ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين**، والله تعالى منزه عن المجانسة . والثـالث ان الولد كفوء الوالد، ولا كفء له بوجهين : الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه ؛ والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات، ولا كذلك غيره، **بالاجماع** » .

فلا يفهم القرآن ولا مفسروه البنوة الا من ذكر وأنثى ، فلا ولد الا من « صاحبة » ، وتعالى الله عن الصاحبة والولد منها علواً كبيراً ! فحتى الجن نفسها تعلن : « وأنه تعالى جدُّ ربنا : ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » (الجن ٣) . فسره

البيضاوي : «تعالى جدُّ ربنا أي عظمته ، من جدَّ فلان في عيني أي عظم ملكه وسلطانه أو غناه. **والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد** لعظمته أو لسلطانه أو لغناه ، وقوله : (ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) بيـــان لذلك ، وقُرِئ جَدّاً أو جِدّ بالكسر أي صدق ربوبيته» .

فاستحالة الأبوة والبنوة في الله قائمة على انه تعالى ربنا عن الزوجة والصاحبة. فلا ولد أو ابن ، في نظر القرآن ، بدون صاحبة ! فـــلا يفهم القرآن الولادة والبنوة في الله ، أيًّا كانت ، الا بزوجة وزواج : **فهي بنوة جسدية تناسلية** .

تلك هي جدلية القرآن في نسبة البنوة الى الله تعالى. ولا وجود لبنوة من هذا النوع ، أو ما يشبهه ، في الانجيل والمسيحية ، فهما اذ يقولان ببنوة في ذات الله ، يجعلونها فوق الحسّ وفوق الروح وفوق المخلوق كله. انها من ذات الله ، في ذات الله ، لصلة ذاتية في الله ، كتسلسل النطق من الناطق في تفاعل الذات الالهية : «في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان في الله ، والله كان الكلمة» . فهي بنوة روحية نطقية ذاتية في ذات الله .

لذلك ، بسبب جدلية القرآن في البنوة والولادة بالنسبة لله تعالى ، فالمسيح ، في نظره ، عبد لا رب .

•

ثانياً : مع ذلك فعيسى ابن مريم هو ايضاً كلمة الله ومسيح الله وروح الله

جمع القرآن عقيدته في المسيح بهذا التعريف الشامل : «يا أهـــل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق : انما المسيح ، عيسى ، ابن مريم ، رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . . . لن يستنكف المسيح

أن يكون عبداً لله » (النساء ١٧٠ – ١٧١) فالقرآن يعرّف بعيسى ابن مريم أنه مسيح الله وكلمة الله وروح الله – وان كان رسول الله ، وعبد الله .

١ – عيسى ابن مريم هو ايضاً « كلمة الله ألقاها الى مريم » .

القرآن يعرّف دائماً بالمسيح أنه كلمة الله : ملاك الله بشر به زكريا وهو يبشره بابنه يحي : « ان الله يبشرك بيحي ، مصدّقاً بكلمة من الله » (آل عمران ٣٩) .

والملائكة تبشر مريم ان مولودها المعجز هو كلمة الله : « ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ، عيسى ، ابن مريم » (آل عمران ٤٥) .

ومريم « صدّقت بكلمة ربها وكتابه » (التحريم ١٢) – على قراءة ثابتة .

ومحمد ، النبي الأمي ، « يؤمن بالله وكلمته » (الأعراف ١٥٧) – على قراءة ثابتة .

والقرآن ، في التعريف الشامل الكامل للمسيح ، يعرّف به أنه « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) .

فالقرآن يرادف بين (كلمة الله) وبين (روح منه) : وبهذا الترادف يفسّر اللقبان بعضهما بعضاً ، ويمنعان من تهوّر المفسرين .

فسره الجلالان : « مصدقاً بكلمة كائنة من الله اي بعيسى أنه روح الله . وسمي (كلمة) لانه خُلِق بكلمة : كن » (آل عمران ٣٩) .

وفسّره البيضاوي : « مصدقاً بكلمة من الله : أي بعيسى ، سمّي بذلك لأنه وُجد بأمره تعالى دون أب ، فشابه البدعيات التي هي عالم الامر » (آل عمران ٣٩) .

وفسّره الرازي (آل عمران ٣٩) : « واختيار الجمهور ان المراد (**بكلمة** من الله) هو عيسى . وسمّي عيسى (كلمـــة الله) من وجوه : ١) انه خلق بكلمة الله وهو قوله : كن ! من غير واسطة الأب، كما يسمّى المخلوق خلقاً ، وهو باب مشهور في اللغة . ٢) انه تكلّم في الطفولية ، وآتاه الله الكتاب في زمن الطفولية ، فكان في كونه متكلماً بالغاً مبلغاً عظيماً ، فسمّي كلمة أي **كاملاً في الكلام** . ٣) ان الكلمة ، كما أنها تفيد المعاني والحقائق ، كذلك عيسى كان يرشد الى الحقائق والاسرار الالهية ، كما سمّي القرآن روحاً (الشورى ٥٢ ؟) . ٤) لأنه حقّق كلمة بشارة الانبياء به كما قال (وحقت كلمة ربك) . ٥) ان الانسان يسمّى (فضل الله) و (لطف الله) ، فهكذا عيسى عليه السلام كان اسمه العلم : « كلمة الله » و « روح الله »... واعلم ان كلمة الله هي كلامه، وكلامه على قول أهل السنّة : **صفة قديمة قائمة بذاته** » .

وأضاف الرازي (آل عمران ٤٥) : «**سمّي كلمة الله كأنه صار عين كلمة الله** الخالقة له، بوجوده المعجز ؛ أو لأنه **أبان كلمة الله أفضل بيان**» .

وفي (النساء ١٧٠) يختار الرازي ما أجمع عليه القوم : «المعنى أنه وجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة ولا نطفة » .

وعليه نقول : من البديهي ان الاسم دليل المسمّى؛ فلماذا سمّى القرآن ، بعد الانجيل ، المسيح « كلمة الله »؟

أمّا قولهم : « سمّي (كلمة) لانه خلق بكلمة : كن » (الجلالان) ! « لأنه وجد بأمره تعالى دون أب » (البيضاوي) ؛ « المعنى انه وجد بكلمة الله وأمره من غير واسطة ولا نطفة » (الرازي) ، **فينقضه مرادفة القرآن بين « كلمة الله وروح منه »** في التعريف الشامل للمسيح (النساء ١٧٠) : فروح الله ليس مجرد أمرٍ : كن ! بل هو ذات قائمة بذاتها . ثم ان آدم أولى بهذا الاسم لأنه وُجد

بكلمة الله بدون أب ولا أم ، والقرآن لا يطلق هذا الاسم على آدم ، ولا على أحد من العالمين والمرسلين ، انما خصّ به المسيح وحده دليلًا على شخصيته .

وليس « كلمة الله » مجرّد اسم ، مثل « فضل الله » ، لأن القرآن يرادف به « روح الله » مبرهناً على معناه : انه « كلمة الله ألقاها الى مريم » فهو « روح الله » قبل ان يلقى الى مريم . فهو صفة ذاتية ، لا مجرد اسم علم .

و « كلمة الله » اسم علم اصطلاحي ، تفسيره باشتقاق لغوي يقصّر في معناه : فقول الرازي عن بعضهم : « سمّي (كلمة) اي كاملًا في الكلام » ، أو « لانه أبان كلمة الله أفضل بيان » وهو تفسير بياني **يجسّم الاعجاز المطلق في المسيح واسمه** ، لكنه لا يعني اصطلاحه. وقول الرازي ايضاً عن بعضهم : « ان الكلمة كما انها تفيد المعاني والحقائق ، كذلك كان عيسى يرشد الى الحقائق والاسرار الالهية » فسمّي كلمة الله ، هو تفسير كلامي **يجعل الاعجاز المطلق بالتنزيل المسيحي في المسيح واسمه كلمة الله** ، لكنه لا يعني الاصطلاح الموروث . وقول الرازي ايضاً عن بعضهم : « لانه حقق كلمة بشارة الانبياء به » هو تفسير نبوي **يجعل نبوة المسيح خاتمة النبوات ومعجزة الرسالات** ، لكنه لا يفسر اصطلاح اسم العلم الذي ورثه القرآن عن الانجيل .

فالمسيح سمّي في الانجيل « كلمة الله » ؛ وكان هـــذا الاسم محور العقيدة المسيحية حتى القرآن . فجاء القرآن وأخذ بالاصطلاح الموروث ، كما يصرح في آخر خبر آل عمران ، مريم ويحيى وعيسى (آل عمران ٣٣ — ٥٨) : « ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم » (٥٨) .

والمعنى الوحيد الذي يعلقه القرآن على اسم « كلمة الله » موجود في تعريف القرآن : « كلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه » (النساء ١٧٠) . قال البيضاوي : « القاها الى مريم : أوصلها اليها وحصلها فيها . (وروح منه) اي **ذو روح صدر**

منه، لا بتوسط ما يجري مجرى الأصل والمادة له . وقيل : سمّي روحاً لانه كان يحيي الاموات والقلوب » . فكلمة الله هو روح صدر منـــه تعالى والقاه الله الى مريم ؛ بهذا الروح كان كلمة الله يحيي الاموات والقلوب : فعمله دليل على ذاته. فذات كلمة الله هو روح صادر من الله كنطق الله في ذاته ؛ وهذا ما ألجىء اليه الرازي بقوله : « سمي كلمة الله كأنه صار عين كلمة الله » ، « واعلم ان كلمة الله هي كلامه ، وكلامه ، على قول اهل السنة : صفة قديمة قائمة بذاته » . هذا هو التفسير الصحيح ، لا تفسير سواه .

فمن ذات الله ، نزل كلمة الله الى مريم وحل في عيسى ابن مريم روحاً منـــه تعالى . فاللقبان : « كلمة الله » و « روح الله » يفسر بعضهما بعضاً . « فهو « روح منه » تعالى ، لا روح الله على النسبة فقط مثل الملائكة . وهذا « الروح منه » تعالى هو « كلمته » أي نطقه الذاتي ، « صفة قديمة قائمة بذاته » .

•

٢ — عيسى ابن مريم هو ايضاً روح الله

إن القرآن يصف عيسى ابن مريم انه « روح منه » (النساء ١٧٠) اي « ذو روح صدر منه » (البيضاوي) .

ولغة الروح متشابهة في القرآن . فهو يطلق كلمة (روح) على الانسان وعلى الملاك ، وعلى « الروح » الذي فوق الملاك ، وذلك على طريق المشاكلة ، لا على طريق المقابلة .

معنى اول: روح الانسان : « ونفختُ فيه من روحي » (الحجر ٢٩ ص ٧٢) ، « ونفخ فيه من روحه » (آلم السجدة ٩)

معنى ثان : « يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ، ولا تيئسوا من روح الله : انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون» (يوسف ٨٧) . روح الله هنا « رحمته » (الجلالان) . قال البيضاوي : « من رَوح الله (بالفتح) اي من فرجه وتنفيسه . وقرِىء : (من روح الله) بالضم اي من رحمته التي يحيي بها العباد » . نقول : يريد ملاك الله الذي يهدي عباد الله .

« أولئك كتب الله في قلوبهم الايمان ، **وأيدهم بروح منه** » (المجادلة ٢٢) اي « بنور منه » (الجلالان) ، « بروح منه اي من عند الله ، وهو نور القلب ، أو القرآن ، او النصر على العدو ، وقيل نور الايمان فإنه سبب حياة القلب » (البيضاوي) . فالله يؤيد المؤمنين بروح منه ، قد يكون نوراً ، وقد يكون ملاكاً ، وهذا هو الاصح .

معنى ثالث : الروح والقرآن

« قل : نزَّله روح القدس » (النحل ١٠٢)

« نزل به الروح الامين » (الشعراء ١٩٣) .

« وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا » (الشورى ٥٢) .

هنا الروح ، والروح الامين وروح القدس هو جبريل منزّل القرآن .

وقريب منه قوله : « يلقي الروح من أمره على مَن يشاء من عباده لينذر يوم التلاقِ » (المؤمن ١٥) ، فهو روح النبوة والوحي .

معنى رابع : الروح والملائكة

« يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون » في يوم الدين (النبأ ٣٨) .

« تنزَّلُ الملائكة والروح فيها (ليلة القدر) بإذن ربهم من كل أمر » (القدر ٤)

« تعرُجُ الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة » (المعارج ٤) .

« ينزّل الملائكة **بالروح** من امره على من يشاء من عباده أن انذروا » (النحل ٢) .

هنا يجعل الروح في صلة مع الملائكة بمناسبة يوم الدين . ونلاحظ انه بمناسبة الوحي والتنزيل « ينزل الملائكة بالروح » كأنه سيدهم بأمر الله .

فما معنى « الروح » في هذه الآيات التي تجمعه مع الملائكة ؟

« الروح » معرّف ، ومميّز عن الملائكة : فليس هو واحداً منهم ، وإن جُمع اليهم بالمعراج والتنزيل وتوزيع الاقدار . وقوله : «ينزل الملائكة بالروح» يدل على انه **سيدهم ، والواسطة بين الله والملائكة** .

فما هي هويته ؟ لايقول القرآن شيئاً .

معنى خامس : « روح القدس » — « روح الله » ، عيسى — « من روحنا » .
هنا ثلاثة تعابير متقاربة ، في صلة مع المسيح :

١ — « وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و ٢٥٣) .

« إذ أيدتك بروح القدس » (المائدة ١١٣) .

٢ — « فنفخنا فيها من روحنا » (الانبياء ٩١) .

« فنفخنا فيه من روحنا » (التحريم ١٢) .

٣ ــ « كلمته القاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) .

ما معنى قوله : « أيدناه بروح القدس » ؟ فسره البيضاوي مستجمعاً أقوالهم : « بروح القدس : بالروح المقدسة . . أراد بـه جبريل ؛ **او روح عيسى** عليهما السلام ، ووصفها به لطهارته من مسّ الشيطان ، أو لكرامته على الله تعالى ؛ ولذلك اضافها الى نفسه تعالى ؛ أو لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث ؛ او الانجيل ؛ أو الاسم الأعظم الذي كان يحيي به الموتى » .

اما قولهم « روح القدس ، جبريل » فهو على المشاكلة مع جبريل ، روح القدس الذي نزّل القرآن على محمد . وهنا ليس المقصود التنزيل المخصوص في لغة القرآن بجبريل ، بل التأييد الدائم للمسيح . فهو ليس جبريل هنـا . وليس الانجيل .

وروح القدس المؤيد للمسيح على الدوام على نوعين : إما «روح عيسى عليهما السلام » : **فروح القدس مقيم في عيسى** ، فهو تعبير آخر قريب من قوله « كلمته القاها الى مريم ، وروح منه » ؛ ففي عيسى روح من الله هو روح القدس ، وهذا يجعل المسيح في صلة خاصة ذاتية مع الله نفسه . وإما « الاسم الاعظم الذي كان يحيي به الموتى » ، وهنا روح القدس غير روح الله في المسيح ، بل هو روح من الله ، في الله ، يتمتع مع الله بالاسم الاعظم .

فسواء كان روح القدس روح الله في المسيح ، أو الروح ، الاسم الاعظم ، فهو روح تميزه نسبته الى الله ــ والقدس هو الله ــ عن سائر الارواح المخلوقة . فروح الله في المسيح ، وروح القـدس في الله يصدران من الله بالصدور لا بالخلق ، كما يؤيده الترادف بين كلمة الله وروح من الله في آية (النساء ١٧٠) .

وما تسمية جبريل بروح القدس (النحل ١٠٢) أو « روحنا فتمثل لهـا بشراً سوياً » (مريم ١٦) ، إلا على سبيل المشاكلة .

وما معنى قوله : « فنفخنا فيها (فيه) من روحنا » ؟ فسره البيضاوي : « فنفخنا فيها : بعيسى فيها أي أحييناه في جوفها ؛ وقيل : فعلنا النفخ فيها ؛ (من روحنا) : من الروح الذي هو بأمرنا وحده ، أو من جهة روحنا جبريل ».

فقوله اذن « من روحنا » قد يكون على الفاعل ، فيكون الروح النافخ هو جبريل ؛ وقد يكون على المفعول ، فيكون الروح المنفوخ في مريم .

والروح « المنفوخ » او « الملقى » الى مريم هو روح الله في عيسى .

اخيراً ما معنى قوله : « كلمته القاها الى مريم ، وروح منه » (النساء ١٧٠)؟

فسره البيضاوي : « روح منه : **ذو روح صدر منه تعالى** ، **لا** بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له . وقيل : سمي روحاً لانه كان يحي الاموات والقلوب » . فروح الله الذي ألقي الى مريم في عيسى هو روح صدر منه تعالى مباشرة ، ودليل مصدره الإلهي الذاتي انه قادر مثل الله على احياء الاموات والقلوب .

وفسره الرازي ، مستجمعاً كل التفاسير : « أما قوله (روح منه) ففيه وجوه : ١) انه جرت عادة الناس انهم اذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة قالوا : انه روح ! فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب ، وإنما تكون من نفخة جبريل (؟) عليه السلام ، لاجرم وصف بأنه روح . والمراد من قولهم (منه) التشريف والتفضيل .

٢) **إنه كان سببا لحياة الخلق في اديانهم** . ومن كان كذلك وُصف بانه روح .

٣) روح منه : اي رحمة منه . فلما كان عيسى رحمة من الله على الخلق من حيث انه كان يرشدهم الى مصالحهم في دينهم ودنياهم ، لا جرم سُمي (روحاً منه) .

٤) ان الروح هو النفخ في كلام العرب ، فـــإن الروح والريح متقاربان : فالروح عبارة عن نفخة جبريل ؛ وقوله «منه» يعني ان ذلك النفخ من جبريل كان بأمر الله وإذنه فهو (منه) ؛ وهذا كقوله (فنفخنا فيها من روحنا) .

٥) قوله : (روح) : أدخل التنكير ليفيد التعظيم ، فكان المعنى ؛ **روح من الارواح الشريفة العلوية القدسية ؛** وقوله (منه) إضافـــة لذلك الروح الى نفسه تعالى لاجل التشريف والتعظيم » .

وعليه نقول : ان هذه الاقوال الثلاثة ، الاول ، روح الطهارة ؛ الثالث ، معنى الرحمة ؛ الرابع ، نفخة جبريل ؛ كلها بعيدة عن نص القرآن ، لأن روح الله الذي حل في عيسى اسمه كلمة الله ، فليس نفخة ، ولا رحمة ، ولا طهارة ؛ انه ذات روحية صادرة من الله .

بقي المعنيان الآخران : انه « روح من الارواح العلوية الشريفة القدسية » ، « سبب لحياة الخلق » . هـــذا هو المسيح في القرآن . فالمسيح ليس فقط بشراً ، بل فيه **ايضاً روح سماوية قدسية اسمها كلمة الله .** وهذا التعريف يجعل المسيح أعظم من بشر ، فهو « روح الله » حلَّ في المسيح .

ومَن يعتبر روح الله الذي حل في عيسى **أحد الملائكة المقربين** فإنه يجعل المسيح بشراً وملاكاً روحانياً نورانياً معاً . **ومن يقول بتجسد ملاك من الله في عيسى** ، أليس الأولى به أن يقول **بتجسد كلمة الله** ، الذي ألقاه الى مريم ، في عيسى ؟ تلك هي الازدواجية في شخصية المسيح بحسب القرآن .

وهكذا يلتقي القرآن والانجيل : « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » بمريم (الانجيل بحسب يوحنا ١ : ٤) . وتعبير الانجيل هو تعبير القرآن « كلمته ألقاها الى مريم » .

والقرآن اذ يجمع «كلمة الله» و«روح الله» في شخص المسيح، فإنه يفسّر اللقبين أحدهما بالآخر؛ ويجمع في شخصية المسيح، فوق بشريته الكاملة من مريم «روحاً صادراً من الله» ذاته، اسمه كلمة الله.

فمسيح الله هو كلمة الله وروح من الله.

٣ – عيسى ابن مريم هو ايضاً مسيح الله

المسيح، لقب صار اسماً، كما بشرت به الملائكة:

«إذ قالت الملائكة: يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه، **اسمه المسيح**» (آل عمران ٤٥). والقرآن يعرّف بعيسى ابن مريم انه المسيح.

«انما المسيح، عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠).

والقرآن بتصديقه لعيسى ابن مريم أنه المسيح يشهد كما شهد الانجيل بأن عيسى ابن مريم هو النبي الموعود في الكتاب، المسيح المعهود والمشهود.

فالتوراة تسميه «النبي الآتي» مثل موسى.

والزبور يدعوه: الرب والملك والكاهن. وداود في الزبور أول مَن يسميه المسيح.

والانبياء يصفه كل واحد منهم بصفة. فالمسيح عند اشعيا، هو «عمانوئيل» اي بحسب حرفه العبري: «الله معنا». ودانيال يرى في المسيح «ابن البشر – او ابن الانسان – آتيا على سحاب السماء» ملك يوم الدين.

والانجيل بتسمية يسوع «المسيح» شهد بأنه يحمل آمال الانبياء .

والقرآن ، إذ يصدّق لعيسى ابن مريم ، اسم «المسيح» يشهد لما ورد عنه في الكتاب والانجيل .

يقول القرآن : «اسمه المسيح» : فما معناه ؟

قال البيضاوي (آل عمران ٤٥) : «المسيح لقبه . وهو من الالقاب المشرفة . وأصله بالعبرية «مشيحا» ومعناه المبارك . سمّي كذلك :

ـ لأنه مسح بالبركة .

ـ او مُسِح بما طهره من الذنوب .

ـ او مسح الارض ولم يقم في موضع .

ـ او مسحه جبريل صوناً له من مس الشيطان» .

فمسحة الله التي جعلته المسيح كانت مسحة البركة ، ومسحة العصمة من مس الشيطان عند مولده، ومن الذنوب في حياته. بمثل هذه المسحة الالهية كان «يمسح الارض ولم يقم في موضع» .

فاسم مسيح الله يجعله أسمى من البشر وأعلى من المخلوق .

وقال الرازي ، مستجمعاً تفاسيرهم :

«المسيح : هل هو اسم مشتق أو موضوع ؟ ــ أصله بالعبرية «مشيحا» فعربته العرب وغيّروا لفظه. وعلى هذا القول لا يكون له اشتقاق؛ والاكثرون انه مشتق[1] موضوع .

(١) قال الزمخشري : ومشتقهما (المسيح، عيسى) من المسح والعيس كالراقم في الماء» . وقال البيضاوي : واشتقاقهما من المسح والعيس تكلّف لا طائلة تحته» . وكيف يكون مشتقاً موضوعاً وهو موروث عن العبرية ثم الارامية ? والعربية اختهما .

- « قال ابن عباس : إنه سمّي مسيحاً لانه ما كان يمسح بيده ذا عاهة إلا برىء من مرضه .

- قال أحمد بن يحي : لانه كان يمسح الارض ، اي يقطعها في المدة القليلة .

- « قال غيره : لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله .

- لأنه مُسِح من الأوزار والآثام .

- لأنه كان ممسوحاً بدهن طاهر مبارك يُمسح به الانبيـــاء ، ولا يُمسح به غيرهم .

- لأنه مسحه جبريل بجناحه وقت ولادته ليكون له ذلـــك صوناً من مس الشيطان .

- لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن » .

فقد سمّي « المسيح » بسبب **مسحة العصمة** من الخطيئة في مولده، وفي حياته من الأوزار والآثام : عصمة مبدئية وفعلية ؛ وبسبب **مسحة النبوة** ؛ وبسبب **مسحة التبريك والتقديس** للناس ؛ وبسبب **مسحة المعجزة** ؛ وبسبب **مسحة أسمى من المخلوق** تجعله يمسح الارض في مدة قليلة .

تلك هي مسحة المسيح التي تميزه على العالمين والمرسلين أجمعين .

فعيسى ابن مريم هو اذن مسيح الله ، وروح الله ، وكلمة الله .

اذا استجمعنا تفاصيل القرآن في تلك الاسماء الحسنى للمسيح ، مع تفاسير

العلماء المسلمين لمعانيها ، تجلت لنا شخصية المسيح في سرّها الذي يسمو على بشريته كعيسى ابن مريم .

فالمسيح ، **بحسب ظاهر القرآن** ، بشر ، **هو** عيسى ابن مريم .

والمسيح ، **بحسب باطن القرآن** ، كما يبدو من اسمائه الحسنى ، أكثر من بشر : إنه « روح الله » .

تلكما هما الناحيتان المتعارضتان في شخصية المسيح بحسب القرآن . والنتيجة الحاسمة المحتومة ، لهذا الواقع القرآني ، هي الازدواجية في شخصية المسيح .

وفي هذه الازدواجية القرآنية ، سرّ المسيح في شخصيته .

* * *

ثالثاً : تلك الازدواجية القرآنية في شخصية المسيح دليل سرها

الواقع القرآني ، الذي لا مناص منه ، أن في شخصية المسيح ازدواجية :

فبحسب ظاهر القرآن إنّ المسيح ، عيسى ابن مريم ، هو بشر ، **أي عبد لا رب** .

ومع ذلك فهو ايضاً ، بنص القرآن القاطع ، وبالاجماع : « **روح الله** » . و « روح الله » يعني في أدنى معانيه **أنه ملاك** : فهل يكون المسيح بشراً وملاكاً معاً ؟ أي ملاكاً متأنساً ؟ هذا حرف القرآن .

على كل حال فالمسيح بشر ، وأسمى من بشر معاً . وهذا برهان قاطع على الازدواجية القرآنية في شخصية المسيح .

اننا المسيح ، روح الله ، أسمى من ملاك مخلوق :

لروح الله ، بالنسبة للمسيح **ثلاثة تعابير** :

١) « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » (مريم ١٦) ، يعني روح الله الذي بشر مريم بالمسيح ، اي جبريل . وقوله « روحنا » اضافة للتشريف ، لا للمصدرية . ولاحظ الفرق في التعبير بين « روحنا » للملاك ، وبين « روح منه » للمسيح .

٢) « فنفخنا فيها من روحنا » (الانبياء ٩١) ، « فنفخنا فيه من روحنا » (التحريم ١٢) . قد يكون التعبير على معنى الفاعل ، فيعني قوله « من روحنا » الملاك النافخ ، وهذا المعنى ينقضه قوله : « . . . اذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن ! فيكون » (آل عمران ٤٧) ؛ وقد يكون على معنى المفعول ، فيعني قوله « من روحنا » الروح المنفوخة في عيسى ، مثل الروح البشرية المنفوخة في آدم : « ونفخت فيه من روحي » (الحجر ٢٩ ص ٧٢) ، « ونفخ فيه من روحه » (آلم السجدة ٩) . لاحظ **الفرق العظيم** ، بالنسبة للمسيح ، بين التعبيرين : « من روحنا » و « روح منه » . ففي المسيح ، عيسى ابن مريم ، روح « من روحنا » ذاته ، روح الهية بصفته « كلمة الله وروح منه » تعبيران يفسر بعضهما بعضاً .

٣) بقي التعبير الثالث « كلمته القاها الى مريم **وروح منه** » (النساء ١٧٠) في تحديد شخصية المسيح . وهو تعبير فريد ، **خاص بالمسيح وحده** ، لا مثيل له في القرآن كله . وقوله : « روح منه » يدل على المصدرية ، كما فسره البيضاوي : اي « صدر منه » . وهذا الصدور يفسره الاسم الثاني المرادف له : « كلمته » . ان المسيح « روح من الله » يصدر منه صدور الكلمة من الذات الناطقة . وهذا القيد والتخصيص يميز المسيح ، « روحاً منه » تعالى بالصدور ، عن كل روح من الله بالخلق والابداع .

ولا يُرد عليه بقوله : « إن مثل عيسى عند الله ، كمثل آدم : خلقه من تراب ثم قال له : كنْ ! فيكون » (آل عمران ٥٩) ، لان التمثيل يقع على **طريقة التكوين** من التراب أو من مريم ، **لا على الذات نفسها** الملقاة من الله في عيسى ابن مريم . لاحظ ايضاً انه هنا يذكر « عيسى » ابن مريم في صلته بمريم وولادته المعجزة منهـــا ، لا المسيح « كلمته القاها الى مريم وروح منه » ، اي المسيح في صلته المصدرية بالله .

ويؤيد معنى المصدرية في « روح منه » تأييد المسيح بروح القدس ، في قوله : « وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٨٧ و ٢٥٣ ؛ المائدة ١١٣) .

وهذا التعبير « وأيدناه بروح القدس » معنيان في تفاسيرهم : فقد يعني روح المسيح القدوسة في تكوينه عند القائه الى مريم ؛ وقـــد يعني « روح القدس » المتميز عنه شخصياً ، والمؤيد له ، « يسير معه حيث سار » ، « لا يفارقه ساعة » ، وهـــو الاسم الاعظم الذي كان به المسيح يحيي الموتى ويخلق طيراً ؛ والاحياء والخلق من صفات الله وافعاله ؛ فهو « الروح » المطلق (الاسراء ٨٥) ، لا جبريل .

وروح القدس الذي يؤيد المسيح ، في كلا المعنيين ، **أسمى من المخلوق** — ولا عبرة بتسمية جبريل « روح القدس » على طريقة المشاكلة ، في التعبير ، لا على طريقة المقابلة لان « روح القدس » جبريل له صلة بمحمد في التنزيل ، لا في « التأييد » المخصوص بالمسيح ، في ذاته وسيرته .

فإذا اعتبرنا « أيدناه بروح القدس » انها روح المسيح « الشريفة العاليـــة القدسية » (الرازي — النساء ١٧٠) التي تؤيد المسيح **في ذاته وشخصيته** ، كان المسيح روح الله القدس ، فهو أسمى من المخلوق .

واذا اعتبرنا « أيدناه بروح القدس » انها روح القدس ، الذات القائمة بنفسها ، والتي تؤيد المسيح **في سيرته ورسالته** ، كان المسيح ايضاً اسمى من المخلوق .

وفي كلا الحالين تأييد المسيح بروح القدس يرفعه فوق المخلوق . قال الامام ابن حنبل[١] « وهو من أئمة السنة الاربعة : **من قال ان روح القدس مخلوق بدعة** اي ضلالة »

ففي قوله : « كلمته القاها الى مريم وروح منه » يمتاز التعبير عن سائر التعابير القرآنية ، ويحدّد ذات المسيح انها « روح منه » تعالى أي صادر منه ، **لا على طريق الخلق ، بل على طريق الصدور** ، كما يدل عليه ترادف الاسمين : « كلمته وروح منه » . فهو « روح منه » تعالى ، يصدر منه صدور الكلمة من الذات الناطقة ، في حديثها النفسي ؛ **واذ لا حدوث في الله ، فكلمته في ذاته غير محدثة** ؛ و « روح منه » غير محدث .

فكلمة الله هو روح من الله — لا مجرد امر تكوين ، بكلمة : « كن » .

و « روح منه » تعالى هو « كلمة الله » اي كلام الله في ذاته ، بما أنه « روح منه » .

ترادف الاسمين يفسر بعضها بعضاً : كلمة الله هو « روح منه » ؛ وهذا « الروح منه » هو كلمة الله .

فالمسيح هو « روح الله » في ذاته ، من ذات الله : فليس هو روح بشر فقط ؛ وليس « روح الله » روح ملاك فقط . **إنه « روح منه » تعالى اسمى من المخلوق** ، لانه كلمة الله اي كلام الله الذاتي النفسي . قال الرازي : « واعلم ان كلمة الله هي كلامه ، وكلامه ، على قول أهل السنة ، **صفة قديمة قائمة بذات الله** » (على آل عمران ٣٩) .

فالمسيح في ذاته السامية **من ذات الله** : « كلمته وروح منه » .

---

(١) عن الاستاذ محمد كامل شعيب ، في مجلة المسرة ص ١٨١ عدد آذار سنة ١٩٦٦

إن المسيح في ذاته السامية «روح منه» تعالى، يصدر منه صدوراً، كما تصدر «الكلمة» من الذات الناطقة في حديثها النفسي. وبما ان الذات الناطقة في «كلمة الله» هي الله نفسه؛ فالمسيح، كلمة الله، هو نطق الله في ذاته؛ «فكلمته» تعالى الذاتية: من ذاته، مثل ذاته، في ذاته.

فالمسيح، بحسب باطن القرآن، وأسمائه الحسنى في القرآن، **هو ايضاً رب**.

فالمسيح في القرآن **عبد ورب معاً**؛ او بشر وملاك معاً.

هذه الازدواجية القرآنية في شخصية المسيح قائمة لا تُنقض.

فالمسيح بصفته عيسى ابن مريم بشر مخلوق؛ لكن المسيح بصفته «كلمة الله وروح منه» فهو فوق المخلوق، من ذات الله، في ذات الله، يصدر فيه روحاً منه، صدور كلمته من ذاته، في ذاته. وهذا أصحّ من كونه بشراً وملاكاً معاً.

هذه هي شخصية المسيح في **ازدواجيتها القرآنية**. وفي هذه الازدواجية سر **شخصية المسيح**، التي تحيّر العقول في القرآن.

●

ونلمس حيرة القرآن نفسه في قوله: «ويسألونك عن الروح؟ — قلْ: الروح من أمر ربي! وما أُوتيتم من العلم إلا قليلًا» (الاسراء ٨٥). فسره البيضاوي: «الروح من أمر ربي: معناه من وحيه... وقيل: مما استأثر الله بعلمه».

وقوله: «وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلًا» دليل على ان العلم «بالروح» في القرآن قليل. قال أحدهم: «مضى محمد ولمّا يدرِ ما الروح»!

لذلك ليس من الغريب التشابه والازدواجية في شخصية المسيح بحسب القرآن، سواء كان « روح الله » في عيسى ملاكاً ، او كلمة الله الذاتية .

والقاعدة القرآنية في مثل هذه الحالة هي هذا الامر المكرر في القرآن ، أولاً للنبي : « فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (يونس ٩٤) ؛ وثانياً لاهل القرآن : « فاسألوا أهل الذكر ، إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (الانبياء ٢٣ — ٢٤) .

فعلى أهل القرآن أن يسألوا اهل الانجيل في معنى « الروح » وفي معنى « روح القدس » وفي معنى « كلمته القاها الى مريم وروح منه » كما وردت في الانجيل ؛ ما القرآن سوى « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٦) .

وعلى ضوء مقارنة القرآن بإمامه « الكتاب المنير » تتجلى شخصية المسيح على حقيقتها في القرآن . فالعلم والهدى هما في « الكتاب المنير » الذي به يجادل النبي العربي بني قومه (لقمان ٢٠ الحج ٨) ، وبالقرآن « يعلمهم الكتاب والحكمة » (الجمعة ٢ آل عمران ١٦٤) اي التوراة والانجيل (آل عمران ٤٨ المائدة ١١٣) . فلنسأل أهل الذكر والكتاب المنير في معنى الكلمة ، والروح ، لان العلم بهما في القرآن « قليل » (الاسراء ٨٥) : فعيسى ابن مريم هو مسيح الله ، وكلمة الله ، وروح منه . بهذه الصفات الذاتية يرفعه القرآن حتماً فوق البشر ؛ ويجعله في صلة ذاتية مع الله نفسه .

تلك هي شخصية المسيح في القرآن .

تلك هي **القاعدة الثانية عشرة** في الحوار الاسلامي المسيحي .



الفصل الرابع

التوحيد والتثليث ما بين الانجيل والقرآن

بحث أول : حرف التوحيد واحد في التوراة والانجيل والقرآن

بحث ثانٍ : التوحيد في الانجيل والقرآن

بحث ثالث: التثليث ما بين الانجيل والقرآن

توطئة

الخلاف الاكبر

إن الخلاف الاكبر، في الحوار بين الاسلام والمسيحية، يقوم على صلة التثليث المسيحي بالتوحيد الاسلامي.

يظن بعض أهل القرآن ان التثليث الذي ينكره القرآن هو التثليث الذي يعلمه الانجيل والمسيحية.

ويقرأ المسيحيون القرآن فيتحققون أن التثليث الذي ينكره القرآن ليس بالتثليث الذي تدعو اليه المسيحية في الانجيل.

فيقول بعض من أهل القرآن: ان التوحيد الخالص في القرآن ينفي كل فكرة تثليث في الله.

ويرد أهل الانجيل: ان التثليث المسيحي هو من صلب التوحيد المنزل، وإنْ هو إلا كشف منزل لحياة الحي القيوم في ذاته.

ويقول أهل الانجيل ايضاً: ان القرآن الذي يعلّم التوحيد الخالص، وينكر تثليثاً لا يعرفه الانجيل ولا المسيحية، يحوي في باطنه عناصر التثليث الصحيح الذي تقول به المسيحية في التوحيد الخالص.

هذا هو الخلاف الاكبر في الحوار الاسلامي المسيحي.

فما هو الواقع القرآني؟ وهل يحسم الخلاف الاكبر؟

بحث اول

حرف التوحيد المنزل واحد في التوراة والانجيل والقرآن
(القاعدة الاساسية في الحوار الاسلامي المسيحي)

لا يصح حوار بين متحاورين، ما لم يعودوا الى قواعدهم راضين. ولا يقوم حوار صحيح اذا ما اختلفت قاعدة الحوار الاساسية.

وقاعدة الحوار الاساسية ما بين الاسلام والمسيحية هي في صحة التوحيد الخالص المنزل ما بين الانجيل والقرآن.

وهل وعى أهل الانجيل وأهل القرآن ان حرف التوحيد المنزل هو واحد في التوراة والانجيل والقرآن ؟

أولاً : حرف التوحيد في التوراة

في السفر الرابع من التوراة، سفر (التثنية) اي (تجديد الشريعة) يبلغ عرض التوحيد الخالص ذروته. وفي (سفر التثنية) نقرأ حرف التوحيد المنزل على موسى؛ وننقله بحسب حرفه العبراني الذي لا يؤدونه في الترجمات؛ والاصح ان نتركه على صيغته العبرية: «يهوه أحد» اي الله أحد. قال:

«اسمع، يا اسرائيل: **الله** (يهوه) **إلهنا هو الله أحد**: فتحب الله إلهك بكل قلبك وكل نفسك، وكل قدرتك.

«ولتكن هذه الكلمات التي أنا آمرك بها اليوم في قلبك . وكرّرها على بنيك ، وكلمهم بها اذا جلست في بيتك ، واذا سرت في طريقك ! اذا نمت ، واذا قمت ! واعقدها علامة على يدك ، ولتكن عصائب بين عينيك ! واكتبها على عضائض بيتك ، وعلى أبوابك» (٦ : ٤ — ٩) .

فحرف التوحيد التوراتي هو : « الله ، إلهنا ، هو الله أحد » (٦ : ٤) .

وذهبت **شهادة** لهم في توحيدهم ، **وفاتحة** في صلاتهم أبد الدهر .

وقد روّج الانبياء واصحاب الزبور صفة الله الكبرى في التوحيد التوراتي : **الصمدانية**؛ فوصفوا الله انه «يهوه صبئوت». والتعبير يعني حرفياً «إله الجنود» الفلكية والملائكية ؛ واصطلاحاً : الله الصمد (قابل اشعيا ٦ : ٣ ؛ ارميا ٥ : ١٤ ؛ مز ٢٤ : ١٠ ؛ مز ٨٩ : ٩) .

هذه هي عقيدة التوحيد الموسوية الكاملة : الله احد ، الله الصمد .

وكم من اسرائيلي ، في اضطهاد الاميين لدينه ، كان يستشهد وهو يردّد : «أحد ! أحد !» .

ثانيا : حرف التوحيد في الانجيل

ظهر المسيح في بني اسرائيل ، وصلى صلاتهم ، وبدأ بدعوة التوحيد التوراتي . ثم أعلن صفة الله الكبرى : ابوته تعالى ؛ وكان يسمى الله « الآب الذي في السماوات » ؛ وصرح تجاه الشريعة : «لا تظنوا أني أتيت لانسخ الشريعة والنبيين : ما أتيت لانسخ ، بل لاكمل» (متى ٥ : ١٧) ، وأظهر في خطابه التأسيسي على الجبل ان هذا التكميل هو تطوير شريعة موسى الاساسية في

الوصايا العشر ، من الظاهرية الى الباطنية ، ومن الحرفية الى الروحية ، ومن المادية الى الصوفية .

وذات يوم سأله أحد علماء الشريعة : « أيُّ وصية هي أولى الوصايا جميعاً ؟ – قال يسوع : الاولى هي « اسمع ، يا اسرائيل : الله الهنا هو الله أحد : فأحبب الله الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك وكل قدرتك . والثانية هي هذه : أحبب قريبك كنفسك . وليس من وصية أخرى أعظم من هاتين » (مرقس ١٢ : ٢٨ – ٣١) .

وأنت ترى ان يسوع أعلن التوحيد الانجيلي بحرف التوراة نفسه ، مستشهداً بفاتحة صلاتهم وشهادتهم في توحيدهم : « الله الهنا هو الله أحد » (مرقس ١٢ : ٢٩) . هذا هو التوحيد الانجيلي بحرفه .

وطوّر محبة الله الى محبة القريب ايضاً. هذا هو تفصيل الانجيل وتصديقه للتوراة .

ثالثاً – حرف التوحيد في القرآن

إن القرآن يشرع للعرب دين ابراهيم وموسى وعيسى (الشورى ١٣) ؛ وهذا الدين هو اسلام الكتاب والنبوة والحكمة ، « ما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم » (آل عمران ٨٣ – ٨٥) ؛ « هذا ذكر مَن معي وذكر مَن قبلي » (الانبياء ٢١) لان محمداً أُمر ان يقتدي بهدى الكتاب وأهله : « اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة . . . اولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتدهْ » (الانعام ٩٠).

لذلك جاء اسلام القرآن من اسلام الكتاب ؛ وتوحيد القرآن هو التوحيد الكتابي نفسه .

فعند اعلان الاخلاص للتوحيد ، جـــاء القرآن بحرف التوحيد التوراتي الانجيلي نفسه :

« قلْ : هو الله أحد ، الله الصمد » (سورة الاخلاص) .

فسرها البيضاوي : «الضمير للشأن . . . وارتفاعه بالابتداء، وخبره الجملة... (أحد) بدل أو خبر ثان . . . (الله الصمد) السيد المصمود اليه في الحوائج ، من (صمد) اذا قصد . . . وتعريفه لعلمهم بصمديته ، بخلاف احديته » .

كيف يعرفون صمديته وهم يجهلون أحديته ؟ انهم يفسرون القرآن لغـــةً ويفوتهم ان القرآن ينتسب الى الكتاب ، ويجب تفسيره باصطلاح الكتاب.

لاحظ أن (احد) لا يأتي عادة الا في النفي ؛ وفي الاثبات تقول العرب (واحد) . ولماذا إظهار ضمير الشأن في (هو الله احد) من دون (الله الصمد) ؟ ولماذا (أحد) نكرة ؛ و (الصمد) معرفة ؟

ليس من جواب قاطع في اللغة والبيان ؛ انما الجواب في **نقل القرآن حرف التوحيد التوراتي الانجيلي** . فسرُّ (هو) ليس انه ضمير الشأن ؛ بـــل التعبير ترجمة حرفية لحرف التوحيد التوراتي : « يهوه أحد » . فترجمة « يهوه » هـــي حرفيا : « هو الله » . وإذ نقل (أحد) بدل واحد، فقد نقل القرآن حرف التوحيد التوراتي بحرفه ، فقال : « هو الله أحد » . ونرى ايضاً ان (الصمد) وإن صحت عربياً ، لا تستوى بياناً ، اذ ما فضلها في اعلان التوحيد على سائر صفات الله ؟ وهي لا ترد في القرآن كله **إلا في هذه الآية اليتيمة** ! فما اختارها إلا لتواترها عن أهل الكتاب : **« يهوه أحد ، يهوه صبئوت »** . فقام أهل الكتاب بنقل حرفي الى العربية ، وقال القرآن : « هو الله أحد ، الله الصمد » .

وهكذا نرى ان حـــرف التنزيل في التوراة والانجيل والقرآن واحد . فالمعبود المصمود المقصود واحد ، والتوحيد فيه وله واحد .

هذا هو الجامع الجوهري بين أهل الانجيل واهل القرآن .

وهذه هي القاعدة الاساسية في كل حوار اسلامي مسيحي .



بحث ثان

التوحيد المنزل واحد ما بين الانجيل والقرآن
(القاعدة الثالثة عشرة في الحوار المسيحي الاسلامي)

بما ان حرف التوحيد واحد ما بين الانجيل والقرآن ، فالتوحيد نفسه واحد ما بين الاسلام والمسيحية .

يقول الاسلام في الشهادة : « أشهد أن لا اله الاّ الله » .

وتقول المسيحية في الشهادة : « أومن بإله واحد » .

فالمسلمون يتشهدون ويشهدون بصيغـــة النفي ؛ والمسيحيون يتشهّدون ويشهدون بصيغة الايجاب ؛ والمعنى واحد ما بين النفي والايجاب .

وقد رأينا في بحث سابق ان اسلام القرآن من اسلام الكتاب ، وأن شهادة القرآن للتوحيد هي شهادة النصارى « أولي العلم » كما يسميهم في اصطلاح القرآن . فالنصارى يشهدون مع الله وملائكته : أن لا اله الا الله ، وأن الدين عند الله هو هذا الاسلام :

« شهد الله أنه لا اله الا هو ! والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط — لا اله الا هو العزيز الحكيم — أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ — ١٩) .

وهذا الاسلام القرآني « النصراني » هو الدين عند الله ، لا يقبل سواه ، كما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : « قل : آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيــــون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون . ومَن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (آل عمران ٨٤ — ٨٥) .

هذا هو اسلام عيسى واسلام النصارى من بعده ، بنص القرآن القاطع .

ولما تلا محمد قرآنه على النصارى الوافدين عليه أجابوه بأنهم مسلمون من قبله : « الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ، واذا يتلى عليهم قالوا : آمنا به ، انه الحق من ربنا ، إنا كنا من قبله مسلمين . اولئك يــــؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ، ويدرؤون بالحسنة السيئة ، ومما رزقناهم ينفقون . واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنـــــه ، وقالوا : لنا اعمالنا ولـكم اعمالـكم ؛ سلام عليكم ، لا نبتغي الجاهلين » (القصص ٥٢ — ٥٥) .

قال الجلالان : « نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام ، وغيره من النصارى قدموا من الحبشة والشام » .

عبد الله بن سلام يهودي فرد أسلم ، وبعده وبعد السورة كعب الاحبار ؛ فلا يُخاطبان بصيغة الجمع. فالخطاب للنصارى. يدل عليه ان المخاطبين « يدرؤون بالحسنة السيئة » وهذه شرعة الانجيل ، بينما شرعة اليهود : العين بالعين ، والسن بالسن (المائدة ٤٨) . وقد يكون الخطاب لوفود من نصارى الحبشة والشام ؛ لكن النصارى كانوا في مكة ، ورئيسهم ورقة بن نوفل ، عم السيدة خديجة ، وهو الذي أزوجها محمداً . ولا تذكر السيرة وفداً الى محمد في مكة .

فالنصارى يشهدون في القرآن بالاسلام والتوحيد ، والقرآن يؤيد شهادتهم اذ ينقلها . فهم المسلمون من قبل القرآن .

لذلك أمر محمد نفسه بأن يكون على اسلامهم : « وأمرتُ أن أكون من المسلمين » (النمل ٩٠) .

وأمرَ بأن يقتدي بهداهم : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة !.. أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده » (الانعام ٩٠) .

وأمر بأن يكون معهم أمة واحدة تؤمن بالمسيح وأمه آية للعالمين : « والتي احسنت فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين : ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » (الانبياء ٩١ — ٩٢) . فمن توحيد القرآن واسلامه أن يكون أمة واحدة مع المؤمنين بالمسيح وأمه آية للعالمين ، لا مع سواهم من الكتابيين (قابل المؤمنون ٥١ — ٥٣) .

ولايمان القرآن بتوحيد النصارى شرع هذا المبدأ العام : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين[1] : من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة ٦٢) . قالها في

---

(١) أتباع يوحنا المعمدان ، يحيى بن زكريا .

أول العهد بالمدينة ، وكررهـــا في آخر العهد المدني : « إن الذين آمنوا والذين هادوا **والصابئون** والنصارى : مَن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً ، فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون » (المائدة ٧٢). إن صح ذلك من اليهود والصابئة، فكم بالأولى من النصارى أولي العلم الذين شهدوا مع الله وملائكته : « أن الدين عند الله الاسلام » ؟

وانتهى القرآن المكي بهذه الشرعة : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن — إلا الذين ظلموا منهم (كناية عن اليهود) — وقولوا : آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، وإلهنا والهكم واحـــد ، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٨٦) . **فالقرآن يشرع في حوار المسلمين مع النصارى التسليم معهم بأن التنزيل واحد ، والاله واحد، والاسلام واحد .**

وانتهى القرآن المدني بهذه الشهادة للنصارى : « لتجدنَّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : انا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل نزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مماَّ عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنـــا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ؟ فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيهـــا ، وذلك جزاء المحسنين » (المائدة ٨٥ — ٨٨). فالقرآن يشهد في آخر أمره بوحدة التوحيد بين النصارى والمسلمين . ويرجع الفضل في مودة النصارى للمسلمين الى القسيسين والرهبان . ويعدهم بالجنة خالدين فيها لأنهم المحسنون .

والصورة التي ظلت عالقة بذهن النبي العربي هي مشهد النصارى ورهبانهم في قيام الليل للصلاة وتلاوة الكتاب ، فرأى فيهم « عباد الرحمان » الذين جعلهم الله « للمتقين اماماً » (الفرقان ٦٣) ، فصورهم بهذه اللوحة الرائعة :

«ليسوا سواء: من أهل الكتاب أمة قائمة، يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون! يؤمنون بالله واليوم الآخر! ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر! ويسارعون في الخيرات! وأولئك من الصالحين! وما يفعلوه من خير فلن يُكفَروه! والله عليم بالمتقين» (آل عمران ١١٣ — ١١٥). صلاة النصارى وسيرتهم هي القرآن كله. هذه هي شهادة القرآن لتوحيد النصارى المثالي: «يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر». انهم «من الصالحين».

ثلاث صفات مترادفات «للنصارى»: انهم أولو العلم المقسطون، المحسنون، الصالحون، في ايمانهم وتوحيدهم.

فالقرآن يشهد للنصارى بالتوحيد المثالي، مهما ندّد «بغلوّهم» في الدين بشأن المسيح وأمه. فلا ينس أهل القرآن هذه الشهادة.

تلك هي **القاعدة الثالثة عشرة** في الحوار المسيحي الاسلامي.



بحث ثالث

الخلاف الاكبر : التثليث ما بين الانجيل والقرآن

(القاعدة الرابعة عشرة في الحوار الاسلامي المسيحي)

ان المسلمين يتهمون المسيحيين في صحة توحيدهم ، بسبب التثليث الذي فيه. والمسيحيون يستنكرون منهم هذه التهمة ، وينكرون باطلها لان التثليث الذي يكفّره القرآن ليس بالتثليث المسيحي الذي به يؤمنون .

ويعلن المسيحيون على رؤوس الاشهاد : لو أنّ في التثليث المسيحي الذي به يدينون شبهة صحيحة على التوحيد الخالص ، لأنكروا التثليث في سبيل التوحيد .

فأهل الانجيل ، في دستور ايمانهم ، يشهدون بالاله الواحد الاحد ، قبل الشهادة بأن الاله الواحد الاحد هو ، في حياته الذاتية ، الآب والابن والروح القدس ، بلغة شعبية ؛ أو الآب والكلمة والروح ، بلغة كلامية .

وأهل القرآن يفهمون هذا التثليث المسيحي على ضوء الآية : «أأنت قلت للناس : اتخذوني وأمي الهين من دون الله »؟ (المائدة ١١٩) ؛ وعلى نور قوله : « ولا تقولوا : ثلاثة » (النساء ١٧٠) .

هذا هو الخلاف الاكبر بين الاسلام والمسيحية .

فما هو الواقع القرآني؟ وهل هو التثليث المسيحي المتواتر؟ ومن جهة ثانية هل لهذا التثليث في التوحيد من أساس في القرآن نفسه؟

●

اولاً : التثليث الذي يكفّره القرآن

نورد النصوص القرآنية بحسب ترتيب النزول؛ ثم نفصل جدلية القرآن في تكفير التثليث الذي يذكر.

١ – نصوص القرآن التي تكفّر القول «بالثلاثة»

١) من سورة النساء (١٧٠ – ١٧١):

«يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله الا الحق. انما المسيح، عيسى، ابن مريم، رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه. فآمنوا بالله ورسله؛ **ولا تقولوا: ثلاثة!** انتهوا، خيراً لكم. انما الله اله واحد، سبحانه أن يكون له ولد: له ما في السماوات وما في الارض؛ وكفى بالله وكيلاً. لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله، ولا الملائكة المقرّبون؛ ومَن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً. فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله؛ وأمّا الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً، ولا يجدون من دون الله وليًّا ولا نصيراً».

٢) من سورة المائدة – خمسة نصوص:

«لقد كفر الذين قالوا: **إن الله هو المسيح، ابن مريم!** – قلْ: فمن يملك من الله شيئاً، ان أراد أن يهلك المسيح، ابن مريم، وأمه ومَن في الارض جميعاً. ولله ملك السماوات والارض وما بينهما؛ يخلق ما يشاء؛ والله على كل شيء قدير» (١٩).

« لقد كفر الذين قالوا : **إن الله هو المسيح ، ابن مريم** ! — وقال المسيح : يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم : انه مَن يُشرك بالله ، فقد حرّم الله عليه الجنة ! ومأواه النار ! وما للظالمين من أنصار ! » (٧٥) .

« لقد كفر الذين قالوا : **إن الله ثالث ثلاثة** ! وما من إله إلا إله واحد ؛ وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ، ليمسنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم » (٧٦) .

« قلْ : يا أهل الكتاب ، لا تغلوا في دينكم غير الحق ، ولا تتّبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل ، وأضلّوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل » (٨٠) .

« وإذ قال الله : يا عيسى ، ابن مريم ، أأنت قلت للناس اتّخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ، ما يكون لي أن أقول ما ليس بحق ؛ إن كنتُ قلتُه فقد علمتَه ؛ تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم ما في نفسك ، إنك أنت علّام الغيوب » (١١٩) .

٣) من سورة التوبة (براءة) (٣٠ — ٣٢) :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ؛ ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله؛ ولا يدينون دين الحق ، من الذين أوتوا الكتاب حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

« وقالت اليهود : عزير ابن الله ! وقالت النصارى : **المسيح ابن الله** ! ذلك قولهم بأفواههم ، يُضاهئون قول الذين كفروا من قبل ! قاتلهم الله أنّى يؤفكون ! اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، **والمسيح ابن مريم** . وما أُمروا إلّا ليعبدوا الله إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو ، سبحانه عمّا يشركون » .

تلك هي النصوص القرآنية في وصف التثليث الذي يكفره القرآن، وبالتالي في تكفير تأليه المسيح، ابن مريم.

كلمات ثلاث، متى جُمعت توضح معنى التثليث الذي يستنكره القرآن: «ولا تقولوا: ثلاثة» (النساء ١٧٠)؛ «قالوا: ان الله ثالث ثلاثة» (المائدة ٧٦)؛ «أأنت قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين من دون الله» (المائدة ١١٩).

فالحقيقة الاولى الصارخة ان التثليث في القرآن يعني **ثلاثة آلهة**: الله والمسيح وأمه. فالله تعالى بينهم «ثالث ثلاثة»؛ والالهان الآخران مع الله هما المسيح وأمه.

والمسيحية مدى أجيالها تصرخ قبل القرآن وبعده: **هذا تثليث كافر** لا نعرفه! وما دخل مريم أم المسيح في التثليث؟ انها حكاية القرآن عن بعض جهّال النصارى من عرب الجاهلية؛ وليست حكاية المسيحية العالمية على الاطلاق.

والحقيقة الثانية الصارخة في ذلك التثليث الكافر ان المسيح وأمه قد «**اتخذا**» إلهين مع الله، فصاروا «ثلاثة» (النساء ١٧٠). فالقضية القرآنية كلها في **إلهية المسيح** هي قصة «اتخاذ» أي **تأليه المسيح** — ولا نذكر أمه. فالمسيح، ابن مريم، قد «اتخذ» إلهاً، كما «قالت اليهود: عزير ابن الله» (التوبة ٣١)؛ وكما «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» (التوبة ٣١).

ومشهور توحيد اليهود الخالص واسلامهم، كما يعاتبهم القرآن: «ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيّين أرباباً: أيأمركم بالكفر **بعد اذ انتم مسلمون**» (آل عمران ٨٠). فقولهم ببنوة عزير وبعض أحبارهم من الله، انما هو على

سبيل المجاز، لا على الحقيقة. وكذلك قول النصارى في بعض رهبانهم القديسين: فكل مؤمن صادق هو عندهم ابن الله على المجاز، لا على الحقيقة والطبيعة.

فلا تقاس بنوة المسيح الحقيقية، **من حيث هو «كلمته وروح منه»**، بالبنوة المجازية المنسوبة مجازاً لأولياء الله. وعدم التفريق بين البنوة الحقيقية النطقية الروحية في ذات الله، والبنوة المجازية في المخلوق للخالق، كان سبب تكفير بنوة المسيح مثل بنوة عزير (التوبة ٣١). وشتان ما بين الحقيقة والمجاز!

وبسبب قياس البنوة الحقيقية على البنوة المجازية، يرى القرآن في المسيح، **من حيث هو «عيسى ابن مريم»**، تأليه بشر مع الله كما «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله».

ففي ظاهر القرآن، قضية المسيح قضية **تأليه** مخلوق، عيسى ابن مريم، مع الخالق.

لكن في نظر الانجيل، قضية المسيح قضية **إلهية «كلمته وروح منه»** قبل أن يُلقى الى مريم من ذات الله – بلا تجزؤ ولا انفصال – وبعد تجسّده منها.

وليس من تعارض بين الموقفين، لاختلاف وجهات النظر، كما يظهر من جدلية القرآن.

٢ – جدلية القرآن في تكفير المقالة «بالثلاثة»

للقرآن خمس نظريات لتكفير القول «بالثلاثة» وبنوة المسيح من الله تعالى.

نظرية اولى في تكفير هذين التأليه والتثليث هـــي **نظرية « الاتخاذ »** . « ذلك عيسى ، ابن مريم ، قول الحق ، الذي فيه يمترون : ماكان لله ان يتخذ من ولد ! سبحانه ! » (مريم ٣٤) . لذلك يثور القرآن على هذا الاتخاذ والتأليـــه الكافر : « وقالوا : اتخذ الرحمان ولداً ! ــ لقد جئتم شيئاً إدّاً ، تكاد السماوات يتفطّرن منه ، وتنشق الارض ، وتخرّ الجبال هدّاً ؛ أنْ دعوا للرحمان ولدا ! **وما ينبغي للرحمان ان يتّخذ ولدا** : إنْ كلّ ما في السماوات والارض إلا آتى الرحمان عبداً » (مريم ٨٨ ــ ٩٣) .

فالاتخاذ فالتأليه مستحيل على الخالق والمخلوق جميعاً : لا يصير العبد ربّاً معبوداً ، ولا الرب المعبود عبداً مسوداً . هذا قول الفطرة والبديهة : « فأنى يؤفكون » (التوبة ٣١) ! « وسبحانه عمّا يشركون » (التوبة ٣٢) .

والمسيحيون جميعاً يقولون : إن « الاخذ » او « الاتخاذ » او التأليه إفـــك وشرك وكفر ! ولكن في عقيدتهم ليس ذلك شأن المسيح ، فهو « **كلمته القاها** الى مريم » ، لا اتخاذ ابن مريم ولداً له .

نظرية ثانية أن نسبة بنـــوة الى الله هي ضم « **جزء** » **الى الله من خلقه** : « وجعلوا له من عباده جزءاً : ان الانسان لكفور مبين » (الزخرف ١٥) . وأية نسبة بين الخالق والمخلوق ، حتى يضموا « جزءاً » من المخلوق الى الخالق ! يستحيل ذلك فطرة وعقلا : « وقالوا : اتخذ الله ولداً ! سبحانه ، بـل له ما في السماوات والارض ، كلّ له قانتون ! بديع السماوات والارض ، واذا قضى أمراً فإنما يقول له : كـــن ! فيكون » (البقرة ١١٧) . فبراهين الاستحالة الفطرية والعقلية ظاهرة حاسمة : « له ما في السماوات والارض » اي مُلكاً مملوكـــاً ، والمملوك لا يملك مع المالك ؛ « كلٌ له قانتون » اي منقادون بالطاعة والعبودية ، فلا يصير العبد رباً ؛ والله « بديع السماوات والارض » اي بـــدعها وخلقها ، والمخلوق لا يصير خالقاً ؛ أو انه تعالى بديع منها لا يجانس معها حتى تصير بضعة

منه او جزءاً ينضم اليه . أخيراً كل الكائنات خلقه ، كانت بأمـــره الخلاق ، « يقول : كن ! فيكون » (عن تفسير البيضاوي) .

فنظرية ضم « جزء » الى الله من خلقه إفك وشرك وكفر ، يقول المسيحيون جميعاً . ولكن في عقيدتهم ليس ذلك شأن المسيح . والقرآن يقول فيه انـــه « كلمته **القاها** الى مريم ، وروح منه » : فهو إلقاء مـــن الله ، لا ضم جزء من العبد اليه تعالى .

نظرية ثالثة أن الولد أو الابن لا يكون **الا بولادة من ذكر وانثى** . وهنا الطامة الكبرى . يقول القرآن : « أنى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة » ؟ (الانعام ١٠٢) . ايها الناس ليس لله « صاحبة » حتى يستولدها ، ويكون له منها ولد ! ؟ وقد احسن البيضاوي في تأويل فكر القرآن : « **إن المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين** ، والله تعالى منزه عن المجانسة » . فليس لله من صاحبة يستولدها – ربَّاه عفوك – واي صاحبة من خلقه تجانسه تعالى حتى يكون له منها ولد ؟!

فالجن انفسهم يشهدون : « أنه تعالى جدّ ربنا : ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » (الجن ٣) . فاستحالة الولد لله تعالى **واقعية** : « ما اتخـــذ صاحبة ولا ولداً ! **ومبدئية** : « أنى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة » ؟

هذه هي ذروة فلسفة القرآن في استحالة الولد على الله ، فإنه لا « صاحبة » له ، ولا يمكن ان تكون له صاحبة . **والولد لله لا يكون الا « بصاحبة »** . فالولادة ، في الله ، **لا تكون إلا جسدية تناسلية** . أما الابوة والبنوة **الروحية النطقية** فلا ذكر لها في القرآن ، كما هو الحال في الانجيل بالنسبة للمسيح مـــن حيث هـــو « كلمة الله وروح منه » ، لا من حيث هو « عيسى ، ابن مريم » . **فالثنائية في شخصية المسيح** من حيث هو « كلمته القاها الى مريم وروح منه » ومن حيث هو « عيسى ابن مريم » تسمو على الولادة التناسلية .

نظرية رابعة : « كانا يأكلان الطعام » .

استحالة الالوهية على المسيح وأمه ظاهرة من بشريتهما ، كما ينص القرآن : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . وأمه صديقة . **كانا يأكلان الطعام** ! انظــــر كيف نبيّن لهم الآيات ، وانظر أنى يؤفكون » (المائدة ٧٨) . فمن يأكل الطعام كالحيوان كيف يكون إلهاً ؟ والمسيح وامه « يفتقران اليه افتقار الحيوانات » (البيضاوي) . واي شيء ادل على البشرية الصحيحة الوضيعة مثل الحاجة الى الطعام وما ينشأ عنه ؟! هذا برهان قاطــــع باللامعقول .

والمسيحيون يقرون ذلك بالنسبة لام يسوع . ويقرون ذلك ايضاً بالنسبة للمسيح نفسه من حيث هو « ابن مريم » ؛ لكن من حيث هو « كلمة الله وروح منه» فليس فقط بشراً ليصح فيه ذلك البرهان البشري المحسوس . فالمسيح الذي هو « كلمته **ألقاها** الى مريم وروح منه » يأكل الطعام بحسب بشريته ! لكن بشريته لا تمنع أنه « كلمته وروح منه » أسمى من البشرية والطعام . هكذا يجب ان « نتدبر القرآن » كما أمرنا (النساء ٨٢) .

نظرية خامسة : عجز المخلوق عن الضر والنفع . يقول : «ما المسيح ابن مريم إلا رسول . . . وأمه صديقة . . . قلْ : أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً ؟ (المائدة ٧٨ — ٧٩) . فسره البيضاوي : « يعني أن عيسى **وان ملك ذلك بتمليك الله إياه** ، لا يملكه من ذاته ؛ ولا يملك ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب، وما ينفع به من الصحة والسعة . وإنما قال (ما) نظراً الى ما هو عليه في ذاته ، توطئة لنفي القدرة عنه رأساً ، وتنبهاً على أنه من هذا الجنس : ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فمُعزَل عن الالوهية » .

هنا ايضاً يجب ان «نتدبر القرآن» . والجواب في ثنائية الشخصية في المسيح بحسب القرآن . فالمسيح من حيث هو « ابن مريم » لا يملك من ذاته ضرّاً ولا

نفعاً ؛ ولكن من حيث هو « كلمة الله وروح منه » فهو يملك الضر والنفع من ذاته ، لذلك يُسند اليه القرآن اعمال الله من خلق وإحياء ، وان قيدها بقوله « بإذني » ، استناداً الى وحدة الله وكلمته : فكلمة الله او كلام الله فعال بذاته لما يريد .

تلك هي جدلية القرآن ونظرياته الخمس في تكفير المقالة « بالثلاثة » . وهذه الجدلية تهدم تثليثاً ليس بالتثليث المسيحي على الاطلاق .

٣ – موقف القرآن الحاسم من النصارى : « لا تغلوا في دينكم » .

لتلك الحجج الخمس ، يدعو القرآن النصارى على العموم الى الكف عن « الغلو » في دينهم (النساء ٨٠) بشأن المسيح وامه ، **في نظرية جامعة** تُظهر موقف القرآن منهم . **فالملاحظة الظاهرة الواجبة** ان القرآن لا يكفّر النصارى جملة ، بل انما هو يكفّر بالتفصيل ثلاث مقالات لبعضهم – **وهي مقالات كافرة في نظر المسيحية !**

المقالة الاولى : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ، ابن مريم » (المائدة ١٩ و ٧٥) . فسره الجلالان : « هم اليعقوبية ، فرقة من النصارى » . وقال البيضاوي : « شرع ههنا في الكلام مع النصارى فحكى عن فريق منهم انهم قالوا : (ان الله هو المسيح ابن مريم) . وهذا هو قول اليعقوبية » .

ويعلم الجميع ان اليعقوبية تمثّل رأياً ضئيلاً جداً في المسيحية العالمية . وقد حكمت المسيحية الرسمية في المجمع المسكوني الرابع عام ٤٥١ بأن **مقالة اليعقوبية بدعة** وحرمتها .

وهذه المقالة هي سبب الخصومة الاكبر في تكفير القرآن فالمتكلمين من

بعده . ولو عرفوا انها منكرة مستنكرة في المسيحية لما استرسلوا في تكفير التثليث الصحيح . لكن المقالة كانت سائدة في شمال الجزيرة العربية حين الدعوة القرآنية ، ولم تزل سائدة بمصر حيث جامعة الازهر ، حصن القرآن . ومقـــالة اليعقوبية ساقطة في المسيحية من قبل القرآن ، فما كان لهم ان يـــأخذوا بها ، ويبنوا عليها فهمهم لصحة المسيحية والانجيل .

المقالة الثانية : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٦) .
نقل الرازي اجماع المفسرين بقوله : « وهو انهم ارادوا بذلك **ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة** ؛ وان الذي يـــؤكد ذلك قوله : (أأنت قلت للناس : اتخذوني وامي الهين من دون الله) ؟ (المائدة ١١٩) . فقوله (ثالث ثلاثة) اي احد ثلاثة آلهة ، او واحد من ثلاثة آلهة . والدليل انه المراد قـوله في الرد عليهم : وما من اله الا واحد » .

كانت المقالة الاولى **كلامية** من سوريا ؛ وهذه المقالة الثانية **شعبية** من زمن الجاهلية في الجزيرة العربية . وتاريخ المسيحية اجمع ، خارج الجزيرة العربية ، يشهد ببطلانها واستهزاء المسيحيين بها مدى اجيالهم . وكان على علماء المسلمين ان يردّوها الى اصلها العربي الجاهلي فلا يظلمون بهـــا المسيحيين ، وهم انفسهم يظلمون . فلم يقل احد من المسيحيين بأن **أم المسيح « ثالث ثلاثة »** في الاقانيم الالهية الثلاثة في الاله الواحد الاحد : الله والكلمة والروح . فتلك المقالة افتراء محض على المسيحية . كانت في القرآن حكاية مقالة جاهلة جاهلية ؛ فاعتمدها الناس تهمة شائعة بحق المسيحية جمعاء ، وهاذان هما **الجهل والظلم** بعينهما .

المقالة الثالثة توضح مضمون المقالة الثانية . اشار اليها في (المائدة ٧٨) ، واوضحها في (المائدة ١١٩) : « أأنت قلت للناس : اتخذوني وأمي الهين من دون الله » ؟

ويظهر الرازي فساد اتخاذ المسيح وامه « الهين مـــن دون الله » بقوله :

« المقصود من ذلك الاستدلال على فساد قول النصارى من وجوه : ١) ان كل من كان له ام فقد حدث بعد ان لم يكن ؛ وكل من كان كذلك كان مخلوقاً ، لا الهاً . ٢) انهما كانا محتاجين لانهما كانا محتاجين الى الطعام اشد الحاجة : والاله هو الذي يكون غنياً عن جميع الاشياء : فكيف يعقل ان يكون الهاً » ؟

هذان الاستدلالان — وغيرهما كثير — على فساد قول النصارى يصحان لو صحت حكاية القرآن عن بعض نصارى الجاهلية العربية في المسيحية من قبله ومن بعده ، كما في المقالتين الثانية والثالثة . وجميع العارفين يشهدون بأنهما لا تصحان على المسيحية في تاريخها كله . ومن ينسبهما الى المسيحية يشهد على نفسه بجهله وظلمه . فأم المسيح ليست من التثليث المسيحي بشيء ! وليس المسيح نفسه « ثالث ثلاثة » من حيث هو « عيسى ابن مريم » ؛ بل من حيث هو « كلمته **القاها** الى مريم وروح منه » . فهو «كلمته وروح منه» قبل ان يُلقى الى مريم. فهو « كلمته وروح منه » قبل الولادة من مريم ، وفي الولادة ، وبعد الولادة ، لذلك لا يصح الاستنتاج العام فيه : « ان كل من كان له ام فقد حدث بعد ان لم يكن » . لان مريم اعطت بشرية « لكلمة الله وروح منه » الذي كان قبلها وقد «**ألقي اليها**» . وهذه البشرية هي التي تحتاج الى الطعام في «عيسى ابن مريم» لا « كلمة الله وروح منه » الملقى اليها .

ففي تعريف القرآن بالمسيح : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله — وكلمته القاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) **ثنائية في شخصيته فاتتهم**، وهي تفسر كل المشاكل والمسائل .

فتلك **المقالات الثلاث** تفسّر ان القول « **بالثلاثة** » يعني « ثلاثة آلهة » . وهذا هو الكفر بعينه . لكن المسيحية براء منه على الاطلاق . نلاحظ ان القرآن يكفر القول « بالثلاثة » ؛ لا بتثليث في التوحيد . ويعلن بصراحة انها

مقالات بعض النصارى « الذين كفروا منهم » (المائدة ٧٦)، وأنها « أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل » (المائدة ٨٠).

فليست المقالات الثلاث في « الثلاثة » التي يكفرها القرآن ــ **وقد كفّرتها المسيحية من قبله فحكى تكفيرها بدوره** ــ عقيدة المسيحية على الاطلاق ؛ انما هي مقالات بعض المبتدعة المنحرفة منهم . وقد زالوا من الوجود مع مقالاتهم . والشبهة الضاغطة على التفكير الاسلامي كله ان مقالة اليعقوبية هي السائدة في مصر ، حول جامعة الازهر . وفاتهم ان مقالة اليعقوبية قد كفّرتها المسيحية قبل القرآن والاسلام ؛ والمليار من المسيحيين يكفرونها اليوم. فمن الجهل والظلم المتاجرة بها في الحوار الاسلامي المسيحي[1] .

وموقف القرآن الحاسم من النصارى على العموم **ليس التكفير ! بل التحذير من الغلو في الدين** : « قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق » (المائدة ٨٠) .

☆☆☆

ثانياً : ذاك التثليث الذي يكفره القرآن ليس بالتثليث المسيحي

إن الوحي الانجيلي في العهد الجديد كله ، والتعليم الرسمي للمسيحية في أجيالها كلها ، المدون في محاضر مجامعها المسكونية ، شاهد عدل على الاسناد والتواتر والاجماع في العقيدة . وهو يكفر البدع التي نشأت في فهم التثليث المسيحي الصحيح ، على غير حقيقته ، مثل تلك البدع التي يكفّرها القرآن ، بعد المسيحية .

---

(١) نعتذر الى الاخوان الذين يسميهم التاريخ الاسلامي « يعاقبة » . ونحن على علم يقين بأن خلافهم مع جميع المسيحيين شكلي : إنه خلاف في التعبير ، لا في العقيدة والتفكير .

والتعليم المسيحي القائم في مدارس المسيحيين بالعالم ـ ولا نقول في كلياتهم وجامعاتهم -- يثبت بلا شبهة على الاطلاق :

أن « الثلاثة » التي يكفرها القرآن ليست بالتثليث المسيحي !

وأن المسيحية ، قبل القرآن ، كفّرت التثليث الذي كفره القرآن !

وان الخلاف الاكبر بين المسيحية والاسلام ، على التثليث الصحيح في التوحيد ، لا وجود له في الانجيل ولا في القرآن : فكلاهما يقولان معاً بالله والكلمة والروح .

١ ـ مقالات القرآن في « الثلاثة » ليست بالتثليث المسيحي

إن السيد المسيح قبل ارتفاعه الى السماء أوصى رسله الحواريين ، قال : « لقد أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الارض : فاذهبوا وتلمذوا لي جميع الامم ، وعمدوهم **باسم الآب والابن والروح القدس** ؛ وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به ؛ وها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ١٨ — ٢٠) .

تلك هي كلمة الوحي الانجيلي الاخيرة .

وتلك هي الوصية الاخيرة للمسيح قبل ارتفاعه الى السماء .

ورفع المسيح الى السماء بعد الامر بتعميد الامم جميعها « باسم الآب والابن والروح القدس » ـ اي الله والكلمة والروح ـ شهادة من الله نفسه على صحة تعليمه وعلى صدق وحيه .

يؤيد ذلك برهان ثان، سلطانه الالهي المطلق «في السماء وعلى الارض»: فمن له سلطان الله يقول قول الله نفسه.

يؤكد ذلك برهان ثالث، حضوره الدائم على الارض «مع تلاميذه الى انقضاء الدهر».

فشهادة المسيح الاخيرة قبل رفعه الى السماء، بالتثليث في التوحيد، يثبتها واقع حاله وسلطانه؛ ويؤيدها الله نفسه برفع المسيح حيًّا الى السماء.

والوحي الانجيلي كله، في العهد الجديد كله، يردّد هذا التثليث في التوحيد الخالص؛ والمسيحية تقول به من بعده جيلًا بعد جيل.

١) فهل في هذا التثليث الانجيلي من ذكر فيه **لمريم أم المسيح**؟ لا ذكر لها في التثليث المسيحي على الاطلاق. وهي «ثالث ثلاثة» في القرآن.

لذلك فليس التثليث الذي يكفره القرآن بالتثليث الذي يشهد به الانجيل.

٢) إن «**روح القدس**» في القرآن (النحل ١٠٢) هو جبريل الذي نزّل القرآن (البقرة ٩٧). فليس هو «**الروح القدس**» في ذات الله بحسب الانجيل (متى ٢٨: ١٩). فهناك ترادف في الاسم على طريق المشاكلة، لا على طريق المقابلة.

فإن كان روح القدس جبريل، فليس من ذكر لجبريل على الاطلاق في التثليث المسيحي.

فليس التثليث الذي يؤكده الانجيل بالتثليث الذي ينكره القرآن.

٣) إن القرآن **يكفّر تأليه المسيح من حيث هو «ابن مريم»**: «وقالت اليهود: عزير ابن الله! وقالت النصارى: المسيح ابن الله! — ذلك قولهم

بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل : قاتلهم الله أنّى يُؤفكون ! اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، **والمسيح ابن مريم** ، وما أمروا إلَّا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو ، سبحانه عمّا يشركون » (التوبة ٣١ — ٣٢) . هذا تأليه البشر « عيسى ابن مريم » وتربيبه على شاكلة تربيب الاحبار والرهبان . وهو كفر محض بحسب الانجيل نفسه .

لكن القرآن يشهد ايضاً بأن المسيح هو ايضاً « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠) ، فهو كلمة الله وروح منه في ذاته تعالى قبل إلقائه الى مريم . فهذا تعريف « **الابن** » في لغة الانجيل . فالمسيح هو « الابن » ، ابن الله ، ليس من حيث هو « ابن مريم » بل من حيث هو « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » : فهي **بنوة نطقية روحية في ذات الله** قبل الالقاء الى مريم ؛ فهي أسمى من المخلوق ، وفي ذات الخالق .

فليس المسيح « ابن الله » على طريقة الاستيلاد من « صاحبة » — هذا كفر محض ! — بل على طريق الصدور في الوجود الالهي ، من ذات الله ، في ذات الله ، بصفة كونه « كلمته وروح منه » ، في كامل التجريد والتنزيه .

فليس اذن التثليث الذي يكفره القرآن بالتثليث الذي تقول به المسيحية عن الانجيل .

٤) إن الله تعالى هو « **الآب** » بحسب الانجيل والمسيحية . وأبوّة الله هي في ذاته ، من ذاته ، لذاته ؛ انها روحية نطقية ، يصدر فيها كلمة الله من ذاته ، صدور الابن عن أبيه في عالم المخلوق ، على طريق المقابلة ، لا على طريق المطابقة . فهي أبوة وولادة وبنوة في مطلق الذات الالهية ، فوق المحسوس والمخلوق ، ومن قبل المكان والزمان ، فوق الخليقة والخلق ، منذ الازل ، في ذاته تعالى . فهو « الآب » بدون أدنى صلة بالمخلوق على الاطلاق .

والمسيحية تؤمن بتحديد التوحيد كما تعلنه سورة الاخلاص: «قل: هو الله أحد، الله الصمد، **لم يلد، ولم يُولد**، ولم يكن له كفوءًا أحد». لان الولادة المستنكرة لا تكون إلا بصاحبة: «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة» (الانعام ١٠٢). وجلّ الله تعالى عن الصاحبة والمخلوق. إن الولادة فيه تعالى ذاتية روحية نطقية فوق المخلوق على الاطلاق.

فليست هي الولادة المذكورة في القرآن. قال الجلالان: «لم يلد، لانتفاء مجانسته. (ولم يولد) لانتفـــاء الحدوث عنه. (ولم يكن له كفوءًا أحد) أي مكافئاً ومماثلًا له» من خلقه. وقال البيضاوي: «لم يلد، لانه لم يُجانس ولم يفتقر الى ما يعينه أو يخلف عنه، لامتناع الحاجة والفناء عليه... (ولم يولد) وذلك انه لا يفتقر الى شيء، ولا يسبقه عـــدم». فالولادة، حتى في الله، بحسب القرآن، لا تكون إلّا **جسدية تناسلية**. فإذا رجعنا الى استحالة الولادة على الله، في جدلية القرآن ومفسّريه، نجدنا أمام المبدأ المطلق: «أنى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة» (الانعام ١٠٢). **فالولادة لا تكون إلا بصاحبة!** وتنزّه الله تعالى عن الصاحبة والولد المتّخذ: «ما اتخذ صاحبـــة ولا ولداً» (الجن ٣). ان مجرد القول بالصاحبة والولد منها أكفر الكفر بحق الجلال الالهي.

وهكذا ليست الولادة التي يقول بها القرآن، بالولادة التي يعلمها الانجيل في ذات الله، فوق المخلوق. وليست الأبوة ولا البنوة الناجمة عنهـــا في ذات الله كالتي في عالم المخلوق.

ان الأبوة في القرآن عمـــل المخلوق البشري؛ وفي الانجيل عمل الله الذاتي الروحي النطقي. لان «الابن» في الله هو «كلمته وروح منه» (النساء ١٧٠)، او بحسب الانجيل: «منذ الازل كان الكلمة، والكلمة كان في الله، والله كان الكلمة، فهو منذ الازل في الله» (يوحنا ١: ١ — ٢). **فهي أبوة وولادة وبنوة إلهية ذاتية روحية نطقية فوق المخلوق على الاطلاق.**

لذلك كله ليس التثليث الذي يكفره القرآن في مقالاته الثلاث لتفصيل « الثلاثة » ، بالتثليث الذي تقول به المسيحية بشهادة الانجيل .

لذلك ايضاً ليس من **تعارض** على التثليث في التوحيد ، ما بين الانجيل والقرآن ، لاختلاف وجهات النظر بينهما اختلافاً شاملاً كاملاً . فاعتمادهم على القرآن لتكفير المسيحية في عقيدة التثليث في التوحيد اعتماد باطل ظالم لا أساس له في القرآن نفسه .

٢ ــ جدلية القرآن لا تنطبق على التثليث المسيحي

في جدلية القرآن لتكفير القول « بالثلاثة » (النساء ١٧٠) **ست نظريات** ، لا تنطبق في شيء على التثليث المسيحي .

١) **نظرية الاتخاذ** (الجن ٣ ؛ التوبة ٣١ ــ ٣٢) . إن الألوهية المنسوبة في القرآن للمسيح وأمه ، بحسب مقالة بعض جهّال النصارى ، **هي « اتخاذ » مخلوق إلهاً من دون الله** .

وتأليه مخلوق أيّاً كان ، حتى « عيسى ابن مريم » بصفة كونه « عيسى ابن مريم » ــ لا بصفة كونه « كلمته وروح منه » ــ هو كفر محض في نظر الانجيل والمسيحية .

فمن هذا الباب ليس التثليث الذي يكفره القرآن بتثليث الانجيل .

٢) **نظرية الجزء** (الزخرف ١٥) . إن الالهية المنسوبة « للمسيح ابن مريم » أو لسواه بحسب القرآن تقوم على ضم « جزء » لله من خلقه . وليس بين

الخالق والمخلوق من تكافؤ : « ولم يكن له كفوءا أحد » ، ولا من تشابه : « ليس كمثله شيء » .

وليس التثليث المسيحي في الله بضم « جزء » اليه تعالى من خلقه : فهو تعالى فوق المخلوق ؛ والتثليث الصحيح فيه إنما هو تثليث خواصه الكيانية أو صفاته الذاتية ، في وحدة جوهره ، قبل الخلق والمخلوق .

فمن هذا الباب أيضاً ليس التثليث الذي يكفره القرآن بتثليث الانجيل .

٣) **نظرية « الصاحبة » والاستيلاد منها** . ان مجرد البحث فيها كفر محض في حق الله سبحانه . فنمتنع عنه .

فكم يظلم جهال المسلمين اخوانهم المسيحيين عندما يتهمونهم بأن عقيدتهم تقضي بأن الله استولد عيسى من مريم . هذا كفر ! وظلم ! وجهل !

فمن هذا الباب أيضاً ليس التثليث الذي يكفره القرآن بتثليث الانجيل .

٤) **نظرية « كانا يأكلان الطعام »** (المائدة ٧٨) . يستدل الرازي من هذا القول على « أنهما كانا محتاجين لأنهما كانا محتاجين الى الطعام أشد الحاجة . والإله هو الذي يكون غنياً عن جميع الاشياء ، فكيف يُعقل أن يكون المحتاج إلهاً ؟ » .

هذا الاستدلال يصح في السيدة مريم ، أم المسيح . ويصح أيضاً في المسيح نفسه من حيث كونه « ابن مريم » ، لا من حيث كونه « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » . فإلهية المسيح ، بحسب الانجيل ، انه « كلمة الله » أي نطق الله في ذاته قبل إلقائه الى مريم ، فهو في كامل التجريد والتنزيه عن حاجات البشرية والمخلوق . والحاجة في بشريته لا تمس ذاته من حيث هو « كلمة الله » أي نطق الله في ذاته .

فمن هذا الباب أيضاً ليست إلهية المسيح في ذاته السامية، بتأليه عيسى ابن مريم؛ وليس التثليث الذي يكفره القرآن بتثليث الانجيل.

٥) **نظرية** «أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً» (المائدة ٧٩). لا شأن لمريم أم المسيح في بحث التثليث الانجيلي. والمسيح نفسه، من حيث بشريته، «لا يملك ضرّاً ولا نفعاً». ولكن من حيث كونه «كلمته ألقاها الى مريم وروح منه»، أي من حيث ذاته السامية، فهو يملك في بشريته ضرّاً ونفعاً. وذلك بشهادة القرآن نفسه حيث ينسب اليه الخلق: «واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني، فتنفخ فيها فتصير طيراً بإذني» (المائدة ١١٤؛ قابل آل عمران ٤٨) — ولا ينسب القرآن لفظ «الخلق» إلا لله والمسيح — وينسب اليه الاحياء، وهو عمل إلهي: «واذ تخرج الموتى بإذني» (المائدة ١١٤)، «وأحيي الموتى بإذن الله» (آل عمران ٤٨)؛ كما ينسب اليه الابراء زرافات ووحدانا، والانباء بالغيب. ولا يحد من النفع والضر قوله «بإذن الله» أو «بإذني»، لاننا لا نجد مثل معجزات المسيح عند الانبياء والأولياء؛ ولا ينسب لهم الخلق والاحياء بإذن الله. وبشهادة الانجيل أيضاً: «قد آتاني أبي كل شيء؛ فما من أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا من أحد يعرف الآب إلا الابن، ومن شاء الابن أن يكشف له» (متى ١١: ٢٦ — ٢٧). ان قدرة الابن من قدرة الآب، وبرهان ذلك المعرفة المتساوية المتبادلة بين الآب والابن. فالمسيح قادر بقدرة الله ذاتها كما يقول في سلطانه وسعته الالهية بوصيته الاخيرة: «إني أوتيت كل سلطان في السماء وعلى الارض... وها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ١٨و٢٠). فصفاته برهان ذاته.

فمن هذا الباب أيضاً ليس التثليث الذي ينكره القرآن بتثليث الانجيل.

٦) **نظرية الولادة من أمّ**. في تفسير الرازي لآية «كانا يأكلان الطعام»

(المائدة ٧٨) يقول : « إن كل من كان له أمّ فقد حدث بعد أن لم يكن ؛ وكل من كان كذلك كان مخلوقاً ، لا إلهاً » .

أجل هذا قول الحق . لكنه لا ينطبق على المسيح في كونه « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه »، لأنه كلمة الله، قبل إلقائه الى مريم، **فهو موجود قبل أمه**، قائم في ذات الله ككلمته أي نطقه الذاتي . ففي القائه الى مريم وولادته منها ، **لم يجر عليه في ذاته حدوث** ، بل تدرّع ببشرية من أمه .

فمن هذا الباب أخيراً ليس التثليث الذي ينكره القرآن بتثليث الانجيل .

وهكذا نشاهد ان جدلية القرآن في نظرياته الست لتكفير القول « بالثلاثة » لا ينطبق في شيء على التثليث المسيحي .

فمن الظلم ، ومن الجهـــل ، تكفير المسيحية ، باسم القرآن ، بالتثليث في التوحيد ؛ لان « الثلاثة » التي يكفرها القرآن ، ليست بالتثليث المسيحي .

***

ثالثاً : ان المسيحية كفّرت قبل القرآن مقالاته « بالثلاثة »

وقد يستغرب بعضهم هذا التصريح ، مع ان التاريخ شاهد عدل . فان مقالات القرآن في تكفير « الثلاثة » قد كفّرتها المسيحية قبل القرآن ، ووصمتها بأنها بدع منحرفة في المسيحية الصحيحة . وبسبب تكفير المسيحية الرسمية لتلك المقالات الثلاث في تفصيل «الثلاثة» التي يكفرها القرآن أيضاً على غرارها، فإنها لم تعمّر طويلاً ، او تقوقعت في بقعة ، شعاراً لقومية .

لذلك فاننا نرى في ذلك التكفير المشترك من المسيحية والاسلام تعاوناً بينهما لتكفير بدع التثليث المنحرف.

١ ــ المقالة «بالثلاثة» (النساء ١٧٠)

لها صيغتان: عربية وأجنبية.

١) **الصيغة العربية** حكاها القرآن في آية (النساء ١٧٠): «ولا تقولوا: ثلاثة». وفصّلها في آية (المائدة ١١٩): «أأنت قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين من دون الله»؟ فيظهر ان المقصود «بالثلاثة»: الله والمسيح ومريم أمه.

هكذا فسّرها جميعهم. قال الجلالان: «أي الآلهة ثلاثة: الله وعيسى وأمه». وقال البيضاوي: «أي الآلهة ثلاثة»: الله والمسيح ومريم. ويشهد عليه قوله: أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله»؟!

وفصّلها الزمخشري بقوله: «ان صحت الحكاية عنهم (النصارى) أنهم يقولون: **هو جوهر واحد، ثلاثة أقانيم**: أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس. وأنهم يريدون بأقنوم الآب **الذات**، وبأقنوم الابن **العلم**، وبأقنوم الروح القدس **الحياة** ــ فتقديره «**الله ثلاثة**». والا فتقديره «**الآلهة ثلاثة**». والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، وأن المسيح وَلدُ الله من مريم؛ ألا ترى الى قوله: (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)؟ **وحكاية الله أوثق من حكاية غيره**».

أجل «حكاية الله أوثق من حكاية غيره». لكن الزمخشري خلط بين مقالة لبعض الجهال من نصارى عرب الجاهلية التي حكاها القرآن؛ وبين عقيدة المسيحيين التي ينقلها ويرفضها بسبب حكاية القرآن لمقالة الجهّال. فالقرآن يكفر

« الآلهة الثلاثة » أي الله والمسيح ومريم ؛ ولكنه لا يذكر على الاطلاق عقيدة المسيحيين « الله ثلاثة » في تثليث صفاته الذاتية الكيانية المسماة «أقانيم» ، تمييزاً لها من سائر الصفات.

٢) وهناك **صيغة أجنبية** قالت : « الآلهة ثلاثة » .

وعلى ضوء التاريخ يصح أن نعتبر الآيتين (النساء ١٧٠ مع المائدة ١١٩) مقالتين في التثليث المنحرف. فقد ظهرت مقالة **«الآلهة الثلاثة»** في القرن السادس على أيام الامبراطور يستنيانس (٥٢٧ – ٥٦٥) أي قبيل الاسلام. ويسمونها في التاريخ المسيحي « **بدعة المثلثة** » القائلة : ان الآب والابن أي المسيح والروح القدس هم ثلاثة أقانيم أي ثلاثة جواهر تجمعهم وحـــدة الألوهية ، لكنهم في الحقيقة ثلاثة آلهة. طلع بهذه البدعة الكافرة يوحنا الأسكوناجي في القسطنطينية؛ وفلسفها في مصر يوحنا فيليبُّنْ ؛ ورعاها في الامبراطورية أثناسيوس، ابن اخت للامبراطورة ثيودورة . فعشّش المثلّثون في سوريا ، وتظاهروا في مصر أكثر فأكثر . وعن طريق الحيرة توغلت البدعة بين العرب حتى وصلت الى الحجاز ، ملجإ الهاربين من دين الدولة. ولماً نزل القرآن كفّرها ، كما كفّرتها المسيحية كلها من قبله .

فلا الصيغة الاجنبية ، ولا الصيغة العربية ، تمثلان العقيدة المسيحية في شيء . لذلك فكل تفاسير المفسرين للقرآن ، وكل كلام المتكلمين المبني عـــلى حكاية القرآن لمقالة جاهلة كافرة، هو هراء بهراء، لانه لا يمثل العقيدة المسيحية في شيء . وجهلهم المتواتر أنهم ينسبون الى المسيحية كلها ما حكاه القرآن عن بعض جهاّل النصارى العرب في جاهليتهم ، حتى خلص الزمخشري ــ وهو شيـــخ من أئمة المعتزلة العقلانيين ــ الى قوله : « وحكاية الله أوثق من حكاية غيره » . وفاته انها

ليست «حكاية الله» على الاطلاق، بل «حكاية الله» لمقالة عربية جاهلية، او أجنبية كافرة، لا تمت الى العقيدة المسيحية بصلة.

٢ — **مقالة: «ان الله ثالث ثلاثة»** (المائدة ٧٦).

وهذه أيضاً لها صيغتان: عربية وأجنبية.

١) حكى القرآن **الصيغة العربية** في هذا التكفير لها: «لقد كفر الذين قالوا: «إن الله ثالث ثلاثة» (المائدة ٧٦).

فسّره الجلالان: «ثالث أي أحدها، والآخران عيسى وأمه. **وهم فرقة من النصارى**». نقول له بعد أجيال: هذه الفرقة لم توجد خارج عرب الجاهلية المتنصرين. فحكى القرآن حكايتهم ولم يحكِ حكاية المسيحية كلها على الاطلاق. فالمقالة تفسير جاهل لقضية «الثلاثة» كما رأينا مراراً.

وعلّق عليه البيضاوي: «ثالث ثلاثة أي أحد ثلاثة. وهو حكاية عمّا قاله النسطورية والملكانية منهم، القائلون بالأقانيم الثلاثة، وما سبق من قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد».

نقول للبيضاوي بعد مئات السنين: ما من أحد من الملكانية ولا النسطورية ولا اليعقوبية قال بأن الله ثالث ثلاثة مع المسيح وأمه. ولم يكن اختلافهم في التثليث؛ وانما في كيفية اتحاد الطبيعتين اللاهوت والناسوت في شخصية المسيح. فخلط البيضاوي بين عقيدتين مختلفتين، ونسب المقالة جهلاً وظلماً للفئات الثلاث المسيحية المتفقة في عقيدة التثليث.

فالاجماع عند المفسرين ان المقالتين : « الثلاثة » ، « ثالث ثلاثة » ترجعان الى تأليه عيسى وأمه مع الله . وهذا افتراء على المسيحية التي تعتبر كل تأليه شركاً وكفراً ؛ ولا دخل لأم المسيح على الاطلاق في التثليث .

٢) وهناك صيغة أجنبية ظهرت في القرن الرابع الميلادي ، وقضى عليها المجمع المسكوني الاول (٣٢٥) والثاني (٣٨١) .

قبل تحديد عقيدة التثليث الصحيح بالاجماع كان المبتدعة يقولون : بأن الكلمة والروح إلهان من دون الله ؛ فقد صدرا منه تعالى قبل الكون صدور خلق ، لا صدور تفاعل ذاتي كياني كما تقول المسيحية الرسمية . فهما ، على قول المبتدعة ، إلهان بالنسبة للخلق ، لكن تابعان لله بالنسبة اليه تعالى . لذلك كانوا يعبّرون عن التثليث المسيحي بمثل هذه الصيغة المنحرفة : ان الله ثالث ثلاثة ، الله ، والكلمة ، والروح ؛ مختصين الله الآب بالألوهية ، والكلمة والروح بالتبعية له كواسطة في الخلق والتقديس . فأثبت المجمع المسكوني الاول (٣٢٥) إلهية الكلمة ، والمجمع الثاني (٣٨١) إلهية الروح القدس ، في وحدة الطبيعة الالهية . تلك هي بدعة الأريوسية التي لعنتها المسيحية .

لكن رواسب البدعة ، بعد سحقها ، تسربت الى الحجاز مأوى جميع الهاربين من دين الدولة .

ولمّا جاء القرآن كفّرها ، كما كفّرتها المسيحية من قبله ، لانها ليست صيغة التثليث المسيحي الصحيح .

٣ ـ مقالة : « ان الله هو المسيح ابن مريم » (المائدة ١٩ و ٧٥) .

لقد أجمع المفسرون على انها مقالة «اليعقوبية[١]». قال الجلالان : «لقد كفروا وقد جعلوه إلهاً : وهم اليعاقبة فرقة من النصارى (المائدة ١٩) . قال الرازي : « وهذا هو قول اليعقوبية . لانهم يقولون : إن مريم ولدت إلهاً . ولعل معنى هذا المذهب انهم يقولون : إن الله تعالى حلّ في ذات عيسى ، واتحد بذات عيسى » .

إن المسيحيين جميعهم يقولون بإلهية المسيح ، لكن من حيث هو « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » ، لا من حيث هو « ابن مريم » .

وخلاف اليعقوبية أنهم لا يميّزون بين الذات (الاقنوم) والطبيعة في المسيح كما يميّز سائر المسيحيين . لذلك قالوا : المسيح ذات واحدة وطبيعة واحدة بعد الاتحاد . فنسبوا اليهم المقالة : « ان الله هو المسيح ابن مريم » . لكن اليعقوبية لا تقول ما قوّلها اياه الرازي : « ان الله تعالى حلّ في ذات عيسى واتحد بذات عيسى » . فليس لعيسى من ذاتين ، بل هو ذات واحدة ، « كلمته ألقاها الى مريم » ؛ فالذي أُلقي الى مريم ذات كلمة الله ، لا ذات الله مطلقاً .

وفسّره البيضاوي : « هم الذين قالوا بالاتحاد منهم . وقيل : لم يصرّح به أحد منهم . ولكن لما زعموا أن فيه لاهوتاً ، وقالوا : (لا إله إلا واحد) ، لزمهم أن يكون هو المسيح . فنسب اليهم لازم قولهم ، توضيحاً لجهلهم وتفضيحاً لمعتقدهم . وتخريج البيضاوي أقرب الى موقف «اليعاقبة» بأنه «نسب اليهم لازم قولهم» . ووفد نجران الى النبي العربي يجادله في دعوته وفي عيسى ، وكانوا من

---

(١) وهي على الأصح مقالة أهل الاحوال الالهية Modalisme . ظهرت ايضاً في القرنين الثاني والثالث م . وهي على صيغتين . الاولى أن الله هو المسيح وُلد وصلب وقام . والثانية ان الله الواحد الاحد ظهر أولا بصفة الآب ، ثم بصفة الابن ، ثم بصفة الروح القدس . ولكن المسيحية نبذت البدعة في صيغتيها منذ ظهورها ، من قبل ظهور ما تسميه المصادر الاسلامية : اليعقوبية .

اليعقوبية ، يؤيد ان تكفير القرآن يعنيهم . وتلك المجادلة هي التي توزعت في سور القرآن ، فكانت سبب تكفيراته .

ونعلم ان مذهب اليعقوبية قد كفّرته المسيحية في المجمع المسكوني الرابع عام ٤٥١ . واليوم أيضاً لا تقوم مقالة بضعة ملايين أمام عقيدة مليار المسيحيين[١].

فالمسيح ، في عقيدة المسيحيين ، إله من حيث هو « كلمته ألقاها الى مريم » . وكلمة الله ليس الله على الاطلاق ، لان الله هو الآب والكلمة والروح في وحدة الطبيعة الالهية . فتكفير القرآن لا يطال المسيحية مطلقاً .

وما يكفره القرآن بتلك المقالة قد كفرته المسيحية من قبله .

٤ ـ مقالة : « **اتخذوني وأمي إلهين من دون الله** » (المائدة ١١٩) .

١) هذه المقالة تعني تأليه المسيح وتأليه أمه .

إن **تأليه المسيح** لم يقل به أحد من المسيحيين على الاطلاق[٢] ، ولا تأليه في المسيحية ، لان تأليه مخلوق مع الله شرك وكفر .

والمسيحية في كل فرقها تقول بإلهية المسيح من حيث هو « كلمته ألقاها

---

(١) نعلن مرة اخرى ان خلاف اليعقوبية مع المسيحية كلها كان شكلياً ، لفظياً ، أكثر منه موضوعياً ، بعد ان تحدّدت التعابير واتضح معناها . ولكن إن أصرّ بعضهم حتى اليوم على أنه موضوعي فتلك مصيبة المسيحية والاسلام بهم .

(٢) الاتخاذ adoptianisme مقالة ظهرت في القرنين الثاني والثالث بتأثير الابيونية « النصرانية » : المسيح بشر محض ، لكن اتخاذ الله له كابن على العالمين أعطاه صفة الالهوية فصار الهاً مع الله . لكن أصحاب هذه المقالة نبذتهم المسيحية على أيامهم .

الى مريم »، لا من حيث هو « ابن مريم ». ومن حيث هو « كلمته ألقاها الى مريم » فهو معاً ابن مريم، وابن الله اي كلمته الذاتية؛ في وحـــدة الذات وثنائية الطبيعة؛ كما يؤمن جميع المسيحيين. ولا عبرة بالقلائل من رواسب الماضي، او طلائع الالحاد.

فليس في المسيحية من اتخاذ المسيح إلهاً من دون الله. انما هي حكاية مقالة لبعض جهّال النصارى حكاها القرآن عنهم.

وتأليه مريم لم يقل به ايضاً أحد من المسيحيين على الاطلاق. ولا ذكر أبداً لمريم في التثليث المسيحي.

لكن ابيفان، من فلسطين في القرن الرابع، في كتابه (الشامـــل في الهرطقات) يذكر بدعة عربية، يسميها بدعة « الكليريين » — من « كُلَيرس »: قرص خبز من طحين الشعير — كانت تتعاطاها بعض نساء العرب النصارى، فيقدمن من تلك الاقراص قرابين عبادة لأم المسيح، على مثال ما كان يلته نساء العرب الجاهليات للالهة اللات. وتقديم تلك القرابين الكلّيرية لأم المسيح، مع تقديم القرابين المسيحية لله، جعل تلك البيئـــة البدائية تظنّ بعبادة مريم والمسيح إلهين مع الله، كأن هذا هو التثليث المسيحي. ولكن تلك العبادة العربية الشركية لمريم أم المسيح لم تنتشر في الاقطار المسيحية، بل ظلت محصورة لدى بعض نساء النصارى العرب.

وقد يكون لقب «**أم الله**» المجازي الذي أطلقه المجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١ على « **أم المسيح** » تكريماً لها — لا تأليهاً، ولا عبادة، ولا تربيباً لها — انما على اعتبار المولود منها « كلمة الله ألقاها الى مريم ». فظن نصارى العرب البدائيون المجاز حقيقة، وشُبّه لهم أن « أم الله » إلهة مع الله والمسيح؛ فبدّلوا التثليث المسيحي، بهـــذا التثليث المشبوه. لكنه لم يتخطّ الجزيرة الى ديار المسيحية.

٢) لكنه كان للنصارى من بني اسرائيل – الذين يسمونهم **« الفرقة الاسرائيلية »** بين أهل الانجيل – مقالتان كلاميتان في تفسير التثليث الانجيلي. **الاولى** تقول بأن الكلمة والروح القدس عند الله هما ملاكان من الملائكة المقرّبين؛ ويسمون الابن ملاك كلمة الله، وهو ميكال؛ والروح القدس ملاك الروح القدس، وهو جبريل. وقد تبنّى القرآن هذه المقالة؛ وبها جادل وفد نجران المسيحي. **والثانية**، على قول بعضهم المنحرفين، تقول بأن « الروح » أنثى وهي تبنّت المسيح في مولده او في عماده – على قولين – فكان ابن الله على المجاز؛ فيكون **روح القدس بمنزلة أم المسيح**. فصار التثليث الانجيلي عندهم: الله والمسيح وأمه (روح القدس). هذه عقيدة الفرقة الاسرائيلية المنحرفة.

ولمّا جاء القرآن كفّر تلك المقالة « اتخذوني وأمي إلهين من دون الله »، كما تكفرها المسيحية من قبله ومن بعده.

تلك هي المقالات الاربع في التثليث المشبوه المحسوب على المسيحية؛ وهي منه براء. انها بدع أربع خارجة على التثليث المسيحي الصحيح.

والنتيجة الحاسمة الاولى ان التثليث الذي يكفّره القرآن، ليس بالتثليث الصحيح الذي تقول به المسيحية في جميع فرقها، قبل القرآن وبعده.

والنتيجة الحاسمة الثانية ان اطلاق مفسري القرآن تكفيراته الاربع في « الثلاثة »، على التثليث المسيحي الصحيح، انما هو زور وبهتان. ودستور الايمان الذي يردّده المسيحيون منذ القديم في كنائسهم شهادة لهم، انما هو خير شاهد على ذينك الجهل والظلم.

فالمسيحية قد كفرت قبل القرآن مقالاته في « الثلاثة ».

رابعاً : التثليث الصحيح ما بين الانجيل والقرآن

١ ـ التثليث المسيحي الصحيح

نجده **أولاً** في البسملة المسيحية :

« باسم الآب والابن والروح القدس ، الاله الواحد ، آمين »

ونلاحظ في هذه البسملة ان التوحيد يفتتحها بالقول « باسم » على المفرد ، ويختتمها بالتصريح « الاله الواحد » فالآب والابن والروح القدس هو الاله الواحد . فالتثليث هو في كيان الله نفسه ، لا من خارجه . والتوكيد الاول والاخير هو على التوحيد ، فيكون التثليث فيه تفسيراً منزلاً لحياة الله ، الحيّ القيّوم ، في ذاته .

ونجده **ثانياً** في الشهادة المسيحية ، التي يرددها المسيحيون أجمعون من قبل القرآن والاسلام بمئات السنين ، ويستظهرها طلاب المدارس منذ الحضانة في الدنيا كلها . **والشهادة المسيحية** تسمى ايضاً **قانون الايمان** . وهما :

« أومن **بالله الواحد** ، الآب الضابط الكل ، خالق السماء والارض وكل ما يُرى وما لا يُرى .

وبالرب الواحد ، يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، المولود من الآب قبل كل الدهور ، النور من النور ، الاله الحقيقي من الاله الحقيقي ، مولود غير مخلوق ، في جوهر واحد مع الآب . وهو الذي به كان كل شيء ، الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء ، وتأنس . وصلب لأجلنا على عهد بنطيوس بيلاطس ، وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب . وارتفع الى السماء وجلس عن يمين الآب . وسيأتي بالمجد ليدين الاحياء والاموات ، ولا نهاية لملكه .

وبالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الآب، (بالابن)، **الذي هو مع** الآب والابن معبود وممجود، الناطق بالانبياء.

وأشهد بمعمودية واحدة لغفران الخطايا.

وأرجو قيامة الموتى، والحياة في الدهر الآتي. آمين ».

فالشهادة المسيحية في دستور ايمانها تقول أولاً بالتوحيد: «أومن بالله الواحد»! وهي شهادة التوراة للتوحيد: «يهوه أحد» اي الله الواحد.

ثم تفصّل سر الله في ذاته بأنه الآب، والابن، والروح القدس (والصفة تمييز له عن الارواح المخلوقة). فما التثليث في ذات الله سوى **تفسير منزل في الانجيل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية**. فالله في ذاته أبوّة وبنوة وروح حياة. ونعرف ان هذه البنوة فيه هي روحية نطقية، فالابن هو «كلمة الله». فالله الآب، والكلمة، والروح، جوهر واحد هو الله تعالى، لا إله إلا هو.

وكشْف الانجيل عن سر الله في ذاته هو فضله على كل كتاب منزل.

إن التوحيد العقلي، والتوحيد المنزل، يوحدان الله في إلهيته، بتجريده عن خلقه، وتنزيهه عن المخلوق. أما ما هو في ذاته الواحدة الصمدانية؟ يُجمع علماء الكلام في الاسلام على ان «البحث في ذات الله اشراك»! فذات الله غيب محجوب عن المخلوق، ومحاولة البحث فيه من الشرك. وهم في ذلك انما يناقدون الى نصيحة القرآن: «ويسألونك عن الروح؟ — قلْ: الروح من أمر ربي؛ **وما أوتيتم من العلم الا قليلاً**» (الاسراء ٨٥). «والروح» هنا هو عالم الله، فوق المخلوق؛ ومعرفته «من امر وحيه» (البيضاوي)؛ والعلم به تنزيل، لا استدلال وتدليل. ومن هذا العلم المنزل، «ما أوتيتم إلا قليلاً». وقد يكون «الروح» هنا ذات في الله، من «أمر ربي» أي «من علم ربي» (الجلالان)، لم يُؤتَ القرآن من علمه إلا القليل. وبقي «علمه» عندَ «أولي العلم»، الذين عندهم «علم الكتاب».

فالسؤال عن «الروح» المطلق، وعن ذات الله، وعن «العلم» بحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية، جوابه في التنزيل الانجيلي.

واختصرت الشهادة المسيحية، في دستور ايمانها، كشف الانجيل عن سر الله في ذاته: فهو الله، والابن الكلمة، والروح.

ووصفت الشهادة كيفية صدور الابن الكلمة عن الله الآب، فإذا به صدور «النور عن النور»؛ فهو «مولود غير مخلوق»، «له وللآب جوهر واحد».

ثم تصف كيفية دخوله في خلقه، ونزول كلمة الله الى البشر: فقد «تجسّد بالروح القدس من مريم العذراء، وتأنس». فكان يسوع المسيح، عيسى ابن مريم. فليس في تجسّد كلمة الله من مريم تأليه مخلوق، ولا تأنيس الاله. إنما هو «كلمته وروح منه» ببشرية تأنس فيها، من مريم، فصار كلمة الله ذاتـــه ابن مريم. فشخصية «الكلمة» لم يطرأ عليها شيء، في ذاتيتها وفي إلهيتها، عند التأنس. فليس في تجسد كلمة الله في عيسى ابن مريم من شبهة على إلهيته: مَن قرن روح الانسان بجسد، قرن كلمته، نطقه الذاتي، بجسد في مريم.

هذا ما أوجزه الانجيل بحسب يوحنا في فاتحته: «في البدء (منذ الأزل) كان الكلمة، والكلمة كان في الله، والله كان الكلمة، فهو منذ الازل في الله... والكلمة صار بشراً، وسكن في ما بيننا».

ففي البشرية التي تأنس فيها، أضاف كلمة الله الى حال الله فيه، حال بشر، وعاش كبشر، «يأكل الطعام»، «ويمشي في الاسواق»، «فصار في كل شيء شبيهاً بنا، ما خلا الخطيئة».

وهذه البشرية الشبيهة بنا، كما طرأ عليها الولادة، يصح أن يطرأ عليها الموت، دون مساس بإلهية الكلمة فيها: فاستشهد كبشر على الصليب، فمات وقام وارتفع حيًّا الى السماء، وجلس على عرش الجلالة عن يمين الله، بما أنه في

ذاته كلمته ، بحسب المجد الذي لكلمة الله ، في ذات الله ، قبل الخلق ، وقبل التجسد ، وقبل الاستشهاد والرفع الى الله .

وكما انه ليس من غضاضة على إلهية الكلمة في التجسد ، كذلك ليس من غضاضة على إلهية الكلمة المتجسد أن يستشهد . اذا كان **استشهاد الانبياء سُنّة الله في أنبيائه** شهادةً منه تعالى لهم — وشهادة الدم أفضل الشهادات — فكم بالحري استشهاد كلمة الله المتأنس له أهداف تفوق أهداف كل نبوءة ورسالة ، وقد كشف هو نفسه لنا عنها في انجيله . إن أفضل عبادة لله هي الضحية ، وذلك في كل دين . فكان استشهاد المسيح الضحية الكبرى لله ، العبادة العظمى ، والحب الاسمى ؛ ثم الضحية الكبرى عن المخلوق ، قرباناً شخصياً للجلال الالهي .

فسرّ رسالة المسيح ، كلمة الله وابن مريم معاً ، الكشف عن سرّ الله في ذاته ، وتكوين صلة ذاتية بين الله والانسان في شخص المسيح نفسه ، وتقديم العبادة والمحبة لله ، في أسمى شعائرهما ، الضحية والاستشهاد ؛ لرفع الانسان الى مكانة تليق بالخالق والمخلوق معاً . لذلك استنتج أحد العلماء هذا القول : « تأنس كلمة الله ليؤله الانسان » في كامل التجريد والتنزيه .

اذا كان ذلك كله ما أراده الله في « علمه » ، فليس في تجسد الكلمة ، واستشهاد المسيح ، الا ما يأتلف مع النقل ومع العقل ، وما ينسجم في الانجيل مع التوراة والقرآن .

فالتثليث المسيحي هو : **الله وكلمته وروحه** ، في وحدة الكيان الالهي . انه تثليث في التوحيد الخالص ، يكشف عن سر الله في ذاته ، وعن حياة الحي القيوم في صمدانيته .

وتأنس كلمة الله في المسيح ، ابن مريم ؛ ثم استشهاد المسيح في بشريته ،

للضحية لله ، والفداء للانسان ، هما أفضل كشف عن الله وعن الانسان في كل وحي ونبوءة ورسالة .

هذا هو « العلم » الكامل الذي نزل في الانجيل . وما وصل منه الى القرآن الا « القليل » بشهادته القاطعة : « وما أوتيتم من العلم الا قليلاً » .

ولكن هذا « القليل » من « العلم » بسر « الروح » في الله تعالى ، هو فخر القرآن في تصديق الانجيل .

٢ – والسؤال الآن : هل من آثار لهذا التثليث في القرآن ؟

ان التثليث المسيحي الصحيح هو : الله والكلمة والروح .

وهذه هي الاركان الثلاثة القائمة في القرآن : الله والكلمة والروح .

والخلاف ، كل الخلاف ، في تأويلها . وعند الخلاف أمر القرآن صريح ، للنبي العربي : « فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » (يونس ٩٤) ؛ ولأهل القرآن : « فاسألوا أهل الذكر ، ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣ – ٤٤) . وفي كلا الامرين ، « قل : كفى بالله شهيداً ومن عنده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) .

لقد رأينا ان القرآن يكفّر تثليثاً منحرفاً في قولهم « بالثلاثة » . لكن القرآن يحفظ وينقل عناصر **التثليث المسيحي الصحيح** : الله والكلمة والروح . ومشكل القرآن أنه لا يفصح عنها بما يزيل الغموض ؛ ولمّا سألوه « عن الروح – قل : الروح من أمر ربي ؛ وما أوتيتم من العلم الا قليلاً » (الاسراء ٨٥) ؛ حتى قال بعضهم : مضى محمد ولما يدرِ ما الروح .

والشبهة الأولى في وصف الكلمة بالروح : « كلمته وروح منه » .

والشبهة الثانية في وصف جبريل بأنه «روح القدس» (النحل ١٠٢) ، ومشكلة هذا التعبير مع تعبير الانجيل «الروح» ، «الروح القدس» — والقدس في الكتاب والقرآن صفة التنزيه ، كناية عن الله — وهذا ما يحمل بعضهم على فهم الكلمة والروح بأنهما مخلوقين لله . وكلمة الله في ذاته ، وروح الله في ذاته ، لا يمكن ان يكونا مخلوقين ؛ انما هما من ذات الله ، في ذات الله ، لذات الله .

والقرآن في قوله **بالكلمة والروح مع الله** قد نقل عناصر التثليث الصحيح في الله الواحد الاحد ، وصدّق الانجيـــل في تثليثه ، لو يعلمون . لذلك نتحدّى أيّاً كان أن يرينا في القرآن تكذيباً او تكفيراً لهذا التثليث المسيحي الصحيح . وتخبط المفسرين في تفسير « الكلمة » و « الروح » دليل على الواقع القرآني الذي لا مهرب منه

١) فمن هو « كلمة الله » في عرف القرآن ؟

ان القرآن يمتاز بتعريف المسيح أنه « كلمة من الله » (آل عمران ٣٩) ، « كلمة منه » (آل عمران ٤٥) ، « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠). ومحمد نفسه، مثل يحيي ومريم، « يؤمن بالله وكلمته » (الاعراف ١٥٧)[1].

وكلمة الله هو ايضاً « ابن مريم » . تلك هي **الازدواجية** القائمة في القرآن على شخصية المسيح . ولا سبيل الى انكارها .

أجل ان عيسى ، بصفة كونه ابن مريم ، **هو عبد لا رب** .

(١) قراءة « كلمته » أصح من « كلماته » ، لانسجامها مع السياق في الكلام .

ولكن في عيسى ابن مريم ، «كلمته ألقاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠). وهذان اللقبان يفسر بعضهما بعضاً: فكلمة الله ليس مثل قوله «وكلمة الله هي العليا» (٩ : ٤١)؛ أو قوله «وتمت كلمة ربك» (٦ : ١١٥؛ ٧ : ١٣٦؛ ١١ : ١١٩)؛ او قوله «حقت كلمة ربك» (١٠ : ٣٣ و ٩٦؛ ٤٠ : ٦) — فهذه كلمة من «كلمات ربي» (١٨ : ١١٠)، كلمة من «كلمات الله» (٣١ : ٢٧؛ ٦ : ٣٤؛ ٤٠ : ٦٤). فهنا «كلمة الله» في الوحي والتنزيل، أو القضاء والقدر؛ وفي التعريف «كلمته وروح منه» نرى «كلمة الله» الذاتية، في ذاته، لأنه «روح منه» اي «صدر منه» (البيضاوي).

وبما أن «كلمة الله» في هذا التعريف هو «روح منه»، وهذا الروح منه هو «كلمته»، فليس هو كلاماً من الله، وأمراً منه بتكوين عيسى المعجز من مريم؛ بل هو «روح منه» تعالى، صادر من ذاته، في ذاته؛ واسمه «كلمة الله» للدلالة على انه صدور ذاتي نطقي. فهو «روح منه» بصفة كونه نطقه الذاتي.

ويشهدون للحق الذي في القرآن عندما يفسرون «مصدقاً بكلمة من الله» (آل عمران ٣٩) أي «بعيسى انه روح الله» (الجلالان)؛ «سمّي (كلمة الله) كأنه **صار عين كلمة الله** ... واعلم ان (كلمة الله) هي كلامه، وكلامه على قول أهل السنّة: **صفة قديمة قائمة بذاته**» (الرازي).

وقول أهل السنّة هـــذا هو قول المسيحية كلها في تفسير اسم المسيح وشخصيته السامية: انه «كلمة الله»، فهو «صفة قديمة قائمة بذاته».

فهذا التعريف بأن كلمة الله في المسيح «صفة قديمة قائمة بذات الله» هو قول الحق في القرآن والانجيل معاً.

وكلمة الله، القائم في ذات الله «روحاً منه» قد ألقاه الى مريم في عيسى ابن مريم. فعيسى ابن مريم هو «كلمته وروح منه». تلك هي الثنائية القائمة، بحسب

القرآن نفسه ، في شخصية المسيح . ولا سبيل الى التهرّب من هذه الازدواجية القرآنية في المسيح .

فالمسيح ، بصفة كونه ابن مريم **هو عبد ، لا رب** .

لكن المسيح ، بصفة كونه « كلمته وروح منه » **هو رب لا عبد** ، لانه « صفة قديمة قائمة بذات الله » قبل القائه الى مريم ، وبعده ؛ من الازل والى الابد .

تلك هي الازدواجية القائمة والكامنة في النصوص القرآنية ، في شخصية المسيح ، كلمة الله وابن مريم معاً . والمشكل يتخطى النص الى ضمير النبي العربي كما نرى ذلك في سورة الزخرف . نرى فيها التصريح بأن ابن مريم **عبد لا رب** : « ولما ضُرب ابن مريم مثلاً ، إذا قومك منه يصدّون ... إن هو إلاّ عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلاً لبني اسرائيل » (٥٧ — ٥٩) . مع ذلك فالانكار ليس مطلقاً : « **قل : ان كان للرحمان ولد ، فأنا اول العابدين** » (٨١) .

وهذه الثنائية في شخصية المسيح تظهر في هذا التعريف الخطير : « انما المسيح : ١) عيسى ابن مريم رسول الله . ٢) وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧١) أي « ذو روح صدر منه » (البيضاوي) — وروح يصدر من الله ليس بمخلوق ، اذ الروح المخلوق لا « يصدر منه » تعالى ، بل يخلق خلقاً .

فالمسيح ذات واحدة في شخصية ثنائية : انـــه عيسى ابن مريم ؛ ولكنه في ذاته « كلمته ألقاها الى مريم وروح منه » ، أي كلمة الله الذاتية الروحية النطقية .

هذا هو « الكلمة » ، « كلمة الله » في عرف القرآن نفسه .

واذا كانوا يقولون في القرآن ، كلام الله المنزل ، بأنه قديم في ذات الله — وهو يتضمن دعوة النبي العربي وجهـــاده وغزواته وخصوصياته — فكم

بالاحرى يجب التسليم بأن المسيح في ذاته هو كلمة الله، «صفة قديمة قائمة بذاته»، قبل أن يُلقى الى مريم.

فكلمة الله، في عيسى ابن مريم، هو فوق البشر، وفوق المخلوق: إنه «كلمته ألقاها الى مريم وروح منه». فالقرآن يصدّق الانجيل.

فمن الاخلاص للقرآن في تفسيره، الاقرار بتلك الازدواجية في تعريفه بالمسيح، التي يتضح منها الثنائية في شخصية المسيح، بحسب القرآن نفسه. وتلك الازدواجية القائمة فيه، لا ريب فيها، هي التي تفسّر معطيات القرآن كلها تفسيراً كاملًا صحيحاً؛ وهي التي تظهر سر المسيح الكامل في القرآن والانجيل.

٢) ومن هو «الروح القدس»، بحسب القرآن؟

ان تعبير «روح القدس» متشابه في القرآن.

فقد يعني الملاك جبريل كما في قوله: «قلْ: نزّله روح القدس من ربك بالحق» (النحل ١٠٢)، «قلْ: من كان عدوّاً لجبريل — فإنه نزّله على قلبك بالحق» (البقرة ٩٧). هذا بالنسبة للنبي العربي والقرآن.

وقد يعني «روح القدس» الذي أيّد المسيح في شخصيته، او في دعوته ومعجزاته: «وآتينا عيسى ابن مريم البيّنات، وأيّدناه بروح القدس» (البقرة ٨٧ و ٢٥٣؛ المائدة ١١٩). رأى فيه الجلالان: «الروح المقدسة، جبريل، لطهارته، يسير معه حيث سار» (البقرة ٨٨ و ٢٥٣). وغيرهما يرون فيه، ليس فقط الروح المؤيد له في دعوته ومعجزاته، بل الروح المؤيد له في شخصيته،

ولم يكن مستقلًّا عن ذاته: «روح عيسى، ووصفهـــا به لطهارته من مسّ الشيطان، او لكرامته على الله تعالى أو لأنه لم تضمه الأصلاب ولا الارحام الطوامس. او الانجيل (؟). او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى» (البيضاوي على البقرة ٨٧). ونقل الزمخشري عن ابن عباس، ترجمان القرآن: «ان روح القدس هو الاسم الذي كان يُحيي به عيسى عليـــه السلام الموتى. لا يفارقه ساعة». فروح القدس الذي أيّد به الله المسيح هو «الاسم الاعظم». والاسم دليل الذات؛ والفعل برهان الذات: فإحياء الموتى، والمقدرة عـــلى الخلق، هما خصائص الذات الالهية والاسم الاعظم. فروح القدس المحيي إمّا هو روح عيسى، وإما هو «الاسم الاعظم» ذات في الله غير الله والمسيح، كلمة الله؛ فهو «مما استأثر بعلمه» (البيضاوي).

وتلك المعاني المتعارضة في ذاتية «روح القدس» كانت مشكلًا في ضمير النبي العربي، قبل السامعين: «ويسألونك عن الروح؟ – قلْ: الروح من أمر ربي؛ وما أوتيتم من العلم إلّا قليلًا» (الاسراء ٨٥). قال البيضاوي: «من أمر ربي معناه من وحي ربي». أي العلم القليل الذي أعلمه ان «الروح» من وحي الله. «فالروح» على الاطلاق ذات في الله، يتمتع معه بالاسم الاعظم. تلك هي الكلمـــة الاخيرة في القرآن عن «روح القدس»، «الروح» على الاطلاق: فلا هو جبريل، ولا هو القرآن، إنه «أعظم من الملاك» (البيضاوي).

فروح القدس، «الروح» على الاطلاق هو روح من الله، في الله، يتمتع معه بالاسم الاعظم. هذا هو تلقين الانجيل أيضاً.

وتأييد الله للمسيح به، «لا يفارقه ساعة»، «يسير معه حيث سار» دليل على صلة خاصة ذاتية بين روح القدس والله، وبين روح القدس والمسيح، كلمة الله. تلك هي صورة التثليث المسيحي تتجلى لنا من تعابير القرآن نفسها: الله والكلمة والروح.

وهكذا تتضح لنا، بتلقين القرآن والتفسير الصحيح له، شخصية كلمة الله في ذات الله؛ وشخصية الروح القدس، الروح على الاطلاق، الاسم الاعظم، في ذات الله.

فالله وكلمته وروحه، كما ورد في القرآن نفسه، هو الثالوث الاقدس، في الله الواحد الأحد، الذي نزل به الانجيل.

فالقرآن إذن، مع تكفيره لتثليث منحرف، بتعابيره الاربعة في «الثلاثة»، يشير الى تثليث صحيح، الله والكلمة والروح، كما نزل في الانجيل وكما تقول به المسيحية.

هذا هو التثليث الصحيح، ما بين الانجيل والقرآن.

فلا ننسَ أمره للنبي العربي: «فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك» (يونس ٩٤)؛ وللمسلمين: «فاسألوا أهل الذكر، ان كنتم لا تعلمون بالبيّنات والزبر» (النحل ٤٣ — ٤٤)، فإن عندهم «علم الكتاب» (الرعد ٤٥)، وأنتم «ما أوتيتم من العلم إلّا قليلًا» (الاسراء ٨٥).

***

خامساً: موقف المفسرين والمتكلمين من التثليث الصحيح

ذاك هو التثليث الصحيح، في التوحيد الخالص.

والمفسّرون يقرّون بذلك على مضض. وتراهم في حيرة من أمرهم إذا ما قابلوا التثليث الصحيح الذي يشير اليه القرآن في تعابيره المطلقة: الله والكلمة والروح، بالتثليث المنحرف الذي يكفره القرآن بصيغة «الثلاثة».

وتجاه تكفير القرآن للقول «بالثلاثة» يُحمَلون على ظاهره، ويَحملون على التثليث الصحيح، باسم التوحيد، والقرآن. والتوحيد والقرآن براء من حملاتهم.

وهذه هي تعليقاتهم على قوله: «ولا تقولوا: ثلاثة» (النساء ١٧٠).

١ — **تفسير الزمخشري**: «يقولون: هو جوهر واحد، ثلاثة أقانيم».

«ان صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون: هو جوهر واحد، ثلاثة أقانيم: أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس؛ وانهم يريدون بأقنوم الآب: الذات؛ وبأقنوم الابن: العلم؛ وبأقنوم روح القدس: الحياة — فتقديره (الله ثلاثة). وإلّا فتقديره (الآلهة ثلاثة). والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة؛ وان المسيح ولدُ الله من مريم. ألا ترى الى قوله: (أأنت قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين من دون الله)! وحكاية الله أوثق من حكاية غيره».

أجل «حكاية الله أوثق من حكاية غيره». لكن القرآن حكى في تلك الآية لتفسير «الثلاثة» مقالة بعض النصارى من جهال العرب في تثليثهم الكافر الذي كفرته المسيحية قبل القرآن. فجاء الزمخشري وجعل من ذاك التثليث المنحرف تثليث المسيحية ظلماً وعدواناً؛ مع انه ينقـــل التثليث المسيحي الصحيح بتعبيره الصريح: «الله ثلاثة: جوهر واحد، ثلاثة أقانيم». ولِمَ يشك في صحة مقالتهم التي يوردها عنهم، وينسب اليهم مقالة كافرة هم منها براء؟ انه يفتري على القرآن وعلى المسيحية اذ يقول: «وحكاية الله أوثق من حكاية غيره».

٢) **تفسير البيضاوي**: «الله ثلاثة أقانيم: الآب والابن وروح القدس».

«ولا تقولوا: ثلاثة! أي الآلهة ثلاثة: الله والمسيح وأمه. ويشهد عليـــه

قوله: (أأنت قلت للناس: اتخذوني وأمي الهين من دون الله) — أو (الله ثلاثة)، أن صح أنهم يقولون: الله ثلاثة أقانيم، الآب والابن وروح القدس؛ ويريدون بالآب الذات، وبالابن العلم، وبروح القدس الحياة».

والمسيحيون يسألون البيضاوي وأمثاله: لِمَ هذا الشك من مقالتهم التي بها يجهرون؟ ولِمَ الافتراء عليهم بنسبة مقالة كافرة من بعض جهال الجاهلية، الى المسيحية جمعاء، وهي منها براء؟

فالبيضاوي ينقل ايضاً صيغة التثليث الصحيح، ولا يكفرها. بل يكذب عليها مثل غيره، اعتماداً على ظاهر القرآن في ما لا يعني المسيحية بشيء.

٣) **تفسير الرازي**: «صفات ثلاث — فهذا لا يمكن انكاره».

الرازي مفسّر متكلّم. وهو يتعرّض لصيغة التثليث المسيحي ويطبق عليها تكفير القرآن «للثلاثة»، لتفسير منه خاطئ:

«قوله (ثلاثة) خبر مبتدإ محذوف. ثم اختلفوا في تعيين ذلك المبتدإ على وجوه:

«**الاول**: ما ذكرناه، أي ولا تقولوا (الأقانيم ثلاثة). المعنى لا تقولوا: إن الله سبحانه واحد بالجوهر، ثلاثة بالأقانيم. واعلم ان مذهب النصارى **مجهول جداً**، والذي يتحصل منه أنهم أثبتوا **ذاتاً موصوفة بصفات ثلاث**. إلاَّ أنهم سموها صفات، وهي في الحقيقة ذوات قائمة بأنفسها. فلهذا المعنى قال: (ولو تقولوا: ثلاثة. انتهوا): فأما ان حملنا (الثلاثة) على انهم يثبتون **صفات ثلاث فهذا لا يمكن انكاره**. وكيف لا نقول ذلك، ونحن نقول: (هو الله الملك القدوس السلام العالم الحي القادر المريد). ونفهم من كل واحد من هذه الالفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر. ولا معنى لتعدد الصفات الاَّ ذلك.

فلو كان القول بتعدد الصفات كفر، لزم ردّ جميع القرآن، ولزم ردّ العقل، من حيث نعلم بالضرورة ان المفهوم من كونه تعالى عالماً، غير المفهوم من كونه حياً.

« الثاني : الهتنا ثلاثة »، كما قال الزجاج مستشهداً بآية المائدة (١١٩).

« الثالث : قال الفرّاء : (هم ثلاثة) كقوله (سيقولون : ثلاثة). وذلك لأن ذكر عيسى ومريم مع الله بهذه العبارة يوهم كونهما إلهين ».

ونحن لا يعنينا التفسير اللغوي للمبتدإ المحذوف. انما يهمنا تفسير الرازي لمقالة المسيحيين في التثليت. فهو يرد « الأقانيم الثلاثة » لأنها « في الحقيقة ذوات قائمة بأنفسها ». وهذا هو غلطه في فهم العقيـــدة المسيحية : فليست الأقانيم الثلاثة في الله « ذوات قائمة بأنفسها »؛ انما **ذوات قائمة في جوهر الله الفرد**.

والتثليث المسيحي هو كما وصفه الرازي : « انهم أثبتـــوا **ذاتاً موصوفة** بصفات ثلاث ». والمسيحيون يسمّون هذه الصفات الالهية الثلاث : الأبوة والبنوة والروحانية في الله، « أقانيم »، لتمييزها عن سائر صفات الله. فتلك الأقانيم الثلاثة هي **صلات ذاتية كيانية** ـ لا محض صفاتية ـ وهي قائمـــة في الجوهر الالهي الفرد. لذلك نرد على الرازي قوله : « فأما ان حملنا الثلاثة ـ ويجب ان نحملها ـ على انهم يثبتون صفات ثلاث، فهذا لا يمكن انكاره ... فلو كان القول بتعدد الصفات كفر، لزم رد جميع القرآن، ولزم رد العقل ».

فالمسيحيون يثبتـــون في الله ذاتاً **موصوفة بصلات ذاتية كيانية ثلاث**، يسمّونها الآب والكلمة والروح. هذا هو التثليث المسيحي الصحيح الذي لمحه الرازي وابتعد عنه لعقدة في نفسه.

وهذا ما يثبته المسيحيون من صلات ذاتية، أو صفات كيانية، في الله تعالى: فمن أنكرها لزمه ردّ القرآن، ولزمه رد العقل؛ لأن هذا التثليث الصحيح من صميم التوحيد.

٤) تفسير الغزالي : وهو ينصف المسيحية في عقيدتها التثليثية .

قال حجة الاسلام[١] في تحليل التثليث المسيحي : « يعتقدون ان ذات الباري واحدة . ولها اعتبارات :

١ — « فإن اعتبرت مقيدة بصفة لا يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها كالوجود ، فذلك المسمى عندهم بأقنوم الآب . وان اعتبرت موصوفة بصفة يتوقف وجودها على تقدم وجود صفة قبلها ، كالعلم — فإن الذات يتوقف اتصافها بالعلم على اتصافها بالوجود — فذلك المسمى عنــدهم بأقنوم الابن او الكلمة . وان اعتبرت بقيد كون ذاتها معقولة لها ، فذلك المسمى عندهم بأقنوم روح القدس .

« فيقوم اذن من الآب معنى **الوجود** ، ومن الكلمة او الابن معنى **العلم** ، ومن روح القدس كون ذات الباري **معقولة له** . هذا حاصل هــذا الاصطلاح فتكون ذات الاله واحدة في الموضوع ، موصوفة بكل أقنوم من هذه الأقانيم .

٢ — « ومنهم من يقول : ان الذات ، إن اعتبرت من حيث هي ذات ، لا باعتبار صفة البتة ، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن **العقل المجرد** ؛ وهو المسمى عندهم بأقنوم الآب . وان اعتبرت من حيث هي عاقلة لذاتها ، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى **العاقل** ، وهو المسمى بأقنوم الابن او الكلمة . وان اعتبرت بقيد كون ذاتها معقوله لها ، فهذا الاعتبار عندهم عبارة عن معنى **المعقول** ، وهو المسمى بأقنوم روح القدس .

« فعلى هــذا الاصطلاح يكون **العقل** عبارة عن ذات الله فقط ، والآب مرادفاً له ؛ **والعاقل** عبارة عن ذاته بقيد كونها عاقلة لذاتها ، والابن والكلمة

---

(١) الغزالي : الرد الجميل ص ٤٣ .

مرادف له ؛ **والمعقول** عن الاله عبـــارة عن الاله الذي ذاته معقولة له ، وروح القدس مرادف له .

« هذا اعتقادهم في الأقانيم : **واذا صحت المعاني فلا مشاحة في الالفاظ ، ولا في اصطلاح المتكلمين »** .

فالغزالي يشهد للمسيحيين بالتوحيد . ويشهد لهم بصحة اصطلاحهم في تفسير التثليث في التوحيد، بناء على الاعتبارين اللذين ساقهما عنهم : الاول على اعتبار الأقانيم في الله **صفات ذاتية** ، في الذات الالهية الواحدة ؛ والثاني عـــلى اعتبار الأقانيم في الله **أفعالاً** ذاتية في الذات الالهية الواحدة .

والقول الصحيح الذي يجمع الافعـــال الذاتية والصفات الذاتية ، في الله الواحد الاحد ، كونهـــا **صلات كيانية** بين الله الآب وكلمته وروحه ، في الجوهر الالهي الفرد .

وقد أنصف الغزالي التثليث المسيحي في هذا الحكم : « اذا صحت المعاني فلا مشاحة في الالفاظ ، ولا في اصطلاح المتكلمين » . والمعاني قد صحت، بحسب التنزيل الانجيلي ، والكلام المسيحي الذي يفصّله .

القول الفصل ، في مطابقة الاشعرية للمسيحية .

الأشعرية هي مذهب أهل السنّة والجماعة في الاسلام . ومقالتها في مشكل الذات والصفات في الله ، هي **أصح تعبير لحقيقة الأقانيم الثلاثة في الله** .

كانت الصفاتية تقول : « صفات الله هي **غير** ذاته » ، ممَّا يقود الى القول بقديمين . فجاءت المعتزلة تقول : « صفات الله هي **عين** ذاتـــه » ، ممَّا يقود الى

التعطيل في الله . وقامت الاشعرية تقول بمنزلة بين المنزلتين : « الصفات في الله ليست هي عين الذات ، ولا هي غيرها ؛ انما هي في منزلة بين المنزلتين » . وكيف يكون ذلك ؟ هذا سر الله في ذاته .

والتعبير الأشعري ، وهو قول الاسلام في الذات والصفات ، أصح تعبير للتثليث المسيحي : إن الأقانيم الثلاثة في الله الواحد الاحد، صفات ذاتية ، بل صلات كيانية ، « **ليست هي عين الذات ، ولا هي غيرها** ؛ انما هي في منزلة بين المنزلتين » .

واذا قيل : كيف يكون ذلك ؟ أجيب بما قاله الامام مالك في « الله على العرش استوى » . قال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والسؤال عنه بدعة » .

فإذا كان السؤال عن تعبير قرآني مجازي بدعة ، فكم بالحري السؤال عن صلات الله الأقنومية في ذاته ؟ لذلك يكفر من يحوّل الكلام في الذات والأقانيم الى عملية حسابية ، فيقول : **كيف يكون الواحد ثلاثة** ؟ كلّا ليس الواحد ثلاثة ، على اعتبار واحد ، وعلى صعيد واحد ، انما الله واحد في ذاته مثلث في صفاته، أو صلاته الذاتية أي أقانيمه الثلاثة. وليس في هذا ما يتعارض مع النقل الكريم ، ولا مع العقل السليم .

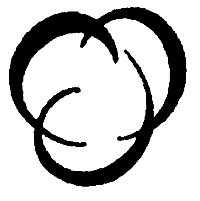
هذا هو التثليث الصحيح ، في التوحيد الخالص .

وهذا التثليث الانجيلي ، في التوحيد الكتابي ، ليس بالتثليث المنحرف الكافر الذي يكفره القرآن بمقالته في « الثلاثة » ، وصيغها الاربعة؛ وقد كفرتها المسيحية من قبله .

لذلك فتكفير التثليث المسيحي ، باسم التوحيد القرآني ، هو افتراء عـــلى التوحيد وعلى القرآن ؛ وجهل بالانجيل والعقيدة المسيحية .

ان التثليث المسيحي في التوحيد الخالص هو **تفسير منزل لحياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية** فلا خلاف على الاطلاق بين التوحيد القرآني والتثليث الانجيلي ، في التوحيد الكتابي ، المتواتر في التوراة والانجيل والقرآن .

تلك هي **القاعدة الرابعة عشرة** ، في الحوار المسيحي الاسلامي .



الفصل الخامس

ما بين القرآن والانجيل

بحث أول : ما بين القرآن ، وما بين الكتاب والانجيل انتساب ونسب

بحث ثانٍ : محمد في التوراة والانجيل

بحث ثالث : محمد في القرآن

بحث رابع : القرآن في عرْف القرآن



توطئة

انتساب القرآن الى « الكتاب الامام » والى « الكتاب المنير »

في القرآن ظاهرة ثابتة متواترة هي محوره وأساسه : انتسابه الدائم الى الكتاب عامة ، والى الانجيل وأهله خاصة .

لقد بحثنا نظرية القرآن في الانجيل . والآن ندرس نظرية القرآن في نفسه ، وفي نبيّه ، وظاهرة انتسابه مع نبيّه الى الكتاب وأهله ، خصوصاً الى الانجيل وأهله ، « اولي العلم » المقسطين .

فالقرآن ، مع قوله بتنزيله ، يعلن بتواتر انتسابه الدائم الى الكتاب الذي نزل قبله ؛ ويصرّح بتواتر نسبه من الكتاب وأهله ، حتى انه ليجعل من أتباعه « المتقين » ، ومن أهل الكتّاب المقسطين « أمة واحدة » (الانبياء ٩١ ، المؤمنون ٥٣) .

وانتساب القرآن الى الكتاب عامة، والى الانجيل خاصة، **هو حجر الزاوية** في الحوار الاسلامي المسيحي. فقد جاء القرآن ليعلم العرب «الكتاب والحكمة» أي التوراة والانجيل ، بحسب اصطلاحه .

فلا يصح اسلام بدون هذا الانتساب الذي يقرره القرآن .

ولا يصح حوار بين الاسلام والمسيحية إلاَّ على أساس هذين الانتساب والنسب المقرّرين في القرآن .

فقواعد العقائد في الحوار الاسلامي المسيحي تقوم على هذا الانتساب وعلى هذا النسب .

ففي هذا الفصل ، القول الفصل في الحوار .

بحث اول

ما بين القرآن وما بين الكتاب والانجيل ، انتساب ونسب

(القاعدة الخامسة عشرة في الحوار الاسلامي المسيحي)

ظاهرة كبيرة ، فريدة ، في القرآن ، اعلانه المتواتر بانتسابه وانتساب نبيّه الى الكتاب عامة ، والى الانجيل وأهله خاصة . وهذا الانتساب في القرآن الى الكتاب ، والى الانجيل خاصة ، هو الذي يفرض الحوار على المسلمين مع أهل الكتاب ، وخصوصاً مع أهل الانجيل .

اولاً : انتساب القرآن الى الكتاب كله

يظهر الانتساب في مباديء القرآن العامة فالخاصة .

١ ــ مبادىء القرآن العامة في انتسابه الى الكتاب من قبله

١) وحدة الكتاب المنزل

إنه لمبدأ قرآني عام ان الكتاب الذي نزّل الله على المرسلين أجمعين هو واحد : « كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (البقرة ١١٢) .

لاحظ التعريف والاطلاق في وحدة الكتاب المنزل : « الكتاب » . فكل مرة يذكر القرآن انتسابه الى « الكتاب » معرّفاً مطلقاً ، فهو يعني الكتاب الذي نزل قبله ، لا « أم الكتاب » في السماء .

وهذا الكتاب الذي نزل قبله ، هو الذي أُنزل على محمد ، تصديقاً لما قبله : « الله ... الحي القيوم نزّل عليك الكتاب بالحق ، مصدّقاً لما بين يديه (قبله) وأنزل التوراة والانجيـــل من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان » (آل عمران ١ — ٣) .

وقد أُنزل عليه الكتاب الاول مفصلاً : « وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً » ، كما يشهد أهل الكتاب أنفسهم (الانعام ١١٤) . فالقرآن انما هو « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٦) .

فوحدة الكتاب المنزل على محمد وأنبياء الكتاب تدل على وحدة النسب .

٢) وحدة الدين بين القرآن والكتاب :

انه لمبدأ قرآني عام ايضاً ان الدين واحد ، من نوح ، الى ابراهيم ، الى موسى ، الى عيسى ، الى محمد : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً — والذي أوحينا اليك — وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى : أن أقيموا الدين ، ولا تتفرّقوا فيه . كبر على المشركين ما تدعوهم اليه » (الشورى ١٣) : فوحدة الدين ما بين التوراة والانجيل والقرآن تدل على وحدة النسب ، لأن القرآن يشرع للعرب دين موسى وعيسى ديناً واحداً بلا تفرقة .

٣) وحدة الاسلام في التوراة والانجيل والقرآن :

إنه لمبدأ قرآني عام ايضاً أن الاسلام واحـــد ما بين القرآن والكتاب :

«قل : آمنا بالله ، وما أنزل علينا ، وما أُنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم : لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون . ومن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران ٨٤ — ٨٥) .

فالاله واحد ، والتنزيل واحد ، والايمان واحد ، والاسلام واحـــد ، في التوراة والانجيل والقرآن ، مع جميع الانبياء من ابراهيم الى محمد ؛ فلا يصح تفريق ما بين كتب الله وأنبيائه : «لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» .

فوحدة الاسلام بين القرآن والكتاب كله تدل على وحدة النسب .

٤) وحدة الوحي من نوح الى محمد :

إنه لمبدأ قرآني عام ايضاً تقريره وحدة الوحي من نوح الى محمد : «إنا أوحينا **اليك** ، كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ؛ وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ؛ **وعيسى**، وأيوب ويونس وهارون وسليمان . وآتينا داود زبوراً . . . رسلاً مبشرين ومنذرين ، لئلّا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وكان الله عزيزاً حكيماً» (النساء ١٦٢ — ١٦٣) .

فالوحي واحد من نوح الى محمد . وهو مبدأ مزدوج : وحـــدة الرسل ، ووحدة الوحي مع الرسل .

فوحدة الوحي ، مع وحدة المرسلين به ، تدل على وحدة النسب .

٥) وحدة الشريعة المنزلة للعالمين :

إنه لمبدأ قرآني عام أيضاً ، وحدة الشريعة المنزلة ، في أصولها ، وان اختلفت

الفروع فيها ، بحسب أزمان نزولها : « يريد الله ليبيّن لكم ، ويهديكم سُنن الذين من قبلكم ، ويتوب عليكم ، والله عليم وحكيم » (النساء ٢٥) ؛ أي « طرائق الانبياء في التحليل والتحريم ، فتتبعوهم » (الجلالان) .

مع ذلك : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » (المائدة ٥١) . وحدة في الاصول ، وتمييز واستقلال في الفروع .

فوحدة الشريعة المنزلة للعالمين ، في أصولها ، تدل على وحدة النسب .

تلك هي مبادىء القرآن العامـــة في انتسابه المطلق الى الكتاب ، والى أنبيائه ، والى أهله .

٢ — مبادىء القرآن الخاصة في انتسابه الى الكتاب من قبله

في القرآن مشاهد ومواقف ومبادىء خاصة تشهد بانتساب محمد والقرآن الى الكتاب وأهله ، وتفصّل معنى وأهداف البعثة المحمدية الى العرب .

١) هداية محمد الى الكتاب واسلامه

يعلن : « ووجدك ضالّاً فهدى » (الضحى ٧) . ويفسرها قوله : « وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن » (النمل ٩١ — ٩٢) . فالمسلمون موجودون من قبله ، ويُؤمر بأن ينضم اليهم ، ويتلو معهم قرآن الكتاب ، « بلسان عربي مبين » ، لأن « تنزيل رب العالمين » انما هو « في زبر الأولين : أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل » (الشعراء ١١٣ — ١٩٧) . لذلك « قلْ : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأُمرت لاعدل بينكم » (الشورى ١٥) .

كانت رسالة النبي العربي أولاً هداية الى الكتاب، مع الامر بالانضمام الى أهله «المسلمين» من قبله؛ ثم بعثةً الى العرب «ليعلمهم الكتاب والحكمة».

٢) بعثة محمد كانت ليعلم العرب «الكتابة والحكمة»

«هذا بيان للناس، وهدى وموعظة للمتقين» (آل عمران ١٣٨). «الناس» تعبير يعم العرب أجمعين؛ و«المتقون» اصطلاح مأخوذ عن أهل الكتاب يعني الأميين الذين آمنوا بالكتاب، وهنا العرب المهتدين.

والبيان هو: «لقد من الله على المؤمنين، اذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم؛ يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، **ويعلمهم الكتاب والحكمة**، وانْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين» (آل عمران ١٦٤).

فبعثة محمد كانت ليعلم العرب «الكتاب والحكمة» أي «التوراة والانجيل» كما في عطف البيان الوارد في قوله: «الكتاب والحكمة، والتوراة والانجيل» (آل عمران ٤٨ المائدة ١١٣). «فالحكمة» هنا اصطلاح، كنايةً عن الانجيل، كما في قوله: «ولما جاء عيسى بالبيّنات قال: قد جئتكم بالحكمة» (الزخرف ٦٣).

بعض المفسرين يؤولون «الكتاب» في هذه المواطن بالقرآن؛ بينما القرائن العامة والخاصة تبيّن تحريفهم لمعناه، مثل قوله: «وان كنا عن دراستهم لغافلين» (الانعام ١٥٦).

فتعليم الكتاب والحكمة أي التوراة والانجيل للعرب، تلك هي بعثة محمد، كما تمنّاها ابراهيم واسماعيل للعرب: «ربنا، وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم، انك أنت العزيز

الحكيم » (البقرة ١٢٩) . فبتلاوة آيات الله عليهم « بلسان عربي مبين » يعلمهم الكتاب والحكمة .

وهذا ما جرى : « هو الذي بعث في الأميّين رسولاً منهم ، يتلو علهم آياته ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وانْ كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين » (الجمعة ٢).

وهذا ما تحققه بنفسه : « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم ، يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ، ويعلمكم الكتـــاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (البقرة ١٥١) ، لأنهم كانوا « عن دراستهم لغافلين » (الانعام ١٥٦) .

فانتساب القرآن الى الكتاب ظاهر من تعليم الكتاب والحكمة للعرب ، بواسطة القرآن .

٣) فسبب بعثة محمد للعرب غفلتهم عن دراسة الكتاب والحكمة

لقد درس محمد الكتاب كله ، ليدرّسه للعرب ، وذلك بنص القرآن القاطع . يقول في درس محمد للكتاب : « وكذلك نصرّف الآيات — وليقولوا : **درست !** — ولنبيّنه لقوم يعلمون » (الانعـــام ١٠٥) . فسره الجلالان : « دارست : أي ذاكرت أهل الكتاب . وفي قراءة (درست) أي كتب الماضين وجئت بهذا منها » . ونلاحظ انه لا يرد التهمة ، بل في الآية نفسها يبيّن الغاية من درس الكتاب ومدارسته أهله ، فيقول : « لنبيّنه لقوم يعلمون » . وهو ، بدرْس الكتب المقدسة ، يستعلي على بني قومه الأمّيين : « وما آتيناهم من كتب يدرسونها » (سبأ ٤٤) . ومنذ سورة القلم يفخر « بالمسلمين » الذين انضمّ اليهم ، ويستعلي بالكتـــاب الذي يدرسه معهم : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ما بالكم ، كيف تحكمون ؟ أم لكم كتاب فيه تدرسون » ؟ (القلم ٣٥ — ٣٧) .

فقد درس محمد الكتاب ، بل الكتب المقدسة كلها ، ليدرّسها للعرب الذين غفلوا عن دراستها : «أن تقولوا : إنما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ، **وانْ كنا عن دراستهم لغافلين** » (الانعام ١٥٦) .

فسورة الانعـــام تشهد بأن بعثة محمد كانت درْس الكتاب والحكمة ، وتدريسها للعرب الغافلين عنها — والدرس والتدريس لا يمنعان الوحي والتنزيل.

فانتساب القرآن الى الكتاب ظاهر من **تدريس** الكتاب والحكمة للعرب، بواسطة القرآن .

٤) غاية تنزيل الكتاب قرآناً عربيا إنما هي هداية العرب للكتاب

يصرح بذلك في قوله : « فإنما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين ، وتنذر به قوماً لدّا » (مريم ٩٧) . جاءه الكتاب بلسانه العربي يبشر به « المتقين » أي العرب المهتدين ، وينذر به الكافرين . ويؤكد ذلك : « وكذلك أنزلناه قرآناً عربيّاً ، وصرّفنا به من الوعيـــد ، لعلّهم يتّقون ، أو يُحدث لهم ذكراً » (طه ١١٣) . والضمير المتواتر في « أنزلناه » يعود دائماً الى الكتاب المنزل من قبله ، لان القرآن « تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٦) . يشهد على ذلك ويفرح به أهل الكتاب : « وكذلك أنزلناه حُكماً (حكمة) عربيّاً . . . والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك » (الرعد ٣٨ — ٣٦).

فتنزيل الكتاب قرآناً عربيّاً ، وتيسيره بلسان محمد « ذكراً لك ولقومك » ، إنما هو دليل انتساب القرآن ونبيه الى الكتاب الامام .

٥) القرآن بيان الكتاب

يعلن في مطالعه : « تلك آيات الكتاب ، وقرآن مبين » (النمل ١؛ الحجر ١).

فالقرآن يبيّن آيات الكتاب. وليس الكتاب الذي في السماء، بل المنزل من قبله، كما في هذا التصريح الفاطع: «او لم تأتيهم بيّنة ما في الصحف الاولى»؟ (طه ١٣٣). يؤكد ذلك قوله: «وانه لتنزيل رب العالمين... وانه لفي زبر الاولين» (الشعراء ١٩٣ – ١٩٧). هـذا هو هدف بعثة محمد بالقرآن: «وأنزلنـا اليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل اليهم، ولعلهم يتفكرون» (النحل ٤٤). فالقرآن بيان التنزيل الذي في الذكر الحكيم من قبله، عقيدة وشريعة: «ليهديكم سنن الذين من قبلكم» (النساء ٢٥). لذلك فالقرآن «بيان للناس» (آل عمران ١٣٨)، من «رسول مبين» (٤٢ : ٢٩؛ ٤٤ : ١٣)، أو «نـذير مبين» (٤٦ : ٩؛ ٥١ : ٥٠)، «بلسان عربي مبين» (٢٦ : ١٩٥؛ ١٦ : ١٠٣).

فانتساب القرآن الى الكتاب يظهر من كونه بيان الكتاب.

٦) القرآن «تفصيل الكتاب»

هذا هو التعريف المتواتر فيه: «تنزيل من الرحمان الرحيم: كتاب فصّلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون» (فصلت ١). فالتنزيل هو في الكتاب الذي فصّل قرآناً عربياً. والتفصيل اصطلاح قرآني يعني الترجمة على حدّ قوله: «ولو جعلناه أعجمياً لقالوا: لولا فصّلت آياته! أأعجمي وعربي؟» (فصلت ٤٤). وقام بالتعريب حكيم خبير، «كتاب أُحكمت آياته، ثم فصّلت من لدن حكيم خبير» (هود ١ – ٢). وقد فعل ذلك باسم الله، كما يعلم ذلك أهل الكتاب: «أفغير الله أبتغي حكماً، وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصّلاً. والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزّل من ربك بالحق، فلا تكوننّ من الممترين» (الانعام ١١٤). فترجمة التنزيل لا ترفع عنه صفة التنزيل، لذلك «فالكتاب المفصّل» هو «منزّل من ربك بالحق، فلا تكونن من الممترين»، يا محمد. لذلك «ما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله، ولكن تصديق

الذي بين يديه (قبله) ، وتفصيل الكتاب ، لا ريب فيه ، من رب العالمين » (يونس ٣٧) . والقول الفصل في هذه الشهادة : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرهم » (الاحقاف ٩) : إن « مِثل » القرآن عندهم .

فانتساب القرآن الى الكتاب يظهرمن كونه « تفصيل الكتاب » .

٧) القرآن تصديق الكتاب

ان القرآن في ذاته « تفصيل الكتاب » ؛ وغايته تصديق الكتاب المنزل قبله : « ولكن تصديق الذي بين يديه » أي قبله (يونس ٣٧) : فهو « مصدق الذي بين يديه » (الانعام ٩٢) ؛ « مصدق لما معهم » (البقرة ٨٩ ؛ ١٠١) ، « مصدق لما معكم » (آل عمران ٨١) ؛ وجاء « مصدقاً لما معكم » (٢ : ٤١ ؛ ٤ : ٤٦) ، « مصدقاً لما معهم » (٢ : ٩١) ، « مصدقاً لما بين يديه » (٢ : ٩٧ ؛ ٣ : ٣ ؛ ٥ : ٤٩ و ٥١ ؛ ٣٥ : ٣١ ؛ ٤٦ : ٣٠) . فليس فيه ما يميّزه عن الكتاب إمامه سوى التصديق له بلسان عربي : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ؛ وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢) . فصفة القرآن انه الكتاب المصدّق للكتاب الامام : « وهذا كتاب أنزلناه مصدّق الذي بين يديه ، ولينذر أمّ القرى ومَن حولها » (الانعام ٩٢) .

فانتساب القرآن الى الكتاب يظهر من كونه « الكتاب المصدّق » له .

٨) الكتاب إمام القرآن

يعلن ذلك في قوله : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً » (هود ١٧) . فالكتاب إمام القرآن في الهدى والبيـــان : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢) : فليس ما بين

القرآن والكتاب إمامه من فارق سوى اللسان العربي. **وهذا التصريح الضخم يجعل انتساب القرآن الى الكتاب كاملاً مطلقاً.**

وكما ينتسب الى كتاب موسى، فهو يجادل العرب بهدى وعلم الانجيل، الكتاب المنير، كما يستعلي بذلك عليهم: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (الحج ٨ لقمان ٢٠).

فالكتاب إمام القرآن، وأهل الكتاب، «عباد الرحمان... الذين يبيتون لربهم سُجّداً وقياماً» — بمعنى قائمين يصلون بالليل (الجلالان)، وهي عادة رهبان النصارى من دون العالمين — هم أيضاً إمام المتقين من العرب: «واجعلنا للمتقين إماماً» (الفرقان ٦٣ — ٧٤).

فإذا كان كتاب موسى إمام القرآن، والكتاب المنير أي الانجيل هو العلم والهدى اللذين بهما يجادل الناس، فانتساب القرآن ونبيّه الى الكتاب مطلق.

٩) القرآن يقتدي بهدى الكتاب وأهله

هذا هو الأمر الصريح، في تبليغ القرآن الى العرب: «أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة... أولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتدهْ» (الانعام ٨٩ — ٩٠). ورد هنا تعبير الحكمة بحرفه العبري «الحُكم»؛ والحكمة في اصطلاحه «الكتاب والحكمة» كنـاية عن الانجيل: فعلى النبي العربي أن يقتدي في الدعوة القرآنية بهدى أهل الانجيل، الذين يقيمون التوراة والانجيل معاً. فهم «أولو العلم» المقسطون الذين يشهد القرآن بشهادتهم «أن الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨ — ١٩).

فإذا كان النبي العربي «يقتدي بهداهم»، والقرآن يشهد للاسلام بشهادتهم، فانتساب القرآن ونبيّه الى الكتاب شامل كامل.

١٠) تنزيل القرآن من زبر الاولين

أخيراً هذا هو القول الفصل : « انه لتنزيل رب العالمين . . . وإنه لفي زبر الأولين : أو لم يكن لهم آية أن يعلم علماء بني اسرائيل » ؟ (الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٧) . فتنزيل رب العالمين هو « في زبر الأولين » ، أي « كتبهم كالتوراة والانجيل » (الجلالان) ؛ والقرآن هو تنزيل رب العالمين لانه في زبر الاولين : هذا ما يشهد به « علماء بني اسرائيل » المقسطين أي النصارى منهم . فإن « مثل » القرآن عندهم : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ٩) . هذا « المثل » هو الصحف المطهرة التي فيها كتب قيمة طلبها اليهود بيّنة : « لم يكن الذين كفروا من أهـــل الكتاب (اليهود) والمشركين منفكين حتى تأتيهم البيّنة : رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة ، فيها كتب قيّمة . وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب (اليهود) إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة » (البيّنة ١ ـ ٤) .

فالتنزيل القرآني هو « في زبر الاولين » ؛ وعندهم « مثله » : فالانتساب نسب مطلق الى الكتاب والى أهله المقسطين .

تلك هي مبادىء القرآن الخاصة في انتسابه الى الكتاب وفي نسبه الشامل الكامل المطلق منه .

* * *

ثانيا : انتساب القرآن الى الانجيل وأهله على التخصيص

إن القرآن ينتسب بنوع خاص الى الانجيل وأهله ؛ وما القرآن ـ بعـــد التوحيد ـ سوى دعوة للمسيح بين العرب ، وضدّ اليهودية الظالمة بكفرها بالمسيح . وما تنكّر اليهود للقرآن ونبيّه إلا لدعوتهما للمسيح .

١ ـ محمد يُؤمر بأن ينضمّ الى «المسلمين» النصارى

هذا هو تصريح القرآن القـــاطع : «وأُمرتُ بأن أكون من المسلمين» (النمل ٩١) . فالمسلمون موجودون من قبله ، وهو ينضمّ إليهم . وان كان تعبير «المسلمين» يدل على الموحدين أجمعين ، المؤمنين بالتوحيد الكتابي المنزل؛ فهو على الخصوص اصطلاح قرآني يعني النصارى من أهل الكتاب ، لا اليهود الظالمين (العنكبوت ٤٦) ، كما في قوله : «أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحُكم (الحكمة) والنبوة . . . أولئك الذين هدى الله بهداهم اقتدهْ» (الانعام ٩٠). فعلى محمد أن يقتدي بأهـــل «الكتاب والحكمة» أي التوراة والانجيل ، كما رأينا ، وهم النصارى . لذلك جـــاء القرآن نفسه هدى وبشرى للمسلمين النصارى : «قل : نزّله روح القدس (جبريل) من ربك بالحق ، ليثبّت الذين آمنوا ، وهدى وبشرى للمسلمين» (النحل ١٠٣) . ان «الذين آمنوا» كناية متواترة عن جماعة محمد ، وهو يميّزهم «عن المسلمين» تمييزاً صريحاً ـ والعاطف ليس فقط عطف بيان . فبعد أن انضم محمد الى النصارى المسلمين ، فصّل لهم التوراة والانجيل[1] قرآناً عربياً .

فمحمد في هدايتـــه وبعثته الى العرب ينضم الى النصارى المسلمين ، ويدعو بدعوتهم .

٢) القرآن يشهد بشهادة «اولي العلم» المقسطين للاسلام

محور القرآن وشهادته الكبرى هما : «شهد الله انه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم : أن الدين عند الله الاسلام. وما اختلف الذين أوتوا الكتاب (اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً

(١) الهدى في اصطلاحه كناية خاصة عن كتاب موسى ؛ والبشرى ترجمة حرفية للفظ الانجيل.

بينهم » (آل عمران ١٨ — ١٩). لقد رأينا ان «العلم» على التخصيص هو العلم المنزل في الكتاب؛ وأن أولي العلم مرادف لاهل الكتاب. والقرآن يقسم أهـــل الكتاب، او أولي العلم، الى ظالمين، وهم اليهود؛ والى مقسطين او محسنين، وهم النصارى. فالنصارى هم أولو العلم المقسطون الذين يشهدون مع الله وملائكته «ان الدين عند الله الاسلام». والقرآن يشهد للاسلام «النصراني» بشهادتهم. لذلك «اختلف الذين أوتوا الكتاب» من اليهود؛ وأخـــذوا يضطهدون النبي العربي، ويقتلون النصارى «الذين يأمرون بالقسط، من الناس» كما كانوا «يقتلون النبيّين بغير حق» (آل عمران ٢١).

فالقرآن يشهد للاسلام بشهادة النصارى «اولي العلم قائماً بالقسط».

٣) والاسلام هو ما «أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم»

ان الاسلام الذي يدعو اليه القرآن هو اسلام الكتاب والانجيل معاً، بدون تفريق بين كتب الله وأنبيائه. وهذا التوحيد بين التوراة والانجيل، وبين موسى وعيسى، هو ميزة هذا الاسلام: «قل: يا أهل الكتاب لستم على شيء، حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم» (المائدة ٧١). صحة الاسلام تقوم على عدم التفريق بين «ما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم: لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. ومَن يبتغِ غير الاسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (آل عمران ٨٤ — ٨٥). إن اليهودية تكفر بالمسيح والانجيل! فقبول المسيح والانجيل، شرطاً لصحة الاسلام، هو انتساب صريح الى الانجيل وأهله.

٤) هذا الاسلام هو الدين الذي شرعه الله للعرب

أيّ دين يحمل القرآن للعرب؟ وهل يأتي بدين جديد؟ ان دين القرآن هو

دين موسى وعيسى بلا تفريق بينهما: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً — والذي أوحينا اليك — وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى: أن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه» (الشورى ١٣). ما وصى به الله نوحاً وابراهيم انتهى الى موسى ونزلت به التوراة؛ وما نزل مع عيسى هو الانجيل. فالدين الذي يشرعه القرآن للعرب هو دين موسى وعيسى، دين التوراة والانجيل، ديناً واحداً بلا تفرقة، ولا تفريق؛ وعدم التفريق هو أمر الله. فمن الاسلام الصحيح إقامة دين عيسى والانجيل. هذا ما شرعه الله في القرآن. فلا يكون مسلماً صحيحاً مَن لا يقيم دين عيسى والانجيل. هل فطن أهل القرآن الى ذلك، وهل يعملون بأمر الله؟

٦) فالقرآن يدعو الى الانجيل

تتصدر القرآن، في ترتيبه الحالي، هذه الآيات: «ذلك الكتاب، لا ريب فيه، **هدى للمتقين**... الذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك، وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم، وأولئك هم المفلحون» (البقرة ١—٥)، فالقرآن يخبر بأن «ذلك الكتاب» الذي يتلوه محمد على مسامع العرب هو «هدى للمتقين». وتعبير «المتقين» اصطلاح متواتر في القرآن عن أهل الكتاب، للمهتدين من الأميين، ومنهم العرب. فالكتاب، قبل القرآن، هو «هدى للمتقين»، «الذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك». فلا هدى لاهل القرآن بدون الكتاب.

وما جاء مجملاً في البدء، ينصّ على تخصيصه في الختام: «وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور، ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة، وهدى وموعظة للمتقين» (المائدة ٤٩). صار «المتقون» اصطلاحاً خاصاً بجماعة محمد والقرآن. في هذا النص، يظهر **الانجيل محور التنزيل**: فهو «مصدّق لما بين يديه من التوراة» — يكرر ذلك مرتين؛ وهو في الوقت نفسه «هدى وموعظة للمتقين» من

العرب ، جماعة محمد . لذلك فالانجيل « هدى ونور » . وهذا صدى لقول المسيح في الانجيل : « أنا نور العالم ، من تبعني لا يمشي في الظلام » . فالانجيل الذي في ذاته « هدى ونور » هو « هدى وموعظة للمتقين » ، جماعة محمد . فإذا تركوا الانجيـــل ليسوا على « هدى » ، لانه دعوة لهم بنوع خاص . فالقرآن يدعو للانجيل .

والقرآن يجادل الناس في الله بالانجيل ، الكتاب المنير : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (الحج ٨) . يكرر ذلك في سورة لقمان ، ويضيف : « ومن يُسلم وجهه لله ، وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى » (٢٠ و ٢٢) . فالعروة الوثقى في الايمـــان والدين هي اسلام الوجه لله ، « وهو محسن » : ليس الاسلام على الاطلاق ، بل الاسلام عـــلى التخصيص : « وهو محسن » . وهذا التعبير أيضاً اصطلاح قرآني ، حيث « المحسنون » فيه صفة « للمسلمين » قبل القرآن : فقد نزل القرآن « هدى وبشرى للمسلمين » (النحل ١٠٣) ، أي « هدى ورحمـــة للمحسنين » (لقمان ٣) ، « وبشرى للمحسنين » (الاحقاف ١٢) . والمسلمون المقسطون المحسنون هم ، في اصطلاحه ، « النصارى » . فالاسلام على طريقة « النصارى » هو العروة الوثقى في الدين ، والعلم والهدى هو في « الكتاب المنير » الذي معهم اي الانجيل .

فالاحسان في الاسلام هو الاسلام المبني على الانجيل ، الكتاب المنير . فالقرآن يدعو الى الانجيل .

٧) والقرآن يدعو الى المسيح

لقد اختلف اهل الكتاب ، من بني اسرائيل ، الى يهود ونصارى ، بسبب كفر اليهود بالمسيح ، عيسى ابن مريم ، وايمان النصارى بـــه بواسطة تلاميذه الحواريين . فجاء القرآن انتصاراً للنصارى على اليهود في هذا الخلاف : « ان

هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) . وما اختلفوا الى نصارى ويهود الا في المسيح والانجيل . فالقرآن شهـــادة ودعوة للمسيح .

تلك هي الطريقة في أمر الدين ، التي جعل الله عليها محمداً : « ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين. **وآتيناهم بينات من الامر** . فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ، ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. ثم جعلناك على شريعة **من الامر** فاتّبعها ، ولا تتّبع أهواء الذين لا يعلمون » (الجاثية ١٥ — ١٧) . تعبير « الكتاب والحكم[١] والنبوة» مرادف لقوله : « التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » (المائدة ٧١) . « ولما جاءهم عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة » اي الانجيل (الزخرف ٦٢) . فبواسطة الانجيل « آتيناهم بينات من الامر » ، أي « أمر الدين » (الجلالان) . فاختلف اليهود « من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » . وصار النصارى منهم « أولي العلم » على التخصيص ، وكانوا على « بينات من الامر » في الدين المنزل . ولما جاء محمد ، « جعلناك على شريعة من الامر » اي « على طريقة من أمر الدين » (الجلالان) . ووحدة التعبير تدل على ان الله جعل محمداً على طريقة من أمر الدين ، تلك التي عليها النصارى الذين يؤمنون « بالكتاب كله » ، « الكتاب والحكمة والنبوة » : فعليه ان يتبع هذه الطريقة « النصرانية » ، لا سبيل اليهود المخالفين ، ولا « اهواء الذين لا يعلمون » اي المشركين .

فالقرآن يؤمن بالمسيح والانجيل ، ويدعو الى الانجيل والمسيح .

---

(١) الحكم نقل حرفي للتعبير العبري ، اي الحكمة .

٨) والقرآن يعلم العرب « الكتاب والحكمة » اي التوراة والانجيل

ان القرآن يدعو خصوصاً الى الانجيل ، من خلال دعوته العامة « للكتاب والحكمة » . فقد جاء محمد « يعلمهم الكتاب والحكمة » (البقرة ١٢٩ ؛ آل عمران ١٦٤ ؛ الجمعة ٢) ، « يعلمكم الكتـــاب والحكمة » (البقرة ١٥١) . والتعبير كنـــاية عن التوراة والانجيل ، كما تعلمها عيسى من الله : « ويعلمه الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل » (آل عمران ٤٨) ؛ « إذ قال الله : يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك ... واذ علمتك الكتاب والحكمة ، والتوراة والانجيل » (المائدة ١١٣) . فالتوراة والانجيل عطف بيان على « الكتاب والحكمة » ، لان « الحكمة » في اصطلاح القرآن بهذه المواطن كناية عن الانجيل ، كما في قوله : « ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم بالحكمة » (الزخرف ٦٢) . والقرآن بعد ان يذكر الكلمات العشر بصيغة انجيلية (الاسراء ٢٣ — ٣٨) يختم بقوله : « ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة » (الاسراء ٣٩) . وهذا ما يُتلى في بيوت أمهات المؤمنين « من آيات الله والحكمة » (الاحزاب ٣٤) . فقد « أنزل عليك الكتاب والحكمة » (البقرة ٢٣١) . والقرآن يعلم العرب « الكتاب والحكمة » أي التوراة والانجيل ؛ ففيهما دين « موسى وعيسى » الذي شرعه الله للعرب (الشورى ١٣) . وبما أن الله جعل محمداً « على شريعة من الامر » ، فهو يعلم العرب خصوصاً الانجيل ، لانه يقتدي بهدى أهل « الكتاب والحكمة والنبوة » ، أي أهل الانجيل ، « النصارى » (الصف ١٤) .

٩) محمد يقتدي في دعوته بهدى أهل « الكتاب والحكم والنبوة »

ان القرآن يعلم العرب « الكتاب والحكمة » ، لكن « على شريعة من الامر » هي هدى أهل « الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة » ، أي عـــلى طريقة النصارى : « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة . . . أولئك الذين

هدى الله ، فبهداهم اقتده » (الانعام ٨٩ — ٩٠) . لا يقيم «الكتاب والحكمة» أي التوراة والانجيل معاً سوى « النصارى » . ومحمد يُؤمر صريحاً بالاقتداء في الدعوة القرآنية بهـــداهم . فهم « المسلمون » الذين أمر بأن ينضم اليهم ويتلو قرآن الكتاب بتلاوتهم : « وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن» (النمل ٨٩ — ٩٠) .

فالقرآن « يقتدي » بهدى هؤلاء « النصارى » ، أهل « الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة » .

١٠) محمد « أمة واحدة » مع هؤلاء « النصارى »

ان النبي العربي ، « والذين آمنوا معه» من «المتقين » العرب هم «أمة واحدة» مع النصارى ، لانهم يؤمنون معهم بالمسيح وأمه آية للعالمين . فهو يختم ذكر أنبياء الكتاب بذكر « التي أحصنت فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين : ان هذه أمتكم ، أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدونِ » (الانبياء ٩١ — ٩٢) . ويختم ايضاً ذكر الانبياء بالشهادة عينها : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآويناهما الى ربوة ذات قرار معين ... وان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاتقونِ » (المؤمنون ٥١ — ٥٣) .

فلا يؤمن بالمسيح وأمه آية للعالمين سوى النصارى : فمحمد « أمة واحدة » مع هؤلاء النصارى .

١١) لذلك فالقرآن انتصار « للنصرانية » على اليهودية

لقد انقسم بنو اسرائيل الى يهود ونصارى. وكان كلا الفريقين يسعى لهداية العرب اليه . فجاءت الدعوة القرآنية انتصاراً لهذه « النصرانية » ، الطائفة التي

آمنت بالمسيح من بني اسرائيل ، انتصاراً لها على اليهودية في الجزيرة العربية . هذا هو سر القرآن ، بنصه القاطع : « يا ايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : مَن انصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن انصار الله . فآمنت طائفة من بني اسرائيل، وكفرت طائفة : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) .

ان « الطائفة من بني اسرائيل » التي آمنت بالمسيح هم الذين يسميهم القرآن على التخصيص : «النصارى» . والقرآن يعلن ان دعوته انتصار لهذه «النصرانية» على اليهودية : فأيدنا الذين آمنوا، من بني اسرائيل، بالمسيح، على عدوهم اليهود، « فأصبحوا ظاهرين » ، غالبين .

فبفضل الدعوة القرآنية انتصرت « النصرانية » ، تحت اسم الاسلام ، على اليهودية ، في الجزيرة العربية .

والجلالان يحرفان المعنى بنقله الى الاختلاف بين النصرانية الاسرائيلية والمسيحية الأممية : « فآمنت طائفة من بني اسرائيل ، بعيسى انه **عبد الله** رُفع الى السماء (وكفرت طائفة) لقولهم : انه **ابن الله** رفعه اليه. فاقتتلت الطائفتان (فأيدنا) قوّينا (الذين آمنوا) من الطائفتين (على عدوهم) الطائفة الكافرة ، (فأصبحوا ظاهرين) غالبين » (الجلالان) . ولا أصل لهذا التخريج في النص.

فالقرآن انتصار « للنصرانية » على اليهودية في جزيرة العرب .

والنصرانية شيعة بالنسبة للسنة المسيحية . والاصل بينهما واحــد ، وهو الايمان بالمسيح والانجيل؛ والدعوة القرآنية انتصار للايمان بالمسيح والانجيل .

١٢) لذلك يمنع القرآن الجدل مع النصارى ، ويأمر بالتسليم معهم .

ان شرعة الحوار مع النصارى في كل جيل، ومن كل أمة هي : «ولا تجادلوا

أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن - إلا الذين ظلموا منهم (اليهود) - وقولوا: آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم، وإلهنا وإلهكم واحد، ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٦). يصح الجدال مع «الظالمين» من أهل الكتاب، اي اليهود بحسب اصطلاح القرآن، بغير الحسنى اي بالسيف؛ أما مع النصارى من أهل الكتاب فلا يجوز جدال إلا بالحسنى؛ وهذه الحسنى هي الامر بالتسليم معهم ان الاله واحد، والتنزيل واحد، والاسلام واحد، بين أهل القرآن وأهل الانجيل.

وهذا التسليم المأمور مع أهل الكتاب المحسنين، اي النصارى أولي العلم المقسطين، مفروض على المسلمين لان النصارى عندهم «علم الكتاب» وبهم يكتفي القرآن شهداء لله (الرعد ٤٥)؛ ولأن القرآن نفسه «آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم (النصارى)، وما يجحد بآياتنا الا الكافرون» اي اليهود (العنكبوت ٤٩)؛ ولان أولي العلم المقسطين اي النصارى يشهدون مع الله وملائكته، والقرآن يشهد بشهادتهم: «أن الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨ - ١٩).

فما بين أهل القرآن وأهل الانجيل وحدة الإله، ووحدة التنزيل والكتاب، ووحدة الاسلام. وفي انتساب القرآن وأهله الى المسيح والانجيل، «على شريعة من الامر» هي النصرانية، «العروة الوثقى» (البقرة ٢٥٦ لقمان ٢٢) في ضرورة قيام، وفي كيفية، الحوار بين المسيحية والاسلام. وشرعة هذا الحوار الواجب ان يكون بالحسنى، والحسنى تقوم على التسليم مع أهل الانجيل بأن الاله واحد، والتنزيل واحد، والاسلام واحد.

ففي انتساب القرآن الصريح الى النصرانية والانجيل والمسيح، قاعدة القواعد في الحوار الاسلامي المسيحي.

وتلك القاعدة الكبرى، و «العروة الوثقى»، هي القاعدة الخامسة عشرة في الحوار المسيحي الاسلامي.

بحث ثان

محمد في التوراة والانجيل

(القاعدة السادسة عشرة في الحوار المسيحي الاسلامي)

في القرآن آيتان تقولان بأن التوراة أنبأت «بالنبي الأمي» (الاعراف ١٥٦ — ١٥٧)، وأن الانجيل سمّاه باسمه «احمد» (الصف ٦).

فما هو الواقع القرآني، بالنسبة للتوراة والانجيل ؟

جزء أول: «النبي الامي»

في قصص موسى مع قومه، يقول: «واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة، وفي الآخرة: أنا هدْنا اليك ! قال: عذابي أصيب بهمَن أشاء، ورحمتي وسعت كل شيء !

«فسأكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، والذين هم بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول، **النبي الامي**، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات، ويحرّم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم: فالذين آمنوا به وعزّروه ونطروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

« قلْ : يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً ، الذي له ملك السماوات والارض ، لا إله الا هو ، يحيي ويميت : فآمنوا بالله ورسوله ، النبي الامي ، الذي يؤمن بالله وكلمته (كلماته) ، واتبعوه لعلكم تهتدون .

« ومن قوم موسى ، أمة يهدون بالحق ، وبه يعدلون .

« وقطعناهم اثنتي عشرة أَسباطاً ، أمماً . وأوحينا الى موسى . . . »

(الاعراف ١٥٥ — ١٥٩)

١ — تقويم « التفسير الحديث » ، للاستاذ محمد عزة دروزة (٣ : ١٦٤ — ١٧١)

كثيراً ما نتبع الاستاذ دروزة في أبحاثه القرآنية . ولكن وجدناه في « التفسير الحديث » يعود مع الرجعيين الى المواقف الجامدة التي لا تثبت للعلم والنقد .

١) بدأ بالاعتراف بأن « الآيتين ، وان كانتا تبدوان **معترضتين** لتسلسل قصص بني اسرائيل ، فإنهما منسجمتان مع السياق ونظمه . «والمتبادر أنهما جاءتا **استطراديتين** » (ص ١٦٤) .

نقول : ان الآية (١٥٧) معترضة ، بل ظاهر الاقحام بادٍ عليها ، اذ ما معنى جواب الله لموسى بأن الحسنة في الهدى ليست لقومه بل لاهل « النبي الامي » محمد ؟ وما معنى جواب الله لموسى بأن « النبي الامي (محمد) يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » ؟ فهل الانجيل قائم في عهد موسى ، وهل أهل الانجيل قائمون في عهد موسى ، حتى يحدثه الله عنهم جميعاً ؟ ان الآية مقحمة على السياق اقحاماً يسيء الى اعجاز بيانه وتبيانه ، وهذا ايضاً دليل اقحامها .

والآية (١٥٨) ينتقل فيها الله من خطاب موسى الى **خطاب محمد مباشرة** :

« قلْ : يا ايها الناس . . . » . فما دخل خطاب محمد ، بخطاب موسى يوم الميقات ، وما معنى الاعلان لموسى مداورة بأن محمداً ، النبي الأمي « يؤمن بالله وكلمته[1] » اي المسيح ؟ فهذا الاقحام الثاني أظهر من الأول على خطاب الله لموسى عبده ، الذي يطلب الى الله ان يكتب له ولجماعته حسنة في الدنيا والآخرة : « أنا هدْنا اليك » . وفي العبير « هدْنا » تورية ظاهرة بأن الهــدى في اليهودية الموسوية . فيجيبه الله اولاً « قال : عذابي أصيب به مَن أشاء ورحمتي وسعت كل شيء » ؛ ثم يجيبه بأن الحسنة في الدنيا والآخرة ليست لقوم موسى ، بل لجماعــة النبي الأمي : اذن ليس من حسنة في اتباع موسى قبل المسيح ومحمد ! لا يصح أن يكون هذا جواب الرحمان لكليمه ؛ انما هو جواب مقحم عليــه لا مبرر له في السياق – وقولنا « بالاقحام » ليس نفياً للتنزيل القرآني .

٢) ثم يقول الاستاذ دروزة : « ولقد كان ما احتوته الآية (١٥٧) من إشارة الى ان اليهود والنصارى يجدون صفات النبي ص وأهداف دعوته ، فيما بين أيديهم من التوراة والانجيل ، موضوع جدل وتشاد في مجــال الانكار والاثبات بين المسلمين وأهل الكتاب .

« ونقول : ان الآية تقول هذا بصراحة ، وتوجه الخطاب بخاصة الى اليهود والنصارى ، ومنهم من كان يسمعه **وجاها** ، ومنهم من آمن به نتيجة لذلك . فليس مما يعقل – ونقول هذا من باب المساجلة – ان يكون ما تقوله الآية **جزافا** لا يستند الى حقيقة ما ، او اساس ما ، فيما كان في ايدي اليهود والنصارى من أسفار في عهــد النبي ص . **وكل ما يمكن فرضه** ان هذا في بعض أسفار دون بعض – أو عند فريق دون فريق – أو من قبيل **الاشارات والبشارات الرمزية** ، وأنها كانت من أجل ذلك موضع جدل بين النبي ص من جهة ، وبين مكابري اليهود والنصارى من جهة أخرى . ولعلَّ ممــا يدعم هذا ، ما احتواه

---

(١) على قراءة أصح من « كلماته » لان اعانه بكلمات الله لا نكتة بيانيــة فيه ولا تمييز لدعوته ، كما هو الحال في قراءة « كلمته » .

القرآن من مشاهد واشارات تدل على أن أهل الكتاب في مكة والمدينة ، أو وفودهم – وفيهم الاحبار والرهبان والقسس والراسخون في العلم -- مَن آمنوا بالرسالة النبوية ، وصدقوا بما جاء في القرآن ، وقرروا أنه مطابق مع ما عندهم » . ويستشهد بالآيات : الاعراف ١٥٧ ؛ آل عمران ١١٣ – ١١٤ ؛ آل عمران ١٩٩ ؛ النساء ١٦٢ ؛ المائدة ٧٢ – ٨٤ ؛ الأنعام ٢٠ و١١٤ ؛ الرعد ٣٦ ؛ الاسراء ١٠٧ – ١٠٩ ؛ القصص ٥٢ – ٥٣ ، الاحقاف ١٠ ؛ العنكبوت ٤٧ . ويختم بقوله : « وفي كل هذا شواهد عيانية مكية ومدنية حاسمة لا يسع منصفاً أن يكابر فيه حتى من الكتابيين أنفسهم ، فيما نعتقد » (ص ١٦٦ – ١٦٧) .

كلا ، يا فضيلة الاستاذ الذي نجل ونحترم ، لا يكابر الراسخون في العلم من أهل الكتاب ؛ انما التخريج الضال هو المردود .

انك تفسّر قوله « مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » بثلاثة افتراضات : « ان هذا في بعض اسفار دون بعض – أو عند فريق دون فريق – أو من قبيل الاشارات والبشارات الرمزية » . ان صفة « النبي الامي » لا وجود لها على الاطلاق في التوراة والانجيل – وسنرد على استدراكك الاخير – لا تصريحاً ولا تلميحاً . ونحن في ذلك لا نتهم القرآن – حاشا لنا وكلّا . انما نقول أن كلمة « النبي الاميّ » قد تكون قراءة خاطئة « للنبي الآتي » في نبوءة موسى . كانت الكتابة بدون نقط : « السى الاى » اي « النبي الآتي » فقرؤوا « النبي الأميّ » . وأقحموا حديث « النبي الأمي » في القرآن . ونعرف أن القرآن يكرر ويردد تعليمه للترسيخ والتذكير ؛ وحديث « النبي الأمي » لا وجود له في القرآن على الاطلاق إلا في هذا الاقحام المزدوج .

والآية تنص على « النبي الامي الذي يجدونه **مكتوبا** عندهم في التوراة والانجيل » . انها كتابة ، لا إشارة . وليس في التوراة من كتابة ولا من اشارة الى نبي يأتي من الامم ، « الاميّين » ، الى بني اسرائيل . انما الله تعالى وعد بفم

موسى بالمسيح الموعود، «النبي الآتي»؛ ولا يمكن ان يكون المسيح الموعود «أميًّا» اي من الامم، غير بني اسرائيل.

واستشهادك بالآيات المذكورة فاتك كما فات غيرك مدلولها. إن الذين آمنوا بالدعوة القرآنية في أوانها ليس اليهود، ولا المسيحيين؛ إنما «الذين قالوا: انا نصارى (المائدة ٨٥). وهذا تقويم جديد لك ولغيرك. وهؤلاء «النصارى» تصفهم آية الاعراف بأنهم أمة من قوم موسى: «ومن **قوم موسى** أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (١٥٨)؛ وآية الصف بأنهم «طائفة من بني اسرائيل» آمنت بالمسيح (١٤). هؤلاء هم «اولو العلم» (الاسراء ١٠٧) او «الراسخون في العلم» (النساء ١٦٢) بحسب اصطلاح القرآن. هؤلاء هم في اصطلاح القرآن ايضاً المسلمون الاوائل قبل محمد والقرآن: «واذا يتلى عليهم قالوا: آمنا به، انه الحق من ربنا، إنّا كنا من قبله مسلمين» (القصص ٥٣). فالذين «قالوا: إنا نصارى» هم الذين آمنوا وحدهم بالدعوة القرآنية، لا اليهود ولا المسيحيون. فليس في القرآن من «شواهد عيانية مكية ومدنية حاسمة» تشهد بايمان اليهود والمسيحيين بالقرآن، ليكون ايمانهم برهاناً على صحة كتابة «النبي الامي» في التوراة والانجيل. يشهد بذلك موقف وفد نجران، الوفد المسيحي الوحيد، الذي باحث النبي وودعه ورجع خائباً. ونعرف انه كان من أهل البدعة.

٣) من هنا كان استدراكك الغريب الذي لا يليق بعالم مثلك: «ومما يصح أن يقال في هذا المقام: إن ما في أيدي اليهود والنصارى اليوم من أسفار لا يمكن أن يُجزم بأنه **هو نفسه** ما كان في ايديهم في عهد النبي ص بدون نقص او زيادة او جميع ما كان في ايديهم... ونشير خاصة في الانجيل المعروف باسم (انجيل برنابا) أحد الحواريين الذي فيه نصوص متفقة مع نصوص القرآن عن عيسى وحياته، ورسالة النبي وصفاته. ومهما يكن من المآخذ التي توجه الى هذا الانجيل فإن نصوص القرآن الذي لا يشك أحد في أنه يرجع تاريخياً الى الف

وثلاثمائة سنة ونيف **دليل قاطع** على ان في ما كان متداولًا في ايدي اليهود والنصارى من أسفار اشارات الى صفة النبي ص ورسالته » . (ص ١٦٨) .

يا ليتك لم تذكر (انجيل برنابا) . وجميع العلماء يعرفون انه منحول باسم برنابا ، وهذا لم يكن من الحواريين على الاطلاق . يا ليتك قرأت كتيّبي الذي أهديتك اياه : « انجيل برنابا شهادة زور عـــلى الانجيل والقرآن » . لكنت وجدت ان محور تعليمه ان **المسيح ليس عيسى ابن مريم ، بل محمد بن عبد الله** ! وهذا تكذيب للانجيل والقرآن ، للمسيحية والاسلام !

ثم ان الانجيل اليوم ينقل عن **المخطوطـــات الكبرى من القرن الرابع الميلادي — اي قبل** القرآن بمئتي سنة ونيف — الموجودة في متاحف مسكو ولندن وباريس والفاتيكان؛ والعلماء الملحدون أنفسهم يشهدون بصحتها وكتابتها في القرن الرابع . وليس فيها من نقص أو زيادة أو ضياع . فكيف يسمح لك علمك بأن تتهم أسفار الانجيل بالنقص أو الزيادة أو الضياع . فكل تلك الحملات العشواء لتبرير آية مقحمة على القرآن ، من قراءة مغلوطة !

٤) وتعود للتأكيد « على ان في اسفار العهد القديم والاناجيل **المتداولة اليوم** اشارات عديدة يمكن ان تكون من جملة ما ينطبق على صفات النبي ص ورسالته . وقد عقد السيد رشيد رضا في الجزء التاسع (٢٣٠ — ٣٠٠) فصلًا طويلًا على ذلك أورد فيه **ثماني عشرة بشارة** مستمدة من أسفار العهد القـــديم والاناجيل وناقش الشبهات التي يوردها المبشرون ، وأورد من الحجج والاقوال ما فيه المقنع لراغبي الحق والحقيقة في صواب استنتاجاته وقوة حججه ، وفي عدم قيام شبهات المشتبهين على أسس قوية » (ص ١٦٨) .

نقول : لقد قام بعمل رشيد رضا كثيرون من أمثاله . ونقلوا أكثر من « ثماني عشرة بشارة » . وليس في واحدة منها إشارة الى « نبي أمي » أي من

الامم غير بني اسرائيل ، سوف يأتيهم . انما كلها اشارات ونبوءات صريحة عن المسيح الموعود ، « ابن داود » . وبهذا اللقب حيّاً الشعب عيسى ابن مريم لدى مشاهدتهم معجزاته ومواقفه الخارقة .

٥) « وبمناسبة ورود كلمتي **التوراة والانجيل** لاول مرة في هذه السورة (الاعراف ١٥٧) نقول : وهذا يجر الى التساؤل عما عنى القرآن بالتوراة والانجيل في هذا المقام . فالقرآن صريح في ان الله أنزل التوراة والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام ، وآتاهما إياهما كما في البقرة ٥٣ ؛ آل عمران ٣ ؛ المائدة ٤٣ – ٤٧ . وهذه الآيات صريحة في ان **المقصود بالتوراة والانجيل** الكتابان اللذان أنزلا على موسى وعيسى عليهما السلام ، واحتويا التعاليم والتشريعات الربانية .

« هذا في حين ان المتداول اليوم في ايدي النصارى **ليس انجيلاً واحداً بل أربعة أناجيل...** وبين هذه الاناجيل **اختلاف غير يسير في النصوص والاحداث...** وليس هناك ما يساعد بجزم كذلك على معرفة ما اذا كان **في ايدي النصارى اليوم** مما يطلق عليه اسم الانجيل هو هذه الاناجيل المتداولة نفسها ، وملحقاتها ، او بعضها أو غيرها – وان كان في القرآن بعض القرائن التي تدل على انه كان في ايديهم **أسفار وقراطيس لم تصل الى عهدنا:** فليس في الاناجيل المتداولة نفسها اليوم ان عيسى عليه السلام **تكلم في المهد** ، وليس فيها قصة طلب الحواريين من عيسى عليه السلام استنزال مائدة من السماء . وهذا وذاك مما ذكره القرآن » .

كلا ، يا حضرة الاستاذ ، ليست « اربعة اناجيل » ؛ انما هي الانجيل الواحد على اربعة أحرف . وهذا الواقع له مثيله قبل جمع القرآن ، بحسب الحديث الشريف : « نزل القرآن على سبعة أحرف » باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني . راجع تفسير الطبري ، شيخ المفسرين . وهكذا يدل الواقع الانجيلي : نزل

الانجيل عـــلى اربعة احرف باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني . فليس اذن في الانجيل بأحرفه الاربعة «اختلاف غير يسير في النصوص والاحداث» .

وفاتك كما فات غيرك ان كتاب الله ، بحسب اصطلاح اليهود ، كان قرآناً مكتوباً وفرقانا غير مكتوب (وبالعبرية . مقرا — فرقة) وبالسريانية (قريانا — فرقونا) . وهذا هو ايضاً الواقع الانجيلي ، فإن الانجيل صريح جداً بأنه لم ينقل جميع ما علم يسوع وعمل . وقد نقلت **الاناجيل المنحولة** اي الروايات التي سموها أناجيل لتيسير اذاعتها ، كلام المسيح في المهد ، وقصة المائدة . فليس في ذكرها من غرابة على المسيحيين ؛ كما ليس فيه من شبهة للمسلمين على الانجيل بأحرفه الاربعة المتداولة . فالمكتوب غير المسموع كله (يوحنا ٢١ : ٢٠) .

وان التوراة والانجيل هما اليوم كما كانا في زمن النبي العربي : قابلها في مخطوطات القرن الرابع الميلادي الـــتي ينقلون عنها اليوم . وليس هناك من أسفار ولا قراطيس لم تصل الى عهدنا . وما ذكره لوقا في فاتحته يدل عـــلى تدوينات فردية سبقت التدوين المعصوم بالوحي ، كما في المصاحف التي أمر الخليفة عثمان بإتلافها .

وفاتك ايضاً انك تحصر البحث كله في جاهلية العرب ونصارى الحجاز . ألا اخرج الى عالم النور والعلم في عواصم العالم المسيحي الفسيح خارج الحجاز ، حيث كان المسيحيون في معزل مطلق عما يجري هناك ، والقرآن بمعزل عنهم .

ولا تنس ، بمناسبة **اسطورة التحريف** ، ان القرآن يسمي التوراة والانجيل اللذين كانا في زمانه : «كتاب الله» (٢ : ١٠١ ؛ ٣ : ٢٣ ؛ ٥ : ٤٧ ؛ ٨ : ٧٥ ؛ ٩ : ٣٧ ؛ ٣٠ : ٥٦ ؛ ٣٣ : ٦ ؛ ٣٥ : ٢٩)

وقول القرآن : «إنا نحن نزّلنا الذكر ، وإنا له لحافظون» (الحجر ٩) ، ينطبق على التوراة والانجيـــل والقرآن لان «الذكر» مرادف «الكتاب»

في اصطلاحه . وفي اطلاقه « الذكر » قد يعني الكتاب قبل القرآن : « فاسألوا أهل الذكر ، ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣ و ٤٤) : فهم « أهل الذكر » قبل القرآن .

٢ ـ شبهات على النص من حديث «النبي الامي» ذاته

بعد ذاك الاستطراد ، نعود الى درس حديث « النبي الامي » .

ان حديث النبي الامي يقطع مرتين متتاليتين (١٥٦ و ١٥٧) حديث موسى (١٥٥ و ١٥٩) ، وهو لا ينسجم مع خطاب موسى لربه ، **لا في النسق** ولا في الموضوع : فالاقحام ظاهر عليه .

١) **في الموضوع** ، حديث النبي الامي يناقض حديث موسى وخطابه لله . فموسى وقومه ، في ميقاتهم أخذتهم الرجفة فأخذوا يصلون الى الله (١٥٤) . وفي صلاتهم يقولون : « واكتب لنا في هـذه الدنيا حسنة ، وفي الآخرة ، أنا هدْنا اليك » (١٥٥) . كان اليهود يشتقون اسمهم من الهدى ـ والهدى كناية عن كتاب موسى : « ولقد آتينا موسى الهـدى » (٤٠ : ٥٣) ـ أو يشتقون الهـدى من اسمهم ؛ فالتورية « هدْنا » بارعة . فموسى وقومه يطلبون الى الله تسجيل يهوديتهم حسنة لهم . فأجاب الله أولاً بأن الحسنة لاهل التقى والزكاة والايمان . ثم أجاب بأن الحسنة انما هي في الايمان بالنبي الامي المكتوب في التوراة والانجيل (١٥٦) ؛ فما عليهم إلا أن ينتظر موسى وقومه ألفي سنة حتى تقوم لهم حسنة بالايمان بمحمد ! أمن المعقول ان يجيب الله على دعاء موسى وقومه لربهم بأن الهداية ليست في الموسوية ، بل في اتباع محمد ، «النبي الامي» البعيد ؟ وان يقول الله في رده على صلاة موسى ان محمداً مكتوب في التوراة والانجيل ؟ ففي الجوابين تعارض في الموضوع ، مما يشهد بأن حديث النبي الامي مقحم على الخطاب .

٢) وما معنى ذكر الانجيل في تفضيل الهداية بمحمد والقرآن (١٥٦) على الهداية بالموسوية (١٥٥)؟ فإقحام الانجيل في حديث موسى مع ربه كإقحام حديث النبي الامي.

٣) وفي الجوابين على دعاء موسى وقومه (١٥٥ – ١٥٦) **تعارض في الاسلوب**: جواب الله في الاول على الخطاب (١٥٥)؛ وفي الثاني على الغيبة: «عندهم، يأمرهم، ينهاهم ...» (١٥٦). ولا يصح فن الالتفات من المخاطب الى الغيبة، في كلام متعارض يخرج عن الموضوع.

٤) وما معنى دعوة الناس الى الايمان بمحمد، النبي الامي، في دعاء موسى لربه؟ (١٥٧) وما معنى اعلان محمد ايمانه «بالله وكلمته» اي بالمسيح، في حديث موسى مع ربه، وفي قصة موسى مع قومه في يوم الميقات والرجفة؟ (١٥٧ مع ١٥٤).

٥) وما معنى تصريحه، في حديث موسى من قومه بأن «من قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (١٥٨)، وهم «الطائفة من بني اسرائيل» التي آمنت بالمسيح ويظاهرها القرآن على اليهودية (الصف ١٤)؟ وما بين هذا التصريح، وبين حديث موسى يوم الميقات والرجفة نحو الفي سنة؟

فكل هذه الاعتبارات من النص نفسه تثبت بلا ريب ان حديث «النبي الأمي» مقحم على النص.

٣ – وهناك شبهات من القرآن كله على حديث «النبي الامي»

الشبهة الاولى: حديث «النبي الأمي» فريد غريب في القرآن.

ان حديث «النبي الأمي» لا وجود له على الاطلاق في القرآن كله، إلا في

هذا النص الوحيد الذي ثبت اقحامه على دعاء موسى لربه . وفي اسلوب القرآن من تكرار الفكرة الواحدة بأساليب مختلفة للترسيخ في اذهـــان السامعين، ما يدل على انه فريد غريب في القرآن، مقحم عليه في زمن الجمع . ولم يكن جامعو القرآن معصومين بالوحي .

الشبهة الثانية : إنه إقحام مثل غيره .

الاقحامات المشبوهة في القرآن معدودات، واضحات من القرائن القريبة والبعيدة . واقحامات معدودات دخلت النص عند جمـــع القرآن لا تطعن في صحته . ولم يكن الجامعون بمعصومين بالوحي حتى لا يجوز عليهم السهو . وعلى علم النقد النزيه ان يطهّر الوحي من كل دخيل عليه، كما يجري ذاـــك في التوراة والانجيل .

من الاقحامات الظاهرة كلمة « نصارى » في قوله : « كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » (البقرة ١٣٥) ؛ والاصل الذي يفرضه الحرف والمعنى هو : « كونوا هوداً تهتدوا ». فالشعار اليهودي الذي اطلقوه في جزيرة العرب ويحكيه القرآن هنا، تورية رائعة لاشتقاق الهدى من اسم اليهود الذي رخموه الى « هود » . ولا يمكن ان يقول النصارى واليهود عن بعضهما بعضاً : « كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا »، والتورية المذكورة خير دليل .

استبق الجلالان الاعتراض المفروض فقالا : « وقائل الاول يهود المدينة ! والثاني نصارى نجران » . ان وفد نجران كان مسيحياً، وكانوا مثل جميـــع المسيحيين في العالم يأنفون من وصمهم باسم «نصارى» وكان هذا اللقب اسم شيعة منبوذة عندهم . ومعروف ان سورة البقرة من أول العهد المدني، وإن تخللها فصول من سائر العهود المدنية ؛ ووفـــد نجران لم يفد على النبي إلا في عام الوفود، من آخر العهد . وكان النبي قد طهّر المدينة من اليهود قبل فتح مكة ؛

وطهر الحجاز كله منهم بعد الفتح : فلا يصح ان يحضروا المناظرة ويقولوا مقالتهم : « كونوا هوداً تهتدوا » . واقع حالهم يأبى ذلك .

ثم ان الخطاب كله في سورة البقرة جدال مع اليهود ، ولا أثر فيها ولا في ظروف تنزيلها لجدال مع النصارى على الاطلاق ، فقد كانوا « أمة واحدة » مع النبي وجماعته ، قبل اعلانهم جميعاً « امةً وسطاً » (البقرة ١٤٣) بين اليهودية والمسيحية . فكلمة « نصارى » مقحمة على الآية (البقرة ١٣٥) تتنافر معها نصاً وموضوعاً وواقع حال .

ومنها ايضاً اقحام « النصارى » في هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا **اليهود والنصارى** أولياء ! بعضهم أولياء بعض ! ومَن يتولّهم منكم فإنه منهم! إن الله لا يهدي القوم الظالمين » (المائدة ٥٤) — وقد كان لهذا الاقحام أسوأ الاثر في تاريخ المسيحية والاسلام ، فهو الذي سمّم العلاقات لدرجةٍ انقطع فيها سبيل الحوار بين الامتين من أصل واحد . فكيف يصح في السورة عينها ، وفي مقطعين متقاربين ان يحرم الموالاة مع النصارى ، وهو يشهد بأنهم « أقرب مودة للذين آمنوا ... ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا آمنا ، فاكتبنا مع الشاهدين » (المائدة ٨٤ — ٨٦) . فهذا اعلان بإسلامهم : فهل يمنع القرآن الموالاة مع النصارى، وهو يفرضها في القرآن كله! وفي هذا النص يصف النصارى « بالمحسنين » (٨٨) مع مقابلته بوصف اليهود « بالظالمين » (٥٤) . ووصفهم «بالظالمين » في القرآن كله يحصر منع الولاء مع اليهود وحدهم . ودليل آخر في مقابلة قوله « ومَن يتولهم منكم ، فإنه منهم » (٥٤) بقوله على لسان النصارى « ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » (٨٦). ومن مقارنة آية الولاء الممنوع (٥٤) بآية المودة والشهادة بالاسلام ، حيث يظهر أن « أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا » يتضح لنا أن كلمة « المشركين » سقطت في آية الولاء الممنوع ، وأُبدلت بكلمة « النصارى » . فأصل الآية الذي ينسجم مع آية المودة هو : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا **اليهود**

والمشركين أولياء، بعضهم أولياء بعض»؛ وهذا ما تظهره السيرة النبوية. فالاقحام والابدال ظاهر مكشوف لكل ذي عينين لم تطمسها عبادة الحرف.

فهذان المثلان شاهدان على أن صفة «الأمي» نعتاً «للنبي» مقحمة عليه، ولا ذكر في «النبي الآتي» لصفة «أمي» في التوراة والانجيل.

الشبهة الثالثة: القرآن يحصر النبوة والكتاب في ذرية اسحاق ويعقوب.

حديث «النبي الأمي» يتعارض مع موقف القرآن كله، حيث يحصر النبوة والكتاب في ذرية ابراهيم، من اسحاق ويعقوب والاسباط، لا من اسماعيل: «ووهبنا له (لابراهيم) اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب» (العنكبوت ٢٧)؛ «ولقد أرسلنا نوحاً وابراهيم، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب. فمنهم مهتد، وكثير منهم فاسقون. ثم قفينا على آثارهم برسلنا، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل» (الحديد ٢٦ — ٢٧). بحسب منطوق ومنطق الآيتين معاً في تسلسل الوحي من نوح الى ابراهيم الى موسى الى عيسى، تكون ذرية النبوة والكتاب في ابراهيم من اسحاق ويعقوب، لا من اسماعيل. ونلاحظ ان التقفية في النبوة تتسلسل الى عيسى، وتنقطع معه، بحسب ظاهر اللفظ ومضمونه. فلا مجال لذكر النبي «الأمي».

وحصر النبوة والكتاب في بني اسرائيل كان سبب تفضيلهم على العالمين حتى المسيح: «يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم، واني فضلتكم على العالمين» (البقرة ٤٧ و ١٢٢؛ قابل الاعراف ١٣٩؛ الجاثية ١٥؛ الاسراء ٧٠). وهذا التفضيل يمنع حديث «النبي الأمي» في دعاء موسى لربه، حيث الحسنة ليست في الموسوية، بل في المحمدية بعد الفي سنة.

فحصر النبوة والكتاب في بني اسرائيل، لا ينبىء عن مجال لنبي **«أمي»** يخرج من الامم لهداية بني اسرائيل: فحديث «النبي الامي» مقحم على القرآن.

قد يُردُّ على ذاك الحصر بهذه التصاريح : « لكل قوم هاد » (الرعد ٧) ؛ « ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا » (النحل ٣٦) ؛ « ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين (الحجز ١٠) ؛ « وان من أمة إلا خلا فيها نذير » (فالحر ٢٤) — فظاهرة ينفي حصر النبوة في قوم او امة او زمن .

نقول : ان صح المعنى الظاهر لهذه التصاريح ، فكيف يكون محمد « خاتم النبيين » ؟ (الاحزاب ٣٣) . ثم أليس من تعارض في حصر النبوة والكتاب في بني اسرائيل ، وتفضيلهم بسببها على العالمين ، مع تعميم النبوة والرسالة على « كل قوم » (الرعد ٧) ، « وفي كل أمة » (النحل ٣٦) ؟ لا تعارض بين الموقفين كما يظهر من أسلوب القرآن المتواتر في استخدام التعميم والتخصيص طرداً وعكساً : فهنا تعميم يُراد به التخصيص : ان النبوة في امة موسى ، وامة عيسى ، وامة محمد ، وكلها مبنية على وحدة الاله ، ووحدة الوحي ، ووحدة الاسلام (العنكبوت ٤٦) . مع ذلك يظل الكتاب والنبوة ميزة بني اسرائيل على العالمين . فالموقف من المضائق في القرآن ، الذي يحصر النبوة في ذرية اسحاق ويعقوب .

شبهة رابعة : في اطلاق صفة « الامي » على محمد

لا يأخذ القرآن صفة « الامي » هنا بمعناها اللغوي ، اي الذي لا يقرأ ولا يكتب ؛ إنما بمعناها الاصطلاحي ، نقلًا عن أهل الكتاب ، حيث « الامي » كناية عن غير الاسرائيلي وغير الكتابي ، فهو من **الامم** ، او الامة ، التي ليس لها كتاب منزل (آل عمران ٢٠ و ٧٦ ؛ الجمعة ٢) . **فالنبي الامي** يعني **النبي العربي** ، من الامة العربية التي ليس لها كتاب منزل .

وعلى هذا الاساس وصف القرآن محمداً : «وجدك ضالاً فهدى» (الضحى ٧) .

مع ذلك فاطلاق الاصطلاح « النبي **الأمي** » على محمد لا يصح .

أولًا لأنه بهدايته الى الكتاب والاسلام لم يعد «أميًا»؛ «وقل: آمنت بما أنزل الله من كتاب» (الشورى ١٥): كما ان النصارى من غير بني اسرائيل هم في عرف القرآن من أهل الكتاب.

ثانياً لأن محمداً من ولد اسماعيل بن ابراهيم، جد النبوة والكتاب؛ واسماعيل يعدّه القرآن من انبياء الكتاب (البقرة ١٣٦؛ آل عمران ٨٤). وابراهيم واسماعيل يصليان عند تأسيس الكعبة: «ربنا، وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويزكيهم **ويعلمهم الكتاب والحكمة**» (البقرة ١٢٩). وعليه يكون محمد ابن اسماعيل بن ابراهيم من أهل الكتاب.

فكيف يكون محمد «النبي الامي» أي من الاميين الذين لا كتاب لهم: و «هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم... ويعلمهم الكتاب والحكمة» (الجمعة ٢)؟

إنه «أمي» من «الاميين» العرب بنسبه (الجمعة ٢)؛ لكنه ليس «أمياً» بدعوته، فالقرآن «تفصيل الكتاب» (يونس ٣٧)، «أنزل اليكم الكتاب مفصلًا» (٦: ١١٤).

لذلك، ان صحت فيه صفة «الامي» نسباً الى العرب، فلا تصح فيه بالنسبة الى الكتاب وأهله؛ **والنبوة نسبة الى الكتاب**: من هذه الناحية ليس محمد «بالنبي الامي»؛ انه بالدعوة القرآنية من أهل الكتاب.

وهذه هي **النتيجة الحاسمة**: ان صفة «الامي»، من حيث النبوة والكتاب، لا تصح في محمد. لذلك فهي مقحمة على القرآن، من سهو الجامعين، وفي غفلة ساعة التدوين.

لا ننسى ان صحة نبوة محمد ليست موضوع بحث؛ انما كلامنا في صفة «الامي» التي لا تصح فيه من حيث النبوة والكتاب.

لذلك لا شبهة على التوراة والانجيل اذا لم توجد فيهما صفة « النبي الامي » ؛ ولا يطعن في صحة القرآن اقحام كلمة عليه سهواً وتقصيراً عند جمعه .

٤ – في الواقع ليس في التوراة والانجيل صفة «النبي الامي»[1]

ان المسيحيين يتلون الانجيل اليوم عن مخطوطات القرن الرابع ميلادي . فهي فوق كل شبهة بالنسبة للقرآن والاسلام .

والكتاب في عهده القديم قــد تُرجم الى اليونانية من قبل المسيح ، والى السريانية في عهد قريب من المسيح . فهو أيضاً فوق الشبهات بالنسبة للاسلام والقرآن .

وعلى أهل القرآن أن لا ينسوا هذا الواقــع التاريخي في أبحاثهم ، أو في حوارهم مع أهل الكتاب ، خصوصاً مع أهل الانجيل .

وهذا هو **الواقع التوراتي والانجيلي** : ان « النبي الآتي » الموعود في الكتاب ، قد حدّده « الكتاب والحكم والنبوة » تحديداً شاملا كاملا ، لا مجال للريب فيه متى ظهر . وقد أكد المسيح ابن مريم في الانجيل انه هو النبي الموعود في الكتاب .

١) من قبل موسى ، نعرف ان النبي الموعود لابراهيم يكون ابن ابراهيم . ونعرف من التوراة انه ابن اسحاق ويعقوب ويهوذا .

---

(١) في بحث لاحق يأتي تفصيل « البشارات والاشارات » الثانية عشرة التي اكتشفوها في الكتاب .

فيعقوب الشيخ قبل وفاته ينشد في مصير أسباط اسرائيل، فيقول في يهوذا: «لا يزول صولجان من **يهوذا**، ومشترع من صلبه حتى يأتي «يودو» وتطيعه الشعوب». هذه الآية من سفر التكوين (٤٩ : ١٠)، وهي تحصر الملك في يهوذا حتى مجيء النبي الموعود من يهوذا. وقد نقلنا اسمه بحرفه العبري «يودو» اي «الذي له»، اظهاراً للجناس اللفظي، **والتورية المقصودة في نسبه من يهوذا**. فالنبي الآتي يكون من يهوذا؛ لا من غير بني اسرائيل.

٢) وموسى، في شرعة النبوة، يقول:

«يقيم **لك** الله الهك نبياً، من **بينكم**، من **اخوتك**، مثلي، له تسمعون... أقيم لهم نبياً، من بين **اخوتهم**، مثلك، وأقيم كلامي في فيه، فيخاطبهم بجميع ما امره به. واي انسان لم يطع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فاني احاسبه عليه. **واي نبي تجبّر**، فقال باسمي قولاً لم آمره ان يقوله، أو تنبأ باسم آلهة أخرى، فليقتل ذلك النبي! فإن قلت في نفسك: كيف يُعرف القول الذي لم يقله الله؟ — ان تكلم النبي باسم الله، ولم يتم كلامه، ولم يقع، فذلك الكلام لم يتكلم به الله. بل لتجبّره تكلم به النبي: فلا تخافوا» (التثنية ١٨: ١٥-٢٢).

لقد أوّل السيد رشيد رضا وأمثاله هذه النبوة إشارة الى محمد، لأنها تقول «**من اخوتهم**» اي من العرب، اخوة بني اسرائيل (يعقوب)، من اسماعيل وهذا مثال على تحريف المعنى في إنطاق الالفاظ بغير معانيها.

والنص صريح: انه يقصد سلسلة انبياء بني اسرائيل، وخاتمتهم النبي الآتي الاعظم. فالنبوة سلسلة في بني اسرائيل حتى يأتي خاتمتهم المسيح. والنبي الموعود يقيمه الله «**لهم**» اي لبني اسرائيل لا لولد اسماعيل، يقيمه «**من بينكم**» لا من العرب. وهذا التحديد «من بينكم» يفسّر معـــنى «من أخوتك» أو «من اخوتهم». وهؤلاء الانبياء المتعاقبون، مع خاتمتهم النبي الاعظم، مرسلون الى

بني اسرائيـــل ، لا الى العرب . وهذا « النبي الآتي » يعلم الغيب ؛ أما محمد فيصرح فيه القرآن : « ولا اعلم الغيب » (٦ : ٥٠ ؛ ١١ : ٣١ ؛ ٧ : ١٨٧) . والسيد المسيح يصرّح بأن موسى « كتب عني » (يوحنا ٥ : ٤٦) .

فكل القرائن في التوراة والانجيل تدل على أن أنبياء الكتاب بعد موسى سيكونون كلهم من بني اسرائيل ، وخاتمتهم النبي الاعظم ، سيكون من بني اسرائيل ، لا من غيرهم .

ففي **شرعة النبوة الموسوية** لا مجال لنبي « أمي » يأتي من الامم ، وتكون رسالته الاولى لغير أهل الكتاب : فليس « النبي الامي » مكتوباً في التوراة والانجيل .

٣) ويأتي الملك داود فينبؤه الله ان النبي الاعظم سيكون « ابن داود » ، له مع النبوة صفة الملك . يأتي ذلك تلميحاً في سيرة داود ؛ قال الله للنبي ناثان : « اذهب وقلْ لعبدي داود : هكذا يقول الله . . . فقل الآن لعبدي داود : هكذا يقول الله الصمد : . . . قد أخبرك الله انه سيقيم لك بيتاً . ومتى تمت أيامك وأضجعت مع أبائك، وأقمتُ **من يليك من نسلك الذي يخرج من صلبك**، وأقورت له ملكه ، فهو يبني لي بيتاً لاسمي . وأنا أقرّ عرش ملكه **الى الابد** . وأنا أكون له أباً ، وهو يكون لي ابناً » (٢ ملوك ٧ : ١ — ١٤) . فالنبوءة تذكر مباشرة سليمان بن داود ؛ لكن المجاز ظاهر عليها من أبدية ملكه ، ومن صفة البنوة التي سيتحلى بها النبي الملك الموعود . وهذا النبي الآتي يكون من « نسل داود » و « من صلبه » . وفهم الجميع انه سيكون « ابن داود » . وهكذا حيّا الشعب يسوع في الايام المشهودة (متى ٩ : ٢٧ ؛ ١٥ : ٢٢ ؛ ٢٠ : ٣٠ و ٣١ ؛ مرقس ١٠ : ٤٧ — ٤٨ ؛ لوقا ١٨ : ٣٨ — ٣٩) .

والزبور يصرّح بذلك النسب تصريحاً كاملًا :

« لمـــاذا ارتجت الأمم؟ والشعوب هذّت بالباطل؟
قام مـــلوك الارض والعظماء، وائتمروا معاً على الله ومسيحه :

ــ لنقطـــع ربطهما ! ونلـــق عنّا نيرهما !
ــ الساكن في السماء يضحك ! والقـــدير يستهزىء بهم !

حينئـــذٍ ، بسخط يكلمهم وبغضبـــه يروّعهم :
إني مسحـــتُ ملكي عـــلى صهيون جبلي المقدس !

لأخبرنّ بحكم الله؛ قال لي : انت ابني ! أنا اليوم ولدتـــك
سلني فأعطيك الأمم ميراثاً لك ، وأطراف الارض ملكاً لك !»

(المزمور الثاني)

فالنبي الاعظم، والملك الاعظم، الموعود، سيكون « المسيح »، « ابن داود » و « ابن الله » معاً ، وسيملك على الدنيا كلها . فالنبي الآتي هو « ابن داود » ، لا غيره ، ومن غير بني اسرائيل .

٤) ويأتي الانبياء ، فيصفون شخصيته وسيرته ورسالته ، قبـــل مئات السنين ، حتى اذا ما ظهر يعرفه العالمون . ففي وقت واحد تقريباً ظهر ثلاثة أنبياء ، عاموس وميخا وأشعيا ، فذكر كل واحد أصلًا من أصوله :

ختم عاموس نبوءته بقوله :

« في ذلك اليوم أقيم **مسكن داود** الذي سقط ، وأسدّ ثلمه ، وأقيم ما تهدّم منه ، وأبنيه كما كان في الايام القديمة » (عا ٩ : ١١) .

فالنبي الآتي سيكون «ابن داود»، وهو يجدّد «مسكن داود»، كناية عن الامة والدولة والدين، بالطريقة التي سيراها الله.

وميخا يجدّد مولده في بيت لحم، ويذكر أصله من يهوذا، قبل داود:

«وأنت يا بيت لحم، أفراثا الصغرى في عشائر يهوذا
منك يولد لأجلي الذي سيملك على اسرائيل
ونسبه يرتقي في الزمن الى الايام القديمة» (٥: ١)

فالنبي الآتي هو ابن داود، ابن يهوذا، وسيولد من بلدة داود ويهوذا، في افراثا، الاسم القديم لبيت لحم. وسيملك على اسرائيل، قبل غيرهم. ونسبه أقدم من أصله البشري.

وأشعيا عظيم الانبياء في النبوّة والبيان، في أناشيد ثلاثة يسمي النبي الآتي «عمانوئيل»، اسماً رمزيًّا يعني «الله معنا»، فهو يدل على مصدره الالهي؛ ويذكر ولادته من «غلامة» عذراء: «وعاد الله فكلم آحاز (بلسان أشعيا) قال:

«سلْ لنفسك آية، من عند الله إلهك
سلها في العمق، أو من فوق، في العلاء»

فقال آحاز: لا أسأل، ولا أجرّب الله إلهي. قال:

«اسمعوا يا بيت داود: يهون عليكم
أن تسئموا الناس، ولا تسئمون إلهي!

لذلك يؤتيكم السيد نفسه آية: ها إن الغلامة
تحبل وتلد ابناً وتسميه عمانوئيل»
(اشعيا ٧: ١٤)

ولئلا يظن أحد بأن «عمانوئيل» هو ابن آحاز، أو ابن أشعيا نفسه، عاد النبي في نشيد ثانٍ يصف «عمانوئيل»، النبي الآتي، بصفات إلهية:

«لقد وُلد لنا ولد! وأعطي لنا ابن!
تدرّع السلطان على كتفه، ودعي اسمه:

المشير العجيب! الاله الجبار! أب الأبد! سلطان السلام!
لتدمْ رئاسته! لسلام لا ينتهي على عرش داود ومملكته!

كي يقرّها، ويوطّدها بالقسط والعدل، من الآن والى الابد!
ان غيرة الله الصمد صنعت هذا أرسل القدير كلمته فوقعت على اسرائيل»
(أشعيا ٩: ٦ — ٨)

تلك الصفات لا يطلقها الكتاب على مخلوق، نبياً كان او رسولاً؛ فالنبي الاعظم الموعود، اسمه «عمانوئيل» اي «الله معنا»، وصفاته تدل عليه. انه ينتسب الى الله نفسه، كما ينتسب الى داود. فبتوليته وإلهيته تمنعان أن تتم النبوة، وان تشير الى غير المسيح، «عيسى ابن مريم، رسول الله، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه».

وفي نشيد ثالث «لعمانوئيل» يصف تأييده بالروح القدس:

«من جذر يسّى[1] ينبت قضيب وفرع يَنْمِي من أصوله

عليه يستقر روح الله: روح الحكمة والفهم
روح الرأي والقدرة، روح العلم وتقوى الله ...

---

(١) يسّى اسم لداود.

«في ذلك اليوم، أصل يسّى يكون آية للعالمين
ويكون مثواه مجيداً»

(أشعيا ١١: ١ - ٢ مع ١٠)

فالنبي الآتي ميزته على الانبياء أجمعين انه ابن داود، وأنه يتصف، من دونهم أجمعين، بتأييد روح القدس له، ويكون «آية للعالمين». ويُجمع الانجيل والقرآن ان هذه الصفات في «النبي الآتي» لا تتحقق إلا في المسيح، عيسى ابن مريم.

٥) وتنتهي النبوة في بني اسرائيل مع النبي دانيال، قبل ظهور المسيح بقرن. ودانيال يعطي «النبي الآتي»، المسيح الموعود، اللقب الغني بمدلولاته، **ابن البشر**، الذي لا يحمل المسيح ابن مريم سواه في رسالته ودعوته:

«ورأيت في رؤى الليل، فإذا بمثل
ابن البشر آتيا على سحاب السماء
فبلغ الى القديم الايام وقُرِّب في حضرته!
وأوتي سلطاناً ومجدا وملكاً وجميع الشعوب والالسنة يعبدونه
وسلطانه سلطان أبدي لا يزول، وملكه لا ينقرض!»
(دانيال ٧: ١٣ - ١٤)

فالنبي الآتي، هو ابن البشر، لكنه ينزل من السماء، حيث كان عند القديم، ومن المقربين. ينفرد بالسلطان، وبعبادة العالمين. ونحن نجد في الانجيل والقرآن اصداء لهذه الصفات في المسيح ابن مريم، ولا يصح أن تنسب لغيره. وسر شخصيته في انه «**ابن البشر الآتي على سحاب السماء**»، والسير على سحاب السماء، استعارة كتابية متواترة تصف الالوهية؛ وهذا ما تدل عليه سائر الصفات. والمسيح ابن مريم، في محاكمته لدى مجلس القضاء الاعلى عند اليهود، شهد أمام الاحبار والعلماء انه «ابن البشر الآتي على سحاب السماء».

تلك بعض « البشارات والاشارات » في النبوة والكتاب ، الى « النبي الآتي » ؛ وكلها لا يمكن ان تنطبق الا على المسيح ، ابن داود ، وابن البشر ، وابن مريم ، « كلمة الله ألقاها الى مريم ، وروح منه » . فليس فيها ما يدل من قريب او من بعيد الى « نبي أمي » يأتي من غير بني اسرائيل . فنستغرب تخريجهم لها ، ونستهجن قول الاستاذ دروزة في تحليل رشيد رضا لها : « أورد ثماني عشرة بشارة . . . وأورد من الحجج والاقوال ما فيه المقنع لراغبي الحق والحقيقة في صواب استنتاجاته ، وقوة حججه ، وفي عدم قيام شبهات المشتبهين على أسس قوية » (التفسير الحديث ٣ : ١٦٨) .

إننا نوثي العلم والنقد والمنطق، في صواب تلك الاستنتاجات والحجج.

كلّا ، ليس في التوراة ذكر « للنبي الامي » ، ولا في الانجيل .

والانجيل ، في أحرفه الاربعة ، يؤكد ويعلن تحقيق النبوءات كلها في المسيح ابن مريم ، ابن داود ، ابن ابراهيم (متى ١ : ١) .

فهو وحده الذي يبشر به الملاك ، وبولادته من أم بتول لم يمسسها بشر ، وبنسبه من « داود أبيه » (لوقا ١ : ٢٦ — ٣٨) .

وهو وحده تتم فيه نبؤة أشعيا في « عمانوئيل » (متى ١ : ٢٢ — ٢٣) .

وهو وحده الذي أيّده الروح القدس ، فقد نزل عليه بهيئة حمامة يوم عماده ، وسار معه لا يفــارقه ساعة (مرقس ١ : ٩ — ١١ ؛ متى ٢ : ١٣ — ١٧ ؛ لوقا ٣ : ٢١ — ٢٢) .

ويستفتح دعوته بجامع الناصرة. يتلو نبؤة أشعيا في النبي الآتي الذي يؤيده

الروح القدس ، ويصيح في الجماهير : « اليوم تمت هذه الكتابة التي تليت على مسامعكم » (لوقا ٤ : ٢١) .

ويعلن ان زمان النبوءات يتم معـــه ، وأنه هو الذي يؤسس ملكوت الله الموعود . فاستهل دعوته بقوله : « لقد تمّ الزمان ! واقترب ملكوت الله ! فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٥) .

ويعلن في هيكل أورشليم ، يوم الحج : « ابراهيم أبوكم قد ابتهج في رؤياه ليومي ، فرأى وفرح » (يوحنا ٨ : ٦٦) .

وفي عيد اليهود يصيح بالسلطات والجماهير : « لو كنتم تصدقون موسى ، لصدقتموني أنا أيضاً ، لانه **كتب عني** » (يوحنا ٥ : ٤٦) . فهو يعلن ان نبوءة موسى في « النبي الآتي » قد تمت فيه ، فلا ينتظرون آخر .

وفي الجدل الاكبر على شخصيته وسلطانه ، بعد احتلال الهيكل ، قبـــل استشهاده ، يستجمع النبوءات كلها ويعلن لهم انه : ابن داود وربه معاً .

وفي محاكمته لتكفيره ، يعلن لهم أنه « ابن البشر الآتي على سحاب السماء » (مرقس ١٤ : ٦٢ ؛ متى ٢٦ : ٦٤) . فرأوا في نسبته لنفسه تلك النبوة شهادة في إلهيته ، فكفّروه وحكموا عليه بالاعدام : « ومكروا ومكر الله بهم والله خير الماكرين » .

لا حاجة الى سرد سائر التطبيقات النبوية التي يطبقها الانجيل على سيرة المسيح وشخصيته . فكل النبوءات قد تمت في يسوع المسيح ، بشهادة الانجيل . ولا تصح نبوءة منها في « نبي أمي » يأتي من غير بني اسرائيل . فالانجيل كله في ذلك تفصيل الكتاب وتصديقه .

والقرآن نفسه ، في الموضوع ذاته ، تفصيـــل الكتاب وتصديقه ؛ وبنصه

القاطع قد جعل الله « الكتاب والحكم (الحكمة) والنبوة » في بني اسرائيل حتى المسيح (آل عمران ٧٩ ؛ الانعام ٨٩ ؛ الجاثية ١٥) ؛ « ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما **النبوة والكتاب** » (الحديد ٢٦) ، كما يوضح ذلك في قوله : « ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب » (العنكبوت ٢٧) .

فالكتاب والانجيل والقرآن تحصر « النبوة والكتاب » في بني اسرائيل ؛ ولا تقول « بنبي أمي » يأتي من غير بني اسرائيل فلا يصح ان ينقض طرف آية، « النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » ، كل الكتاب والانجيل والقرآن ؛ ودلائل الاقحام بادية على تلك الآية الدخيل ، في غفلة من الجامعين ، في عهود التدوين .

لا ننس ان هذا البحث كله **محصور في صفة « الامي »** ؛ ولا يمسّ مقـــام النبوة في شيء .

فبشهادة الكتاب والانجيل والقرآن، إنّ النبي الاعظم الموعود هو المسيح، عيسى ، ابن مريم .

وليس في التوراة والانجيل من ذكر « للنبي الامي » ، العربي .

* * *

جزء ثانٍ : هل من بشائر واشارات الى محمد في الكتاب ؟

نعود الى قول الاستاذ دروزة (التفسير الحديث ٣ ص ١٦٨) : « وقد عقد السيد رشيد رضا في الجزء التاسع (٢٣٠ — ٣٠٠) من (تفسير المنار) فصلاً طويلاً اورد فيه **ثماني عشرة بشارة** مستمدة من أسفار العهد القديم والاناجيل .

وناقش الشبهات التي يوردهـــا المبشّرون، وأورد من الحجج والاقوال ما فيه المقنع لراغبي الحق والحقيقة، في صواب استنتاجاته وقوة حججه، وفي عدم قيام شبهات المشتبهين على أسس قوية».

ما لنا وللمبشرين، هذا الهاجس الدائم.

إن القضية قضية واقع وعلم ونقد نزيه.

وقد سبق رشيد رضا، صاحب «اظهار الحق» في إيراد تلك البشائر أو الاشارات الثمانية عشرة.

وبحثها يقتضي كتاباً برمته، هو قيد التحضير. نجتزء منه بهذا المختصر المفيد. وفي البحث السابق درسنا صفة **«الامي»** في الكتاب؛ وهنا نبحث **«قومية النبي»**.

البشارة الاولى: «النبي، من اخوتك».

«يقيم لك الله، إلهك، نبيًّا من وسطك، من اخوتك، مثلي، له تسمعون... أقيم لهم نبيًّا من وسط اخوتهم مثلك» (سفر التثنية ١٨ : ١٥ و ١٨).

سبق بحثها. ان قوله «من اخوتك» يعني عندهم من العرب، لان ولد اسماعيل هم اخوة بني اسرائيل. وفاتهم ان كل القرائن، «لك»، «لهم»، «من وسطك»، «من وسط اخوتهم» تقطع بأن «من اخوتك» مقتصرة على بني اسرائيل.

والتوراة هنا تعطي **شرعة النبوة عند بني اسرائيل**، كما تعطي شرعة الملك فيهم (التثنية ١٧ : ١٤ — ١٦). فلا يصح بحال من الاحوال ان تكون شرعة النبوة شهادة لنبي موعود يأتي من العرب، لبني اسرائيل

البشارة الثانية : « هم أغاروني بما ليس إلهاً ! أغاظوني بأباطيلهم ! فأنا أغيرهم بما ليس شعباً ، بأمة غبية أغيظهم » (التثنية ٣٢ : ٢١) .

قالوا : المقصود « بالامة الغبية » : العرب. فهنيئاً للقائلين القابلين بهذا اللقب. اما نحن فنرفضه قومياً ودينياً.

تاريخياً ، لقد أدّب الله بني اسرائيل بأمة بابل وأشور ؛ ثم بأمـــة سوريا الهلينية ؛ ثم بأمة الرومان . وبعد قتل المسيح ، **وبحسب نبوءة المسيح** ، دمر الرومان الامة والدولة والهيكل ، فلم يبق فيه حجر على حجر ، وذلك عام سبعين م . ولما جدّدوا الثورة عـــام ١٣٣ ، سحقوهم ومنعوا اورشليم عليهم ، وغيّروا حتى اسمها ، فصارت « ايلياء » . وصارت بلاد اليهودية مسيحية قبل الفتح الاسلامي ، الذي لم يفعل باليهود شيئاً في فلسطين ، لانهم كانوا مشردين . فالواقع التاريخي ينقض تخريجهم لهذه النبوءة .

دينياً ، ان « الامة الغبية » المقصودة، عندها « ما ليس إلهاً »؛ ولها « أباطيلها » أي أصنامها ، فهي أمة وثنية . والامة العربية التي زحفت على فلسطين كانت الاسلام : فهل أمة محمد وثنية ؟ يا لعار التخريج !

البشارة الثالثة : « جاء الله من سيناء وأشرق لهم ! من سعير ! وتلألأ من جبل فاران ! وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم » (التثنية ٣٣ : ٢).

قالوا : « مجيئه من سيناء اعطاؤه التوراة لموسى؛ واشراقه من سعير اعطاؤه الانجيل لعيسى؛ وتلألؤه من فاران انزاله القرآن ، **لان فاران من جبال مكة »**، ومنه أتت « نار شريعة لهم » .

هذا التخريج يسمّى : جرّ الجمل بشعرة !

١) ياقوت يقول في كتابه (المشترك وضعاً، والمختلف صقعاً) : « فاران اسم جبال مكة . وقيل اسم جبال الحجاز . وقال أبو عبيد القضاعي في كتاب (خطط مصر): وفاران والطور كورتان من كور مصر القبلية. وفاران أيضاً من قرى صفد سمرقند، يُنسب اليها أبو منصور الفاراني». فهناك اذن اربعة أماكن تحمل اسم فاران، **فلا يصح حصر النبوة بفاران الحجاز.** هذا اذا صحّ ان العرب سمت جبال مكة، أو جبال الحجاز، فاران .

٢) والكتاب يفسر بعضه بعضاً، فلا يصح تفسيره بغيره . ومتى قامت الدلائل والقرائن في نص، فلا يصح تأويلها بغيرها .

إن اشارات التوراة كلها تجعل **فاران قرب سيناء** (تك ١٤ : ٥ — ٦ ؛ تك ٢١ : ٢١ ؛ العدد ١٠ : ١٢ ؛ ١٢ : ١٦ ؛ ١٣ : ٣) ، على طريق هجرتهم من مصر الى فلسطين ؛ ولم يمرّوا على الاطلاق بالحجاز . وسفر التثنية يصف دخول أرض الموعد، بقيادة الله لشعبه، في مراحل الغزو : من سيناء، الى سعير، الى فاران، الى الارض المقدسة .

ويذكر الكتاب ان داود «نزل الى برية فاران» (١صمو ٢٥ : ١؛ ١ملو ١١ : ١٨) ، ولا يذكر الكتاب على الاطلاق ان داود غادر فلسطين الى الحجاز .

٣) النص المذكور يصف بطريقة شعرية مراحل غزو فلسطين : فلا يصح ان نرى فيها منازل الوحي التي يذكرون .

وبنص القرآن القاطع كان الوحي الى محمد بواسطة جبريل (البقرة ٨٩) ، لا من الله مباشرة . والآية التوراتية تقول : « جـــاء الرب » اي الله نفسه ؛ والكلام استعارة شعرية، فلا تسمح القرائن ان نحملها على الحقيقة والواقع .

فتخريجهم يأباه النص جملة وتفصيلاً .

البشارة الرابعة : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه : هـا أنا أباركه ، وأثمره ، وأكثره جداً ، فيلد اثني عشر ولداً . وأجعله أمة كبيرة » (التكوين ١٧ : ٢) .

قالوا : هذه النبوة تجعل من ولد اسماعيل من سيكون سيد شعب كبير . وهذا لم يتحقق في ولد اسماعيل إلا بمحمد . فنبوءة الكتاب تذكره .

بل ظاهر النص يقضي على هذا التخريج . فكما ان التوراة تذكر لاسرائيل اثني عشر سبطاً ؛ كذلك تذكر لاسماعيل اثني عشر ولداً ، أجداداً لأمة كبيرة. ولا مكان في النص لفظاً او معنى **للنبوة او للدولة وسيادتها.** وكانت العرب المستعربة من ولد اسماعيل تملأ الحجاز قبل ظهور محمد : فتمت النبوءة قبله .

البشارة الخامسة : « لا يزول قضيب (صولجان) من يهوذا ، ولا مشترع من بين رجليه ، حتى يأتي **شيلون** ، وله تخضع شعوب » (**التكوين ٤٩ : ١٠**) .

قالوا : « شيلون » هو لقب لمحمد الذي أتى وخضعت له شعوب .

نستغرب ونستهجن هذا التخريج : فكيف فاتهم ان « شيلون » هو من يهوذا ، **ومصدره من صلبه** ، « من بين رجليه » . وهو يأتي الى بني يهوذا ، لا الى العرب . ويأتي حالما يزول السلطان عن يهوذا ، لا بعد ستماية سنة من الاستعباد الروماني الرومي . وهذا ما تمّ مع المسيح ، فإنه « ابن داود » ، ابن يهوذا .

وظهر لما خرج السلطان من يهوذا الى يد الأميين. ولا يصح شيء من عناصر النبوة في محمد؛ ولا اشارة فيها على الاطلاق الى النبي العربي.

البشارة السادسة : « فاض قلبي بكلام صالح ! اني أنشد للملك : أنت أروع جمالاً من بني البشر ! ... تقلّد سيفك على فخذك أيها الجبار ! ... كرسيك، يا ألله، الى دهر الدهور ! قضيب استقامة قضيب ملكك ! » (المزمور ٤٥) .

قالوا : ان النبي الجبار، نبي السيف والبيان، هو محمد؛ فهو المقصود بهذه البشارة التي لا تنطبق على غيره.

والنشيد قد يكون له معنى واقعي، أو مجـــازي. فمن حيث التاريخ، هو نشيد زفاف لاحد ملوك اسرائيل.

وقد يُحمل على المجاز، ويقصد في الملك المذكور رمز النبي الملـــك الآتي. لكن السيف المذكور هو سيف الحق، لا سيف القوة. وفي النشيد تعبيران يمنعان من استخدامه بحق محمد : فالنشيد يطلق عليه لقب « الله »، او بالحري لقب « اله » — بالعبرية أيلوهيم —؛ ومن الكفر اطلاق هذا اللقب المجازي على محمد. ثم ان الآية (٨) تذكر « **مسحة** » الملك والنبوة، الدارجة عنـــد بني اسرائيل، ولم يعرفها العرب، ولا يذكر القرآن او الحديث او السيرة « مسحة » بزيت لمحمد.

فتأمل كيف يشطون بالتخريج الى التهريج.

البشارة السابعة : « غنّوا للرب ترنيمة جديدة ... تعظيم الله في افواههم،

وسيوف ذات حدين في أيديهم ؛ لاجراء الانتقام من الامم والتأديب للشعوب » (المزمور ١٤٩).

قالوا : هذه البشارة نبوءة عن أمة محمد ؛ انها أمة الحمد والسيف معا.

وفاتهم ان المزمور نشيد لبني اسرائيل أنفسهم ، كما يتضح من فاتحته : « ليبتهج بنو صهيون بملكهم (مز ١٤٩ : ١). فهل كان محمد ملك صهيون ؟ أم هل فرح بنو صهيون بمحمد ؟ ! حملات القرآن المتواترة عليهم خير شاهد.

البشارة الثامنة : « هوذا الاوليات قد أتت ؛ والحديثات أنا مخبر بها ... غنّوا للرب أغنية جديدة ... لترفع البرّية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار » (أشعيا ٤٢ : ٩ و ١١).

قالوا : انها نبوءة على يقظة الصحراء التي سكنها قيدار ، الابن الثاني لاسماعيل الى طريقة جديدة لحمد الله. فهي تشير الى محمد والاسلام في الحجاز.

والواقع النبوي يشهد بأن هذه البشارة نشيد من أناشيد الرجوع من جلاء بابل. والدعوة ليست فقط للصحراء (٤٢ : ١١) ، بل قبلها للبحر وجزره (٤٢ : ١٠) ، ثم لاهل الجبل (٤٢ : ١١). فهي تعمّ البشرية لاعلان انتصار الله على الاصنام بتحرير أهل التوحيد من جلاء بابل (٤٢ : ١٧). هذا هو نشيد الحمد لايام الله في اسرائيل. فمن التعسف المفضوح اقتصار الحمد على « الصحراء التي سكنها قيدار » ، للاستنتاج منها انها بشارة بهداية الجزيرة العربية الى طريقة جديدة لحمد الله. والقرآن صريح بأنه ليس طريقة جديدة لحمد الله ، انما هو « ذكر مَن معي وذكر مَن قبلي » ؛ ذكر من « سماكم المسلمين من قبل

وفي هذا » القرآن (الحج ٧٨) ؛ فيه يشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً بلا تفريق (الشورى ١٣) فالاقتصار الثاني على اسلام القرآن ينقض القرآن كله .

والواقع التاريخي يشهد بأن اليهودية عمت الحجاز قبل الاسلام ؛ وان المسيحية سادت في أطراف الجزيرة كلها ، ودخلت النصرانية مكة والمدينة قبل القرآن ، بشهادة القرآن نفسه . فلا يح اقتصار « الحمد الجديد » على الاسلام وحده . فقد سبح أهل قيدار ، في شمال الحجاز ، بالحمد التوراتي والانجيلي ، قبل القرآني ، بمئات السنين ؛ فــلا تنحصر النبؤة في محمد والاسلام ، حتى تكون بشارة بهما .

فالواقع التاريخي والواقع النبوي يأبيان ذلك التخريج الاعتباطي .

البشارة التاسعة : « ترنمي ايتها العاقر التي لم تلد ! اندفعي بالترنيم واصرخي ايتها التي لم تتمخّض ، فإن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعــل . قول الرب » (اشعيا ٥٤ كله) .

قالوا : المراد بالعاقر هنا مكة لانه لم يقم فيها نبي بعد اسماعيل ؛ ولم ينزل فيها وحي . وتعبير « بني المستوحشة » اشارة الى اولاد هاجر ، أم اسماعيل ، ومطلقة ابراهيم . و « الحداد » المذكور فيها (٥٤ : ١٦) اشارة الى محمد ، قاتل المشركين بسيفه .

ان الواقع النبوي صريح بأن هذه البشارة من أناشيد رجوع بني اسرائيل من جلاء بابل الى اورشليم ، التي كانت بدونهم كالعاقر المستوحشة . ان الله سيعيد عن قريب بني صهيون من جلائهم الى المدينة المقدسة ، وتصير العــاقر المهجورة أمّ بنين أكثر من ذات البعل ، وأكثر من قبل الهجرة .

والنشيد يسمي اورشليم العاقر ، والمهجورة ، والمستوحشة ، لان صهيون في مجاز الكتاب عروس الله . ولم ترد فيه تلك الكناية بحق مكة على الاطلاق . — وكيف ترد وهي كانت على الشرك والكفر ! والتنزيه القرآني يأبى مثل تلك الكنايات ، فتخريجهم هو ايضاً ضدّ حرف القرآن وروحه .

والعهد الجديد قد اعتبر اورشليم الجديدة رمزاً للمسيحية النازلة من السماء : « ورأيت المدينة المقدسة ، أورشليم الجديدة ، نازلة من السماء ، من عند الله ، مهيأة كعروس مزينة لعريسها ! وسمعت صوتاً جهيراً من العرش يقول : هوذا مسكن الله مع الناس ! أجل سيسكن معهم ، ويكونون له شعباً ، وهو « الله — معهم[1] » يكون إلههم » (الرؤيا ٢١ : ٢ — ٣) . فالنشيد المذكور رمز للمسيحية المولودة من الموسوية ، التي أمست عاقراً فهجرها الله الى « اورشليم الجديدة » .

وصار بنو المسيحية أكثر من بني الموسوية ، وأكثر من أمة محمد ؛ فلا تنطبق النبوة عليه وعلى أمته . وبما أن العهد الجديد فسّر النبوة لصالحه ، فعلينا أن نأخذ بوحيه ؛ وليس في القرآن شيء من ذلك ، فلا يضح لنا أن نجتهد برأينا بعد تصريح الوحي .

ومن المضحك المبكي تفسير « **الحداد** » في النشيد **بمحمد** ، وهذه هي الآية :

« ها اني أنا خلقت الحداد الذي ينفخ الجمر في النار ، ويُخرج أداة لعمله . وأنا خلقت **المفسد** للتدمير . فكل أداة أُنشئت عليكِ لا تنجح ! وكل لسان يقوم عليكِ في القضاء تدينه مؤثّماً . هذا ميراث عبيد الله ، وبرهم مني . قول الرب » .

---

(١) « الله — معهم » اي عمانوئيل ، لقب للمسيح .

فالحداد الذي يسعى لتدمير اسرائيل مفسد : فهل يليق هذا بالنبي العربي !؟ ألا يفطنون لنتائج تخريجهم التي ترتد عليهم ؟

البشارة العاشرة : « إني اعتلنت لمن لم يسألوا عني، ووجدت ممن يطلبوني... وأنتم الذين تركوا الله ، ونسوا جبلي المقدس ، الذين يهيئون المائدة لجَدّ ، ويعدّون الممزوج لمناة ، اني أعيّنكم للسيف ! وتجثون جميعكم للذبح ! . . . ها اني أخلق اورشليم « ابتهاجاً » وشعبها « سروراً » . . . (أشعيا ٦٥ كله) .

قالوا : هذه نبوءة لاستبدال اليهود بالمسلمين شعباً لله : « ويدعو عبيده باسم آخر » (٦٥ : ٢٥) ، كما يدل عليه ذكر « مناة » الهة العرب (٦٥ : ١١) .

يظهر ان القوم يقتصرون على بعض التعابير في نبوءة ، فيتمسكون بها ليفسروا **الكل على ضوء الجزء** ، فيؤولون النص تأويلاً تأباه قرائنه اللفظية والمعنوية . وليس هذا من النقد العلمي النزيه . رأوا في ورود اسم (مناة) احدى « الغرانيق العلى » عند العرب ، فحرّفوا النبوءة عن معناها ؛ وفاتهم ان « مناة » مثل « جدّ » المذكور معها (٦٥ : ١١) كانا من آلهة الكنعانيين والأراميين ، قبل مشركي العرب .

وفاتهم ان التجديد المشار اليه سيكون بفضل « **النسل الذي يخرج من يعقوب ، والوارث من يهوذا** » (٦٥ : ٦) . وأن التجديد سيكون لأورشليم واسرائيل : « تهللوا وابتهجوا الى الابد بما أخلق : فإني هاءنذا أخلق أورشليم ابتهاجاً ، وشعبها سروراً ؛ وأبتهج بأورشليم ، وأسرّ بشعبي » (٦٥ : ١٨ – ١٩) . وهكذا فإن استبدال اليهودية سيكون بالمسيحية ، بواسطة نسل يعقوب ووريث يهوذا ، كما صرّح به المسيح نفسه في مثل الكرّامين القتلة ، بأنه هو نفسه ابن رب الكرم ووريثه (متى ٢١ : ٣٣ – ٤٣) .

إنهم يتجاوزن صراحة النص ، وتفصيل الانجيل له ، الى اجتهاد ما أنزل الله به من سلطان في القرآن والانجيل والتوراة .

البشارة الحادية عشرة : نبوءة دانيال المزدوجة : صورة التمثال (كناية عن الشرك) الذي يمثل أربعة ممالك ؛ وفي زمن المملكة الرابعة ينقطع حجر من جبل « بغير يد قطعته » فيسحق التمثال والممالك الوثنية التي تحمله (٢ : ٣١ – ٤٥) ؛ وصورة ابن البشر الآتي على سحاب السماء لينشىء على الارض ملكوت الله ، على أنقاض ممالك العالم (٧ : ١٣ – ٣٧) .

قالوا : ان الحجر الذي ضرب تمثال الشرك هو محمد ، وملكوت الله هو الدولة الاسلامية التي قامت على أنقاض الفرس والروم .

إنها لطريقة غريبة في التفسير . يتعلقون بقشور بعض الكلمات ، من دون الالتفات الى لبانها والى قرائنها القريبة والبعيدة التي تنقض تخريجهم .

إن الحجر المعجز الذي يسحق التمثال، ويبني على انقاضه مملكة أبدية يظهر على أيام ملوك الدولة الرابعة الوثنية اي الرومان ، فإنه « **في أيام هؤلاء الملوك** يقيم إله السماء مملكة لا تنقض الى الابد، وملكه لا يُترك لشعب آخر؛ فتسحق وتفني جميع تلك الممالك ، أما هي فتثبت الى الابد » (٢ : ٤٣) . ومملكة الروم التي خلفت مملكة الرومان لم تكن وثنية ، بل مسيحية ، على دين الكتاب والانجيل . والاسلام لم يقم بعد فناء مملكة بابل وأشور، ومملكة فارس ومادي، ومملكة الاسكندر المقدوني، ومملكة الرومان التي « في أيام ملوكها » يفلت الحجر الرمزي المعجز ، وينشيء على انقاضها جميعاً ملكوت الله ؛ بل يظهر الاسلام بعد فناء تلك الممالك الاربعة بثلاثمائة سنة .

وقد طبق المسيح نفسه رمز الحجر المعجز على ذاته: «حينئذٍ قال لهم يسوع: أما قرأتم قط ان الحجر الذي رذله البنّاؤون هو صار رأساً للزاوية؛ من قبل الله كان ذلك وهو عجيب في أعيننا» (متى ٢١ : ٤٢)؛ فجمع نبوّة دانيال الى نبوّة الزبور (مز ١٠٧ : ٢٢ — ٣٣).

ومتى فسّر كتاب منزل كتاباً منزلاً، فلا يحق لنا الاجتهاد في موضع النص. والانجيل تبنى نبوّة دانيال؛ فبنى يسوع دعوته على انه ابن البشر الآتي ليؤسس ملكوت الله، كما يتضح في كل فصول الانجيل بأحرفه الاربعة. ففي محكم الانجيل وصريحه، يسوع هو ابن البشر — وهو اللقب الوحيد الذي اعتاد ان يتسمّى به — ورسالته هي تأسيس ملكوت الله.

فالانجيل، يدعمه التاريخ، يشهد بأن المقصود عند دانيال المسيح والمسيحية. ولا ذكر لشيء من ذلك في القرآن، لذلك فلا يصح ان نطبّق اعتباطاً نبوّة دانيال على محمد والاسلام.

البشارة الثانية عشرة : «هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليقيم دينونة على الجميع، ويعاقب جميع فجّارهم على فجورهم» (رسالة يهوذا، العدد ١٤ و ١٥).

قالوا: إن الرب هنا بمعنى السيد، وهو محمد؛ وربوات قديسيه الصحابة.

يا للعجب العجاب! يقودهم تخريجهم الى الكفر ولا يشعرون. أجل ان كلمة «رب» بالنكرة، او على الاضافة الى مخلوق قد تعني مخلوقاً، لكن متى اقترنت بأل العهد والعلمية، كما في الكتاب كله، لا تعني إلا الله تعالى — فمن الكفر اطلاقها على محمد!

وتعبير «ربوات قديسيه» لا يمكن ان تعني صحابة محمد، فقد كانوا معدودين، ولم يكونوا جميعهم قديسين. وفي لغة العهد الجديد، تعبير «القديسين» كناية عن المسيحيين.

و «الرب» في الآية «يصنع دينونة للجميع» اي انه ديّان العالمين وملك يوم الدين. ومن الكفر ايضاً اطلاق هذه الصفة على محمد، والقرآن يشهد: «انما انت مذكر! لست عليهم بمسيطر» (الغاشية ٢٢). وفي الانجيل يأخذ المسيح لنفسه صفة الديان للعالمين مثل الله (يوحنا ٥ : ٢٢) وصفة ملك يوم الدين (متى ٢٥ : ٣١ — ٣٣).

فلا ذكر في تلك الآية، ولا اشارة، الى محمد وصحابته؛ **انما الآية والرسالة كلها** حديث في المسيح والمسيحيين.

البشارة الثالثة عشرة: «وفي تلك الايام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برّية اليهودية قائلًا: توبوا، لانه قد اقترب ملكوت السماوات» (متى ٢ : ١—٢)؛ ويسوع نفسه يجدد الدعوة عينها (متى ٤ : ١٧).

قالوا: ان المسيح لم يؤسس دولة، وهو مع المعمدان سابقه يبشران بدولة الله في أرضه: فملكوت السماوات (اي الله) هو الاسلام دولةً وشريعة.

ونقول: ان التخريج قد بلغ هنا حدّ الوقاحة على الانجيل. ومتى قام النص بطل الاجتهاد. والانجيل كله يظهر ان ملكوت الله في عرْفه ليس دولة تقوم بحد السيف، انما هو سلطان الله على النفوس والعقول والقلوب، **دولة روحية**.

وان ملكوت الله يبنيه المسيح نفسه: «ومن ايام يوحنا المعمدان حتى الآن،

ملكوت السماوات يُغتصب، والمغتصبون يأخذونه عنوة» (متى ١١: ١٢).
ويصرّح ان انتصاره على الشيطان برهان قيام الملكوت بينهم: «وأما ان كنت بروح الله أخرج الشياطين، فذلك ان ملكوت الله قد قام بينكم» (متى ١٢: ٢٨). قام بينهم بالحسنى على حياة المسيح؛ ولكن بعد قيامته ورفعه الى السماء سيقوم بقوة: «ان من القائمين ههنا مَن لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة» (متى ١٦: ٢٨؛ مرقس ٩: ١؛ لوقا ٩: ٢٧). فليس في الانجيل من انتظار لملكوت الله بعد المسيح بمئات السنين ولا من معنى لدولة بحد السيف.

وفي درس جامع للانجيل بأحرفه الاربعة، في معنى ملكوت الله، تظهر قباحة التحريف والافتراء على الانجيل.

البشارة الرابعة عشرة: «يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها انسان وزرعها في حقله . . . فصارت شجرة تؤمها طيور السماء، وتعشش في اغصانها» (متى ١٣: ٣١ – ٣٢).

قالوا: ان حبة الخردل التي تصير شجرة، صورةٌ لملكوت الله، هي كناية عن الاسلام، والنجاة فيه بشريعته.

تكفي قراءة الفصل كله، في تمثيل ملكوت الله بالامثال، حتى يعرف الأمي نفسه معناه؛ وكيف طبقها المسيح كلها على نفسه: «الذي يزرع الزرع الجيّد هو ابن البشر (لقب المسيح)؛ والحقل هو العالم؛ والزرع الجيد الملكوت وبنوه» (متى ١٣: ٣٧).

وقال يسوع لصحابته بمناسبة تلاوة امثال الملكوت عليهم: «لقد أوتيتم

أنتم ان تعرفوا اسرار ملكوت الله... فطوبى لعيونكم لانهـــا تبصر، ولآذانكم لانها تسمع! الحق اقول لكم: ان كثيرين من الانبياء والاولياء قد اشتهوا ان يروا ما أنتم راؤون ولم يروا، وأن يسمعوا ما أنتم سامعون ولم يسمعوا» (متى ٣: ١٠ — ١٧). فإن نبوآت الانبياء، ورغبات الاولياء، تتم في مشاهدة صحابة المسيح لظهور الملكوت واطلاعهم على اسراره.

فكيف يقرؤون، وكيف يفهمون؟!

البشارة الخامسة عشرة: «هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخرين» (متى ٢٠: ١ — ١٦).

قالوا: هذا المبدأ الانجيلي نبوءة عن الاسلام، دين الله في أرضـــه، فهو يبشر بأن المسلمين، آخر من ظهر من أهل الكتب المنزلة، سيكونون أولين، والاولين من اليهود والنصارى سيكونون آخرين.

ألا بورك التخريج والتهريج! ان تحريف الانجيل يبلغ هنا حد التزوير الرخيص المفضوح.

فالمسيح يعلن لتلاميذه: «لا تخف ايها القطيع الصغير، فقد رضي أبوكم السماوي ان يعطيكم الملكوت» (لوقا ١٢: ٣٢).

ويقول لهم: «انتم أوتيتم معرفة اسرار ملكوت الله» (لوقا ٨: ١٠).

وعند رفعه الى السماء يأمرهم بالرسالة الانجيلية في العالم أجمع، للخليقة كلها، ويصرح لهم: «وها أنا معكم طول الايام الى انقضاء الدهر» (آخر آية عند متى).

فهل تعليم المسيح كاذب؟ وهل وعده أكذب؟

ومن جهة أخرى ، يعد المسيح أتباعه بتنزيل الروح القدس عليهم ، للتأييد المطلق مدى الدهر : « يقيم معكم ، ويكون فيكم » (يوحنا ١٤ : ١٧) ، « يعلمكم كل شيء ، ويذكركم جميـــع ما قلت لكم » (يوحنا ١٤ : ٢٥) ، « روح الحق **يشهد لي** وأنتم معه شاهدون » (يوحنا ١٥ : ٢٦ - ٢٧) ، ويفحم العالم على خطيئته ، وعلى برّكم ، وعلى دينونة الله (يوحنا ١٦ : ٨) ، « روح الحق يرشدكم الى الحقيقة كلها » (يوحنا ١٦ : ١٢) .

فهل بعد تأييد الروح القدس الدائم للمسيحية لتوطينها في العالم « الى انقضاء الدهر » ، يمكن تفسير المبدإ المذكور ، على النحو الموتور ؟

البشارة السادسة عشرة : قال المسيح لليهود : « أما قرأتم قط في الكتب : ان الحجر الذي رذله البنّاؤون صار رأساً للزاوية . من قبل الرب كان ذلك ، وهو عجيب في أعيننا ! من أجل هذا اقول لكم : ان ملكوت الله يُنزع منكم ، ويعطى لأمة تؤدّي ثماره » (متى ٢١ : ٤٢ — ٤٣) .

قالوا : ان ملكوت الله الذي يُنزع من اهل الكتاب ويعطى لأمة أخرى تؤدّي ثماره ، هو الاسلام ؛ وان الحجر رأس الزاوية فيه ، هو محمد .

هذا مثال مفضوح على اسلوب التضليل في التأويل . فما أسهل عزل آية او قول عن نصه وبيئته البيانية ، لصبغه بمعنى يناقضه !

يسوع تحدّى اليهود بمثل الكرامين القتلة ، الذين يقتلون النبيين بغير حق ، وهم يتآمرون على قتل المسيح نفسه (متى ٢١ : ٣٣ — ٤٦) . وردّ على مكرهم بالاستعارة النبوية في الحجر المرذول (المزمور ١١٧ : ٢٢ — ٢٣) الذي سيكون حجر الزاوية في ملكوت الله ، **وطبقه على نفسه** بقوله : « أما قرأتم قط في الزبر ... « وطلبوا ان يقبضوا عليه » لقتله (٢١ : ٤٢ و ٤٦) .

وفي المثل يصور المسيح نفسه أنه «**ابني .. ابنه .. الوارث**» لملكوت الله، بينما الانبياء جميعهم «**عبيد**» الله. فهو يجعل نفسه ابن الله، وبهذه الصفة، الوارث الشرعي الوحيد لملكوت الله أبيه — أليس من الكفر بحق القرآن ونبيه وصف محمد بابن الله؟ ووارث لملكوت الله «أبيه»؟

إنهم يكفرون بحق القرآن ونبيه من حيث لا يدرون.

البشارة السابعة عشرة: «من يغلب ويحفظ أعمالي الى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الامم» (الرؤيا ٢ : ٢٦ — ٢٩).

قالوا: الغالب الموعود، الذي وحده أعطي سلطاناً على الامم، هو محمد.

هذا التصريح تفتيش أعمى، في زوايا الرؤيا، ليروا فيها اشارة. وفاتهم ان الرؤيا كلها كشف لسلطان المسيح على سير التاريخ في البشرية. فهو الذي أخذ من يد القديم سفر القضاء والقدر المختوم بسبعة أختام لحجبه عن المخلوق. يقول الرائي: «فأخذت أبكي بكاء كثيراً، لانه لم يوجد أحد يستحق ان يفتح الكتاب، ولا انه ينظر اليه. فقال لي أحد الشيوخ (المقربين): أمسك عن البكاء! فهوذا **قد غلب الاسد**، الذي من سبط يهوذا، فرعُ داود! فهو اذن يفتح الكتاب وختومه السبعة»، وأنشد أهل السماء نشيداً جديداً لأسد يهوذا، السيد المسيح: «مستحق انت ان تأخذ الكتاب، وتفض ختومه، لانك ذُبحتَ وافتديت لله أناساً من كل قوم ولسان، وشعب وأمة؛ **وجعلتهم لالهنا ملكوتاً** وكهنة؛ **وسيملكون على الارض**» (الرؤيا ف ٥ كله).

فالغالب القهار هو المسيح نفسه، لا غيره.

والغالب معه، في الآية التي بها يستشهدون، هو ايضاً المسيحي الذي يغلب

الوثنية والشرك، ولا ينغلب لهـــا، لانه حفظ «وصية ابن الله» اي انجيله (٦ : ١٨).

فسفر الرؤيا كله، جملةً وتفصيلاً، ينقض تفسيرهم المغرض المفضوح.

الشهادة الثامنة عشرة: النبوة بالفارقليط، في الانجيل بحسب يوحنا (١٤ : ١٦؛ ١٤ : ٢٦؛ ١٥ : ٢٦؛ ١٦ : ٧ -- ٨؛ ١٦ : ١٢ - ١٤).

قالوا: ان الفارقليط الموعود هو «احمد» المذكور في القرآن (الصف ٦).

سيأتي الجواب عليه، ومحوره ان **الفارقليط ذات الهية**، بحسب الانجيل؛ فمن الكفر بالانجيل والقرآن نسبته الى محمد.

تلك هي «البشارات والاشارات» التي رأوا فيهـــا ان محمداً «مكتوب عندهم في التوراة والانجيل».

وقد لمسنا لمس اليد أنها نبوءات وشهادات للمسيح وحده.

والنتيجة الحاسمة انه ليس في التوراة، ولا في الزبور، ولا عند النبيين، ولا في الانجيل، اشارة الى محمد، النبي العربي. فالمسيح فيها خاتمة النبوة والكتاب.

إنها عقدة نفسية، على أهل القرآن ان يتخلصوا منها. اذا كان الله قد ميّز المسيح على الانبياء بالإنباء عنه قبل ظهوره — وليست الميزة الوحيدة — فلم يبشر الله بموسى ولا بإبراهيم، ولا بأحد من الانبياء: وهذا لا ينقص من قيمة نبوءتهم وفضل دعوتهم؛ كما لا ينقص من كرامة محمد اذا لم يكن «مكتوباً عندهم

في التوراة والانجيل » . والإنباء السابق بالمسيح من باب المفاضلة بين الانبياء (٢ : ٢٥٣ ؛ ١٧ : ٥٥) كفضل تأييد المسيح بالروح القدس (٢ : ٢٥٣ ؛ ١٧ : ٢١ و ٢٥) : ولا يشكل ذلك نقصاً او انتقاصاً في نبوّتهم .

* * *

جزء ثالث : الرسول «أحمد» في الانجيل

توطئة : قصة «أحمد» في القرآن والسيرة

١) في سورة (الصف) هذه الآية اليتيمة :

« واذ قال عيسى ابن مريم : يا بني اسرائيل، اني رسول الله اليكم ، مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة ، **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** . فلما جاءهم بالبيّنات قالوا : هذا سحر مبين » (٦) .

٢) تفسير الآية في السيرة النبوية[١] .

« صفة رسول الله ص من الانجيل » :

« وقد كان ، فيما بلغني ، عما كان وضع عيسى ابن مريم ، فيما جاءه من الله في الانجيل ، لاهل الانجيل مما أثبت يُحَنّس الحواري لهم ، حين نسخ لهم الانجيل ، عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام ، في رسول الله ص انه قال :

«مَن أبغضني فقد أبغض الرب. ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي ، ما كانت لهم خطيئة . ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يُعزّونني

(١) ابن هشام : السيرة النبوية . الجزء الاول ص ٢٤٨ . اخراج مصطفى السقا ورفقائه .

(يغلبونني) ، وايضاً للرب . ولكن لا بدّ من أن تتم الكلمة التي في الناموس : انهم أبغضوني مجاناً — اي باطلا . فلو قد جاء **المُنْحَمَنّا** ، هذا الذي يرسله الله اليكم من عند الرب ، **روح القدس** ، هـــذا الذي من عند الرب خرج ، فهو شهيد عليّ ، وأنتم ايضاً ، لانكم قديماً كنتم معي . في هذا قلت لكم ، لكيما لا تشكوا » .

أضاف ابن هشام على نص ابن اسحاق : « المنحمنّا : بالسريانية محمد ؛ وهو بالرومية : **البَرَقْلِيطُسْ** ، صلى الله عليه وسلم » .

فأهل السيرة يرشدونا في اسم « احمد » الوارد في القرآن ، الى لفظه السرياني والرومي ، « مما أثبت يُحنّس الحواري لهم ، حين نسخ لهم الانجيل » .

١ — « أحمد » في القرآن

نوجز الواقع القرآني في هذه الاعتبارات .

١) اسم النبي العربي في القرآن هو « محمد » ، كما يرد في اربع آيات :

« ما **محمد** إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » (آل عمران ١٤٤) .

« ما كان **محمد** أبا أحد من رجالكم » (الاحزاب ٤٠) .

« وآمنوا بما نزّل على **محمد** » (محمد ٢) .

« **محمد** ، رسول الله » (الفتح ٢٩) .

لذلك فوروده بلفظ « **أحمد** » مرة يتيمة مشبوه، ولا يعرفه الواقع التاريخي.

٢) ان تغيير اسم «محمد» المتواتر الى «أحمد» في لفظة يتيمة في القرآن كله، تغيير مقصود، لكي ينطبق على قراءة شاذة، لا اصل لها في المخطوطات الانجيلية كلها، في كلمـــة «الفارقليط» بحسب الانجيل. فالتحريف ظاهر ومزدوج في القرآن، وفي الانجيل كما سنرى.

٣) في القرآن كله، في النصوص كلها التي يرد فيها ذكر المسيح، ظاهرتان:

الأولى: يقفّي القرآن على كل الرسل بالمسيح، ولا يقفّي على المسيح بأحد (البقرة ٨٧؛ المائدة ٤٩؛ الحديد ٤٧).

الثانية: المسيح نفسه، في ما ذكر القرآن عنه، لا يبشر بأحد من بعده على الاطلاق، إلا في بعض تلك الآية اليتيمة.

وهذا يجعل تعارضاً ما بين الموقف المتواتر، والموقف الشاذ اليتيم فيه.

والعقيدة في كتاب منزل تؤخذ من المحكم فيه، لا من المتشابه.

٤) وفي محكم نظم القرآن، اذا أُسقط بعض الآية المشبوه، لا يختل النظم ولا البيان ولا التبيين ولا السياق اللفظي او المعنوي: «يا بني اسرائيل، اني رسول الله اليكم، مصدّقاً لما بين يديّ من التوراة. فلما جاءهم بالبيّنات قالوا: هذا سحر مبين».

يؤكد ذلك المعنى نفسه المتواتر في (آل عمران ٥٠؛ المائدة ٤٦؛ الزخرف ٦٣): ففيها جميعاً لا يبشر المسيح برسول من بعده.

فهذا الواقع المتواتر يشير الى اقحام مكشوف في آية الصف (٦).

٥) سورة الصف كلها حملة على اليهود الذين كفروا بموسى (٥) وبعيسى (٧ ويكفرون بمحمد (٨ — ٩). ويختم السورة باعلان تأييد الدعوة القرآنية

للنصرانية على اليهودية، حتى «أصبحوا ظاهرين» (١٤). فلا إشارة في السورة، ولا دليل، يقضي بهذه الاضافة: «ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد» (٦).

فتأمل موقف اليهود من المسيح وهــو يبشرهم برسول يأتيهم من العرب الوثنيين! فلو فعل لكفّروه مرتين، ولقتلوه مرتين!

٦) ليست قراءة «اسمه أحمد» ثابتة. فهي غير موجودة في قراءة أبي[1]. **وهذا دليل أثري على تطور الاقحام قبل التدوين الاخير.**

فيحق لنا اسقاط قراءة «اسمه احمد». حينئذ يأتي التبشير «برسول يأتي من بعدي» متطابقاً في القرآن والانجيل على الروح القدس.

٧) الانجيل يعتبر المسيح خاتمــة النبوة والكتاب. والقرآن يصدق الانجيل في ذلك، اذ انه لا يقفي، في تسلل الرسل، على المسيح بأحد. والرسول الذي يبشر به الانجيل، هو الروح القدس؛ وهو ليس ببشر؛ ولا يظهر لبشر حتى يكون «رسولاً بشراً»، «اسمه احمد».

فكل تلك القرائن والدلائل تشير الى إقحام «اسمه أحمد» على آية الصف؛ وقد اسقطت الاقحام قراءة أبي.

٢ ــ «الفارقليط» في الانجيل.

في الانجيل بحسب يوحنا، الذي تقودنا اليــه السيرة لابن هشام، لا كلمة

(١) Blachère : le Coran. T II p. 909.

« الفارقليط » تعني « أحمد » ؛ ولا أوصاف « الفارقليط » فيه يمكن ان تعني « محمداً » ، او بشراً على الاطلاق .

وفي توحيد السيرة، نقلاً عن الانجيل ، بين الفارقليط والروح القدس ما كان يغنيهم عن ورطتهم . فالانجيل يقول « الروح القدس » على العلمية ، وسنرى معناه في الانجيل . والقرآن يجعل « روح القدس » جبريل (النحل ١٠٣ ؛ البقرة ٩٢). فكيف يكون الفارقليط، **روح القدس، جبريل، النبي « احمد »**؟ وكيف خفي هذا عن أهل السيرة وأهل التفسير ؟. وكيف يمكن لعاقل اليوم ان يدعي بأن « أحمد » هو الفارقليط ، روح القدس ؟ أكان ذلك بحسب قراءة القرآن ، ام بحسب قراءة الانجيل ؟

والواقع الانجيلي فيه مسألة أثرية، ومسألة موضوعية .

١) **المسالة الاثرية** . ان المخطوطات الكبرى التي ينقلون عنها الانجيل ، والموجودة في المتاحف الشهيرة ، هي من القرن الرابع ميلادي ، قبل القرآن بمئتي سنة ونيف .

وكل المخطوطات قرأت الفارقليط، البارقليطس : Παραχλυτός اي المعين — وبعضهم ترجم : المعزّي ، المحامي ، المدافع — ولم يقرأ مخطوط على الاطلاق Περίχλυτος اي محمود الصفات ، احمد الافعال ، كثير الحمد .

لكن في نقل الكلمة اليونانية بحــرفها الى العربية « برقليطس » ضاعت القراءة اليونانية الصحيحة ؛ وجاز تحريف المعنى الى « أحمد » . فقوّلوا الانجيل ما لم يقل . وقد حاول تقويم التحريف الذين قرأوا « فارقليط » القريب في مخرجه من مطلع الحرف اليوناني .

فليس في الحرف اليوناني الصحيح ، الثابت في جميع المخطوطات ، من أثر لقراءة تعني « احمد » .

٢) **المسألة الموضوعية**. كذلك ليس في اوصاف الفارقليط، في الانجيل، ما يصح ان ينطبق على مخلوق: فكيف يطبقونه على بشر رسول؟

في **حديث اول**، قال يسوع: «وانا أسأل الآب فيعطيكم فارقليط آخر، **ليقيم معكم الى الابد، روح الحق**، الذي **لا يستطيع العالم ان يراه**، ولا يعرفه. اما انتم فتعرفونه، لأنه يقيم معكم، **ويكون فيكم**» (يوحنا ١٤: ١٦ – ١٧).

تلك الاوصاف تدل على الهية الفارقليط:

الفارقليط يقيم مع تلاميذ المسيح الى الأبد – وليس هذا في قدرة مخلوق.

الفارقليط هو «روح الحق»، **اي روح الله**. وهو ايضاً **روح المسيح** لأن المسيح وصف نفسه: «الحق» (يوحنا ١٤: ٦) – فهو روح الله وروح الحق. ومن الكفر نسبة هذه المصدرية الى مخلوق.

الفارقليط يتمتع **بطريقة وجود الله** في كونه وعالمه: الوجود الخفي، لذلك «لا يستطيع العالم ان يراه» – ومن الكفر نسبة تلك الصفة الى بشر.

الفارقليط يتمتع **بسعة الله، وروحانيته**، في إقامته بنفوس المؤمنين. «يقيم معكم، ويكون فيكم» – ومن الكفر إسناد هذه الصفة لمخلوق.

فكيف يكون الروح القدس، الفارقليط، النبي «أحمد»؟ او اي بشر رسول؟ او أيّ مخلوق؟

ومن ناحية أخرى، فإن الفارقليط، الروح القدس، يبعث الى الحواريين الذين يخاطبهم المسيح، مسلياً لهم في رفعه عنهم الى السماء. فكيف يكون الفارقليط «أحمد» الآتي بعد ستماية سنة للعرب؟!

فكل القرائن اللفظية والمعنوية تدل على ان الفارقليط لا يمكن ان يكون

بشراً، ولا مخلوقاً. وصفاته الإلهية وخلوده وعمله في المسيحيين «الى الابد»، براهين ساطعة على الهيته.

في **حديث ثان**، يقول يسوع: «قلت لكم هذه الاشياء وانا مقيم معكم. والفارقليط، **الروح القدس**، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو الذي يعلمكم كل شيء، ويذكركم بجميع ما قلت لكم: (يوحنا ١٤ : ٢٥ – ٢٦).

هنا يسمي الفارقليط، باسمه المتواتر: «الروح القدس». لاحظ التعبير المطلق، على العلمية: فهو «الروح» على الاطلاق – وهذه صفة الهية؛ وصفة «القدس» تنزيه له عن المخلوق، لان «القدس» في لغة التوراة والانجيل والقرآن كناية عن الله، بصفة التجريد والتنزيه. ولاحظ الفرق العظيم مع التعبير القرآني، «روح القدس»، مرادفاً لجبريل، فهنا إضافة للتشريف، لا للمصدرية. انها تسمية، ما بين الانجيل والقرآن، على طريقة المشاكلة، لا على طريق المقابلة. وبما ان «روح القدس» هو جبريل في القرآن، فقد كفر بمحمد نفسه مَن جعل محمداً الملاك جبريل، روح القدس، الفارقليط.

هذا في ذات الفارقليط. وفي صفاته يقول:

ان الفارقليط يرسله الله باسم المسيح – فهل ارسل «أحمد» باسم المسيح؟

ان الفارقليط يعلم الحواريين كل شيء – فهل تخطى «أحمد» الزمن وظهر للحواريين «يذكرهم جميع ما قاله المسيح لهم»؟

والفارقليط يعلم رسل المسيح «كل شيء»: هذا هو العلم الرباني وسعته الالهية – فهل ينطبق هذا على بشر؟ أم على مخلوق؟

فذات الفارقليط وصفاته تمنع من ان يكون «أحمد»، الرسول البشر.

ان مصدر الفارقليط الالهي ، وعمله الالهي ، أسمى من المخلوق ؛ ورسالته تتمة لرسالة المسيح ، وهي مخصوصة برسل المسيح والمسيحية .

في **حديث ثالث** قال : « ومتى جاء الفارقليط ، الذي **ارسله اليكم** من لدن الآب ، **روح الحق** ، الذي **ينبثق من الاب** ، فهو يشهد لي ، وأنتم ايضاً تشهدون ، بما أنكم معي منذ الابتداء » (يوحنا ١٥ : ٢٦) .

هذه الآية تعلن مباشرة إلهية الفارقليط : انه « ينبثق من الآب » اي من ذات الآب . والتعبير « ينبثق » ينفي الصدور بالخلق .

فهو « روح الحق » ، يصدر من ذات الآب ، في ذات الآب ، لذات الآب .

وبما أن « الحق » هو ايضاً المسيح نفسه ، فصفته « روح الحق » تدل على صدوره أيضاً من المسيح ، بصفة كونه « الحق » مع الله ، اي كلمة الله .

ودليل صلته المصدرية بالمسيح ، كلمة الله ، كون المسيح هو الذي يرسله من لدن الآب : « ارسله اليكم من لدن الآب » .

فالفارقليط ، « روح الحق ، الذي ينبثق من الآب » هو روح الله الآب ، والمسيح الكلمة ، في آن واحد . فمن الكفر نسبته الى مخلوق .

ورسالته هي الشهادة ، مع الحواريين ، للمسيح : فهل كان « أحمد » يشهد مع الحواريين في زمنهم للمسيح ؟

في **حديث رابع** يقول : « إني أقول لكم الحق : ان في انطلاقي لخيراً لكم ، فإن لم انطلق لا يأتكم الفارقليط ؛ واما متى انطلقت ، فإني ارسله اليكم . ومتى جاء فهو يفحم العالم على الخطيئة ، وعلى البرّ وعلى الدينونة .

فعلى الخطيئة لأنهم لم يؤمنوا بي. وعلى البر، لأني منطلق الى الآب ولا تروني من بعد. وعلى الدينونة، لأن زعيم هذا العالم قد دين » (يوحنا ١٦ : ٧ - ١١).

يسلي المسيح حوارييه ببعثة الفارقليط اليهم، ويربط بين رفعه الى السماء، وبين بعثة الروح الفارقليط. فهل من رابط شخصي او زماني او مكاني او حياتي او رسولي بين رفع المسيح وبعثة محمد؟ وهل يصح ان ينطبق ذلك على « أحمد » بعد مئات السنين ؟

ورسالة الفارقليط، « الذي لا يستطيع العالم ان يراه »، هي رسالة روحية، فلا يصح بحال ان تنسب الى « احمد ». ورسالة الفارقليط هي تتمة متلاصقة لرسالة المسيح؛ وليست هكذا بعثة « احمد ».

ورسالة الفارقليط هي الشهادة للمسيح وحده : فهو يفحم العالم على خطيئته لانه لم يؤمن بالمسيح؛ ويفحم العالم بصحة الايمان بالمسيح، وان رفع الى السماء؛ ويفحم العالم بنصر المسيح على ابليس، زعيم هذا العالم، الذي رفع المسيح سلطان ابليس عنه. وهذه رسالة لا يمكن ان يقوم بها « احمد » ولا اي رسول بشر!

في **حديث خامس** يقول اخيراً: « وعندي ايضاً اشياء كثيرة أقولها لكم، غير انكم لا تطيقون حملها الآن. ولكن متى جاء هو، روح الحق، فإنه يرشدكم الى الحقيقة كلها. فإنه لا يتكلم من عند نفسه، بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما يأتي. إنه سيمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. جميع ما هو للآب هو لي. من أجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ مما لي ويخبركم » (يوحنا ١٦ : ١٢ - ١٥).

علم الفارقليط الهي : فهو يرشد رسل المسيح « الى الحقيقة كلها »، « ويخبرهم بما يأتي » - فهل يستطيع هذا « أحمد » مع حواريي المسيح ؟ وهو لا يعلم الغيب.

علم الفارقليط الهي ايضاً في مصدره : ومصدره هو العلم الالهي الواحد بين الله الآب والمسيح كلمته ، « فجميع ما للآب هو لي ؛ من اجل هذا قلت لكم : إنه يأخذ مما لي ويخبركم » — فهل يستمد « أحمد » علمه ، كما يستمد ذاته ، من الله الآب نفسه ، ومن كلمته ذاته ؟

وعمل الفارقليط الالهي يتم مع صحابة المسيح أنفسهم : فهل كان « أحمد » فوق الزمان والمكان ، مع صحابة المسيح ؟

وفصل الخطاب : أن ذات الفارقليط ، الروح القدس ، الهية ؛ وصفاته الهية ؛ وأفعاله الهية . تلك هي شهادة النصوص الخمسة في الفارقليط . اليس من الكفر القول بأن الفارقليط في الانجيل هو « احمد » ؟

ولا تصح هنا ايضاً **فرية تحريف الانجيل** ، لان تلك النصوص الخمسة ، مكتوبة على الرق ، محفوظة الى اليوم ، من قبل القرآن بمئتي سنة ونيف . فهي **شهادة تاريخية** — ان لم نقل **منزلة** — على الهية الفارقليط ، الروح القدس . فمن الكفر تطبيقها على « احمد » الرسول البشر .

فإن ذكر « احمد » لا اصل له لفظاً ولا معنى في الانجيل .

والقول الفصل ان كلمتي « النبي الامي » و « اسمه احمد » هما من متشابهات القرآن . وهما يتيمتان فيه ، لا تؤيدهما نصوص اخرى ، كعادة القرآن في تعليمه وبيانه .

وقرائن النصوص القريبة والبعيدة تدل جميعها على ان كلمتي « النبي الأمي »

و « اسم احمد » هما مقحمتان على القرآن من زمن تدوينه . ولم يكن الجامعون للقرآن بمعصومين لمعرفة الصحيح من الدخيل . فالاتهام موجّه الى جمْع القرآن ، لا الى تنزيله .

واسقاط تلك الكلمتين من القرآن ، لا ينقص منه شيئاً ؛ ولا يطعن في صحة القرآن وحفظه ؛ ولا يبدّل من موقف القرآن تجاه التوراة والانجيل شيئاً : فوجودهما او اسقاطهما لا يغير شيئاً في الحوار المطلوب .

وهل يُبنى حوار صحيح على كلمتين متشابهتين مشبوهتين؟

تلك هي القاعدة السادسة عشرة في الحوار المسيحي الاسلامي .



بحث ثالث

محمد في القرآن : « خاتم النبيين »

(القاعدة السابعة عشرة ، في الحوار الاسلامي المسيحي)

توطئة : القاب محمد في القرآن

في القرآن ثلاثة انواع من الالقاب لمحمد :

ان القرآن يخاطب محمداً باسم « النبي » نحواً من ثلاثين مرة ؛ وباسم « **الرسول** » نحوماية مرة.

قالوا : الرسول هو النبي الذي يأتي بشرع جديد ؛ اما النبي ، فهو الذي جاء على شرع من قبله من رسول[1]. لكن مرادفة القرآن بين اللقبين لمحمد دليل وحدة المعنى ؛ وبرهانه ان القرآن يشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً بلا تفريق (الشورى ١٣) ؛ واسلام القرآن هو اسلام الكتاب : «هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا» القرآن (الحج ٧٨).

والنوع الثاني من الالقاب ، قد يفسر معنى «النبي» و «الرسول» في اصطلاح القرآن. من ذلك : النذير والبشير والشاهد والداعي.

---

(١) الاستاذ دروزة يشك في صحة هذا التفريق ، ولا يجد له سبباً كافياً في القرآن ، والمرادفة بين اللقبين لمحمد دليل ذلك. (التفسير الحديث ٢ : ١٥٢ – ١٥٣).

ويختم المعاني كلها لقب « خاتم النبيين » .

تلك **سبعة القاب** توضحها أوصاف نبوته ورسالته .

اولاً : مبعث النبوة

القرآن وحده هو الحَكَم الفصل على نفسه . ولا يُقبل سواه في مسألة مبعث النبوة . فماذا يقول عن نبيه ؟

١ ــ لا يذكر القرآن لمحمد اتصالا بملاك الوحي سوى مرة واحدة ، على نزلتين ، في رؤيا غار حراء ، كما يصف ذلك في هذه الرباعيات :

« والنجم اذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى

علّمه شديد القوى ذو مِرّة فاستوى
وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلّى

فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى
ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى

ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى
عندها جنّة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى

ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

(النجم ١ ــ ١٨)

انها رؤيا واقعية، لا مـراء فيها. لكنها رؤيا «**بالفؤاد**» اي روحية، لا رؤية حسية : في النزلة الاولى «أوحى الى عبده ما أوحى» ؛ وفي الثانية «رأى من آيات ربه الكبرى».

فالنص لا يكشف عن موضوع الوحي والتنزيل.

٢ ــ لكنه في سورة (الشورى) يكشف لنا عن موضوع الرؤيا وهدفها: لله ثلاث طرق في وحيه، اختار لمحمد احداها، بل أدناها :

«وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً، او من وراء حجاب، او يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء. وكذلك أوحينا اليك **روحاً من أمرنا** : ما كنت تدري ما الكتاب، ولا الايمان ؛ ولكن جعلناه نوراً نهدي به مـــن نشاء من عبادنا، وانك لتهدى الى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الارض، ألا إلى الله تصير الامور (الشورى ٥١ ــ ٥٣).

الله يكلم الناس إما بالوحي المباشر، كما جرى لعيسى بحسب القرآن، او من وراء حجاب وهي طريقة موسى الكليم، او يرسل رسولاً فيوحي بالواسطة. وكان نصيب محمد في رؤيا غار حراء ان ارسل الله اليه «**روحا من أمرنا**»، اي روحاً من عالم الامر فهو مخلوق، لا «روح منه» تعالى.

فماذا اوحى الى عبده؟ بنص القرآن القاطع، أوحى اليه **الايمان بالكتاب** لان الكتاب، والايمان به، هـــو النور الذي به يهدي من يشاء من عباده. والايمان بالكتاب هو الصراط المستقيم، صراط الله. قرأنا «لتُهدى»، وهي أصح من «لتَهدي» لانسجامها مـــع السياق الذي يذكر هداية محمد الى الايمان بالكتاب.

وهذا ما يصرح به في السورة عينها : «وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم» (الشورى ١٥).

فمبعث الوحي هو الايمان بالكتاب، والدعوة له بين العرب.

٣ – هذا هو القرآن الذي نزل عليه في غار حراء، كما يردّد:

« إنا إنزلناه في ليلة القدر» (القدر ١) ، « في ليلة مباركة : إنا كنا منذرين؛ فيها يفرق كل أمر حكيم، **أمراً من عندنا**، إنا كنا مرسلين » (الدخان ١ – ٥).

ففي تلك الليلة المباركة، التي فيها يفرق كل **أمر حكيم**، جاءه **الامر** من عند الله بالرسالة، للايمان بالكتاب، فالقرآن الذي أوتيه هو أمر للايمان بالكتاب والدعوة به واليه بين العرب.

وليلة القدر، تلك الليلة المباركة، كانت في « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس، وبيّنات من الهدى والفرقان» (البقرة ١٨٥) . ففي ليلة من شهر رمضان أبلغه ملاك الله « الامر » بالايمان والدعوة بالكتاب. هذا هو القرآن هدى للناس؛ فهو « بينات من الهدى والفرقان » : وتعبير « الهدى » في اصطلاحه كناية عن الكتاب؛ وتعبير « الفرقان » تفصيل له. فهو يؤمر ان ينقل للعرب الكتاب وفرقانه المتواتر، بتشريعه لهم دين موسى وعيسى ديناً واحداً (الشورى ١٣) .

٤ – هذا ما يسميه « القرآن ». وما القرآن العربي الا خبر متواتر لهذا « القرآن » . إنه خبر عنه، لان « القرآن » موجود قبل محمد، وهو قرآن الكتاب، في «المثل» الذي يشهد به النصارى من بني اسرائيل» (الاحقاف ١٠).

فهذا هو الامر الذي تلقاه في غار حراء: «**وأمرت ان اكون من المسلمين، وان اتلو القرآن**» (النحل ٩٠) . فالمسلمون موجودون قبل محمد، وهو يؤمَر بالانضمام اليهم، وتلاوة « القرآن » معهم.

هذا ما يشهد به مطلع السورة الثالثة، في تاريخ النزول:

« يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلا نصفه ، او انقص منـــه قليلا
او زدْ عليه ، ورتّل القرآن ترتيلا إنّا سنلقي عليك قولًا ثقيلًا »

لم ينزل من القرآن العربي سوى عشر آيات ، هن مطلع سورتي (العلق) و (القلم) ! فما هو هذا « القرآن » الذي يؤمر بترتيله هزيعاً من الليل ، كعادة رهبان النصارى ؟ التعبير معرّف عـــلى العلمية ، فلا يصح ان يكون القرآن العربي الذي لم ينزل بعد . إنه **قرآن الكتاب** ، الذي يتلوه مع « المسلمين » الذين انضم اليهم . (النمل ٩١ — ٩٢)

فدرس الكتاب معهم : « وليقولوا : درست — ولنبيّنه لقوم يعلمون » (الانعام ١٠٥) . فهو لا يردّ مقالتهم ، بـــل يبيّن الغاية من الدرس : انها بيان الكتاب للعرب . وأخذ بالقرآن العربي « يعلمهم الكتاب والحكمة » اي التوراة والانجيل (البقرة ١٢٩ و ١٥١ ؛ آل عمران ١٦٤ ؛ الجمعة ٢) .

هذا هو الوحي الذي ينذرهم به : « قل : انما أنذركم بالوحي (الانبياء ٤٥) اي الوحي المعهود في الكتاب ، بحسب تصريحه : « **بلاغاً مـــن الله ورسالاته** » (الجن ٢٣) . فبلاغ الله هو في « رسالاته » السابقة .

٦ — إن القرآن تنزيل رب العالمين ، لانه في زُبر الاولين : « وإنه لتنزيل رب العالمين . . . وانه لفي زبر الاولين : اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » من النصارى الذين يستشهد بهم (الشعراء ١٩٣ — ١٩٧) .

ان القرآن « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) اي تعريبه بحسب اصطلاحه. لذلك : « ان هـذا (القرآن) لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى » (الاعلى ١٨ — ١٩) . وجاءت بينته في القرآن العربي : « وقالوا : لو لا يأتينا بآية من ربه — او لم تأتهم بيّنة مـــا في الصحف الاولى » في القرآن ؟ (طه ١٣٣) .

فالقرآن « تفصيل الكتاب » ، **لان « مثله » عند بني اسرائيل النصارى :** « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) . **فمثله** عندهم بناء على مصدره في الكتاب الامام : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ؛ وهذا كتاب مصدق ، لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢) ، فليس فيه من فارق مع « مثله » سوى اللسان العربي .

٧ — وهكذا يتضح لنا مبعث النبوة . كان أمراً من الله ، بواسطة ملاك في رؤيا غار حراء ، لاجل « تفصيل الكتاب » بلسان عربي مبين ، به « يعلمهم الكتاب والحكمة » اي التوراة والانجيل (٢ : ١٢٩ ؛ ٣ : ١٦٤ ؛ ٦٢ : ٢) .

فالقرآن العربي **تنزيل ، لانه « تفصيل وتصديق » التنزيل الكتابي ؛** على مثال « **المثل** » الذي عندهم . هذا معنى قوله المتواتر : « وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به » (الانعام ٥) .

ونبوة محمد قائمة على « تفصيل الكتاب » لكي « يعلمهم الكتاب والحكمة » اي التوراة والانجيل . وتلك رسالته .

ثانيا : صلة محمد بالغيب

النبي ، بحسب اللغة ، حامل نبإ .

وفي اصطلاح القرآن ليس « النبي » من يتصل بغيب الله ؛ انما هو مَن يأتي **بنبإٍ اي خبر** عنه : « أم لم ينبّأ بما في صحف موسى » (٥٣ : ٣٦) . والمعنى متواتر : « من انباء ما قد سبق » (٢٠ : ٩٩) ؛ « من انباء الرسل » (١١ : ١٢٠) ؛ « ذلك من أنباء القرى » (١١ : ١٠١) .

لكنه يصرح ثلاث مرات بأن ما يتلوه هو « **من انباء الغيب** » (آل عمران

٤٤ ؛ هود ٤٩ ؛ يوسف ١٠٢) . فهل كان محمد في نبوءته على صلة مباشرة بغيب الله ؟

ان « الغيب » من علم الله المحجوب : « ولله غيب السماوات » (١١ : ١٢٣ ؛ ١٦ : ٧٧) ؛ « له غيب السماوات » (١٨ : ٢٦) .

فلا يطلع على غيبه الاَّ من أرسله به : « عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحداً ، إلا من ارتضى من رسول » (الجن ٣٦ – ٣٧) . وبرسوله يطلع الناس عليه : « وما كان الله ليطلعكم على الغيب ؛ ولكن الله يجتبي من رسله مَن يشاء : فآمنوا بالله ورسله » (آل عمران ١٧٩) . فغيب الله عند رسله .

لكن الله قد يطلع رسوله على الغيب **مباشرة** ، او **مداورة** بواسطة الغيب المنزل قبله . فكيف اطلع محمد على غيب الله ووحيه ؟

١ – يعلن مرتين : « **ولا اعلم الغيب** » (الانعام ٥٠ ؛ هود ٣١) . فمحمد لم يتصل بغيب الله مباشرة : « ولو كنت اعلم الغيب ، لا ستكثرت من الخير وما مسني السوء » (الاعراف ١٨٧) .

٢ – انما كان اتصاله **بغيب الله المنزل في الكتاب من قبله** ، فهو يدعو ببلاغ من رسالاته السابقة : « لمَّا قام عبد الله يدعوه ، كادوا يكونون عليه لبداً ! قل : انما أدعو ربي ، ولا أشرك به أحداً ! قلْ : اني لا املك لكم ضراً ولا رشداً ! قل : اني لن يجيرني من الله احد ، ولن أجد من دونه ملتحداً ، إلا بلاغاً من الله **ورسالاته** . ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابداً » (الجن ١٩ – ٢٣) . فنبوءة محمد بلاغ من رسالات الله السابقة . والقرآن «بيّنة ما في الصحف الاولى» (طه ٣٣٣) ، «وانه لفي زبر الاولين» (الشعراء ١٩٦) .

٣ – لذلك يسمي ما يتلوه من بشارة زكريا بيحيي ، وبشارة مريم بالمسيح ، المكتوبين في الانجيل ، من أنباء الغيب : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك »

(آل عمران ٤٤) اي من الغيب الذي في كتاب الله. ويختم قصة يوسف بقوله: « ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك » (يوسف ١٠٢)؛ كما يختم قصة نوح: « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك. ما كنت تعلمها أنت، ولا قومك من قبل هذا » (هود ٤٩). وسنرى ان تعبير « الوحي » من متشابهات القرآن، لا يقطع بمعنى محدود. فتلك الآيات الثلاث يجب فهمها على ضوء تصريحه في سورة (القلم)، ثانية السور نزولاً: « أم لكم كتاب فيه تدرسون؟... أم عندهم الغيب فهم يكتبون » (٣٥ و ٤٢). **فهو يجعل كتابة الغيب مع دراسة الكتاب**، اللتين يصرح بهما (الانعام ١٠٥).

٤ ـ انه يتحدّى المشركين بالغيب الذي يدرسه في الكتاب، مع المسلمين من قبله: « أم نجعل المسلمين كالمجرمين!... أم لكم كتاب فيه تدرسون!.. أم عندهم الغيب فهم يكتبون » (القلم ٣٥ و ٣٧ و ٤٢). محمد يستعلي على المشركين المجرمين بالمسلمين من قبله، فهم عندهم الكتاب الذي فيه يدرس، وعنه يكتب غيب الله.

وهذا التحدي بالغيب المكتوب في الكتاب من قبله، متواتر عنده: « أم عندهم الغيب، فهم يكتبون » (الطور ٤١).

والنتيجة الحاسمة ان محمداً يتصل بغيب الله المنزل في الكتاب من قبله: فهو يدرسه، وعنه يكتب. هذا نص القرآن القاطع.

فنبؤته تبليغ غيب الكتاب؛ ورسالته « تعليمهم الكتاب والحكمة ».

ثالثاً: صلة محمد بالكتاب الذي نزل من قبله

يتضح من (الانعام ١٠٥ و ١٥٦) ان محمداً « درس » الكتاب، الذي نزل

على طائفتين من قبله لأن بني قومه كانوا «عن دراستهم لغافلين». هذا أمر الله له : «اولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده» (الانعام ٩٠).

وهذا السر يكشفه لنا منذ سورة (القلم)، الثانية في تاريخ النزول. فقد رأينا أنه يتحدى المشركين المجرمين «بالمسلمين» من قبله، وبدراسة الكتاب معهم، وكتابة الغيب المنزل فيه : «أم نجعل المسلمين كالمجرمين ! أم لكم كتاب فيه تدرسون ! . . . أم عندهم الغيب فهم يكتبون !» (٣٥ و ٣٧ و ٤٢).

ويرّد على المشركين الكافرين بدعوته، بأنها مـن الكتب المقدسة التي يدرسها، وينذرهم بها : «واذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات، قالوا : ما هذا إلا رجل يريد أن يصدّكم عمّا كان يعبد آباؤكم ! وقالوا : ما هذا إلا إفك مفترى ! وقال الذين كفروا للحق لمّا جاءهم : ان هذا إلا سحر مبين ؛ — **وما آتيناهم من كتب يدرسونها** ! وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير !» (سبأ ٤٣ — ٤٤). فلا يحق لهم تكفير محمد، ولا اتهامه بالافك المفترى، أو السحر، لأن الحق الذي جاءهم به هو من «كتب يدرسها» ويستعلي بها عليهم.

«ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير» (لقمان ٢٠ ؛ الحج ٨) ؛ أما محمد فهو يجادل المشركين بهدى الكتاب المنير وعلمه.

وقصة «**درس**» **الكتاب** المنزل قبله صريحة في قـوله : وكذلك نصرّف الأيات — وليقولوا : **درست** ! — ولنبيّنه لقوم يعلمون» (الانعام ١٠٥). فهو لا يردّ التهمة، بل يبيّن الغاية من درس الكتاب : انها بيان الكتاب المنزل للناس، كما يتضح من قوله في السورة عينها : «وهـذا كتاب انزلناه مبارك، فاتبعوه لعلكم ترحمون ؛ أن تقولوا : إنما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، **وإن كنا عن دراستهم لغافلين**» (الانعام ١٥٥ — ١٥٦). غفل بنو قومه عـن دراسة الكتاب، اي التوراة والانجيل، فدرسها محمد، ونقل تنزيلها في القرآن، بأمر ملاك الله له في رؤيا حراء.

فالقرآن العربي **تنزيل**، لانه « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) **اي تعريب التنزيل الكتابي**: « وانه لتنزيل رب العالمــين ... وانه لفي زبر الاولين » كما يشهد النصارى من علماء بني اسرائيل (الشعراء ١٩٣ – ١٩٧).

فمحمد « درس » الكتاب، كما « درسوا ما فيه » (الاعراف ١٦٨)، ليبيّنه بتفصيله في القــرآن العربي « لقوم يعلمون »، او لقوم كانوا عن دراسته غافلين.

يردّ بعضهم على هذا الاستنتاج المحكم بقوله: « وما كنت تتلو من قبله من كتاب، ولا تخــطه بيمينك، وإذاً لارتاب المبطلون » (العنكبوت ٤٦). لكن فاتهم ما بعدها: « بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٧). وتعبير « الذين أوتوا العلم » اصطلاح عنده، كناية عن أهل الكتاب « المقسطين »، « المحسنين » اي النصارى. فإذا كان محمد لا يخط الكتاب بيده، ولا يتلو الكتاب بنفسه، فهذا لا يمنع أنه « درسه » على أهله وأئمتهم، « فلا تكن في مرية من لقائه، وجعلناه هدى لبني اسرائيل، **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا** » (السجدة ٢٣ – ٢٤)؛ لذلك فالقرآن « هو آيات بينات في صدورهم »؛ لا بل « شهد شاهد مــن بني اسرائيل **على مثله** » (الاحقاف ١٠): إن « مثْل » القرآن موجود قبله، وينقله للعربية « حكيم خبير ».

وقوله: « ما كنت تتلو من قبله من كتاب »، يفسره تصريحه لليهود الذين طالبوه « بالبينة: رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة – وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب **إلا من بعد ما جاءتهم البينة** » (البينة ١ – ٥). لقد أعطاهم البينة المطلوبة: **فهو يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة**!

فمن قرائن القرآن المتنوعة المتواترة يتضح ان صلة محمد بالكتاب الذي نزل قبله، كانت صلة « **درس** »، **وتدريس** لكي « يعلمهم الكتاب والحكمة ».

رابعاً : صلة محمد بالنصارى « اولي العلم » المقسطين

في اصطلاح القرآن ، اولو العلم مرادف ، مثل أهل الذكر ، لأهل الكتاب . وهم فئتان : المقسطون والظالمون . « واولو العلم قائماً بالقسط » هم النصارى . فهو يميّزهم عن « الذين آمنوا » من العرب بالدعوة القرآنية : « يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين اوتوا العلم درجات » (المجادلة ١١) .

فلفظ « **العلم** » في القرآن ليس تعبيراً لغوياً ، بقدر ما هو **تعبير اصطلاحي** للعلم المنزل في الكتاب ، خصوصاً على يد السيد المسيح .

والواقع القرآني المذهل ، القائم على نص القرآن القاطع ، ان « اولي العلم قائماً بالقسط » اي النصارى هم الذين يشهدون مع الله وملائكته « أن الدين عند الله الاسلام » (آل عمران ١٨ ــ ١٩) . والقرآن يشهد بشهادتهم ، ويقول « بعلم الكتاب » عــلى طريقتهم . « وما اختلف الذين اوتوا الكتاب (من اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم ، بغياً بينهم » (آل عمران ١٩) . لقد خالف الشهادة الواحدة بالاسلام ، اليهود ؛ لذلك فهو يسميهم « الظالمين » الذين يصح جدالهم بغير الحسنى (العنكبوت ٤٦) . بينما « هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم » (العنكبوت ٤٧) اي النصارى المحسنين ، المقسطين ، لذلك لا يصح جدالهم إلا بالحسنى ، والحسنى هي الامر ، « وقولوا : آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم ، والهنا والهكم واحد ، ونحن له مسلمون » : وحدة الاله ، ووحدة التنزيل ، ووحدة الاسلام (العنكبوت ٤٦) . فأهل القرآن وهؤلاء النصارى هم « أمة واحدة » ، يشهدون بأن المسيح وأمــه « آية للعالمين » (الانبياء ٩٢ المؤمنون ٥٣) . فالعلم الحق هو اذن العلم « النصراني » بالنبوة والكتاب ، ومحمد والنصارى على « علم » واحد : « قلْ : كفى بالله شهيداً ، ومَن عنــده علم الكتاب » (الرعد ٤٥) .

ان « علم الكتاب » (الرعد ٤٥) على طريقة « النصارى » هو العلم الذي يعتز به القرآن ويستعلي : « بعد الذي جاءك من العلم » (البقرة ١٢٠) ، « من

بعد ما جاءك من العلم » (البقرة ١٤٥ ؛ آل عمران ٦١) ، « بعد ما جاءك من العلم » (الرعد ٣٩) . لذلك فهو يسميهم « الراسخين في العلم » (آل عمران ٧؛ النساء ١٦١) تمييزاً لهم من اليهود .

فاليهود هم أولوا العلم الظالمون ، وما اختلفوا « إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران ١٩ ؛ الشورى ١٤ ؛ الجاثية ٥٦) . أما النصارى من بني اسرائيل فهم « أولوا العلم قائماً بالقسط » الذين يحيل القرآن محمداً اليهم حين الشك من أمره : « لقد بوّأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ، ورزقناهم من الطيبات ، فما اختلفوا حتى جاءهم العلم » بالمسيح والانجيل : « فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننّ من الممترين » (يونس ٩٣ — ٩٤) . فالحق هو العلم « النصراني » بالكتاب والانجيل ، واليه يحيل القرآن نبيّه .

والقرآن يكتفي بشهادة « مَن عنده علم الكتاب » على صحة دعوته (الرعد ٤٥) . ويتحدى المشركين بهؤلاء النصارى ، أولي العلم المقسطين : « قلْ : آمنوا به ، أو لا تؤمنوا ؛ ان الذين **أوتوا العلم من قبله** ، اذ يُتلى عليهم يخرّون للأذقان سجداً » (الاسراء ١٠٧) . وهم على استعداد دائم للشهادة له : « ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل اليك من ربك هو الحق ، ويهدي الى صراط العزيز الحميد » (سبأ ٦) . وهذان التحدي والاستشهاد يقومان الى يوم الدين (النحل ٢٧ ؛ الروم ٥٦) .

فصلة محمد بالنصارى أولي العلم المقسطين تقوم على **الشهادة بوحدة الاله ، ووحدة التنزيل ، ووحدة الاسلام** (العنكبوت ٤٦) . لذلك « يرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل اليك من ربك الحق » (سبأ ٦) ، والقرآن نفسه « هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » (العنكبوت ٤٧) : فصلتهم بمحمد تمتد الى

القرآن نفسه ، **لان «مثله» بين ايديهم** : «وشهد شاهد من بني اسرائيل (النصارى) على مثله» (الاحقاف ١٠) .

واذا كان الواقع يشهد بما بين الانجيل والقرآن من تفاوت ، فما ذلك إلا لانكم «ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً» (الاسراء ٨٥) . أما «العلم» كله فهو عند «الذين أوتوا العلم من قبله» (الاسراء ١٠٧) ، عند «الراسخين في العلم» كما يسميهم ، واليهم يحيل القرآن النبي نفسه (يونس ٩٣) وبني قومه معه (النحل ٤٣) .

تلك هي صلة محمد بالنصارى ، أولي العلم المقسطين ؛ إنها صلة قربى مصدرية أبوية : «الذين آتيناهم الكتاب ، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (الانعام ٢٠ ؛ البقرة ١٤٦) .

خامساً : بالقرآن يعلم محمد العرب «الكتاب والحكمة»

نوجز ما فصلناه من قبل . ان محمداً «درس» الكتاب (الانعام ١٠٥) لان بني قومه كانوا عن دراسته غافلين (الانعام ١٥٦) . وقد درسه مع «المسلمين» من قبله ، الذين أمر بأن ينضم اليهم ويتلو قرآن الكتاب معهم (النمل ٩٠ – ٩١) . وعن قرآن الكتاب ينقل اليهم في القرآن العربي ما يكتب من «الغيب» (القلم ٤٢ ؛ الطور ٤١) .

وهكذا بالقرآن العربي ، «تفصيل الكتاب» (يونس ٣٦) ، «يعلمكم الكتاب والحكمة ، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون» (البقرة ١٥١) . وهذه منة الله عليهم : «لقد منّ الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي

ضلال مبين » (آل عمران ١٦٤). هذا هو واقع نبوة محمد ورسالته : «هو الذي بعث في الأميّين رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » (الجمعة ٢) . وقد رأينا ان « الحكمة » في ذاك الاصطلاح كناية عن الانجيل .

فبالقرآن العربي يعلم محمد العرب « الكتاب والحكمة » أي التوراة والانجيل ؛ لا الكتاب الذي في السماء ، بل الكتاب الذي على الارض : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة » (هود ١٧) . **وليس بين الكتاب الامام والقرآن الذي يفصله من الفارق سوى اللسان العربي** : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢) — تلك حاله ، وواقعه . ومع الكتاب الإمام ، فهو يجادلهم « بالكتاب المنير » الانجيل الذي يجمع العلم والهدى ، وليس كغيره « من الناس ، من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (لقمان ٢٠ ؛ الحج ٨) . فالكتاب الامام والكتاب المنير يسميها « البينات والزبر ، والكتاب المنير » (فاطر ٢٥) . فهما « الكتاب والحكمة » اي التوراة والانجيل — في اصطلاح عام — اللذين يعلمهم للعرب بالقرآن العربي ، « تفصيل الكتاب » على الاطلاق .

ويستشهد على صحة مقالته بأهل الكتاب والذكر والعلم : « فاسألوا أهل الذكر ، ان كنتم لا تعلمون » (الانبياء ٧) ؛ « فاسألو أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر : وأنزلنا اليك الذكر **لتبيّن للناس ما نزل اليهم** ، ولعلهم يتفكرون » (النحل ٤٣ — ٤٤) . هكذا يقتدي بهدى الكتاب وأهله (الانعام ٩٠) .

فالذكر القرآني هو بيان الذكر الكتابي في التوراة والانجيل ، كما يشهد أهل الذكر انفسهم . وفي بيانه ، لساناً عربياً ، يعلمهم بالقرآن العربي « الكتاب

والحكمة». فليس من تنزيل جديد، انما هو تعريب التنزيل، «تفصيل الكتاب» (يونس ٣٧)؛ وبما أنه تعريب التنزيل، فهو ايضاً تنزيل.

سادساً: فنبوّة القرآن امتداد لنبوّة الكتاب

الواقع القرآني يشهد بأن محمداً لم يتصل بملاك الله الا مرتين، في رؤياه بغار حراء: في النزلة الاولى هداه الى الايمان بالكتاب، هذا هو الصراط المستقيم، صراط الله (الشورى ٥٢): «وأمرت ان أكون من المسلمين، وأن اتلو القرآن» معهم (النحل ٩٠ – ٩١)؛ وفي «نزلة أخرى» أمر ان يدعو العرب بالدعوة الكتابية الى دين موسى وعيسى معاً بلا تفريق، لان هذا هو الدين الذي شرعه لهم (الشورى ١٣)؛ قال: «يا أيها المدّثر، قم فأنذر. وربك فكبّر، وثيابك فطهّر. والرجز (الشرك) فاهجر، ولا تمنن تستكثر. ولربك فاصبر» (المدثر ١ – ٧). فقام ودعا بالاسلام الذي يشهد به النصارى، «أولوا العلم قائماً بالقسط .. أن الدين عند الله الاسلام» (آل عمران ١٨ – ١٩). وفي الدعوة لكتاب الله، بالقرآن العربي، عليه أن يقتدي بهدى الكتاب وأهله، «أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة.. اولئك الذين هدى الله، فبهداهم اقتده» (الانعام ٨٩ – ٩٠). ولا يشكّن محمد أنه بواسطتهم يتصل بالكتاب نفسه: «**فلا تكن في مرية من لقائه**، وجعلناه هدى لبني اسرائيل، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا» (السجدة ٢٣ – ٢٤). وهؤلاء الأئمة من «الراسخين في العلم» عندهم «مثل» القرآن (الاحقاف ١٠) لذلك فالقرآن نفسه «هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» (العنكبوت ٤٧). **فنبوّة القرآن امتداد لنبوّة الكتاب**، لكن بلسان عربي مبين، وعلى طريقة أئمة النصارى من بني اسرائيل (الشعراء ١٩٧).

وهكذا **فالنبؤة القرآنية هـــداية الى الكتاب**، بنص القرآن القاطع: «وأمرتُ ان أكون من المسلمين، وان اتلو القرآن» معهم (النحل ٩٠ — ٩١).

والرسالة القرآنية دعوة العرب بالدعوة الكتابية «النصرانية»، دين موسى وعيسى معاً الذي شرعه لهم (الشورى ١٣).

فهكذا محمد **نبي ورسول** باطلاعه على «الغيب» المنزل في الكتاب الامام والكتاب المنير، اي التوراة والانجيـــل؛ وبنقله الى العرب في «تفصيل الكتاب» بالقرآن العربي؛ وتعريب التنزيل يسمى تنزيلًا: «أنزل اليكم الكتاب مفصلًا» (الانعام ١١٤).

هذا ما يظهر ايضاً **في مرادفات النبي الرسول**: «يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً، ومبشراً، ونذيراً، وداعياً الى الله بإذنه، وسراجاً منيراً» (الاحزاب ٤٥ — ٤٦). مرادفات أربعة: شاهد وداع، بشير ونذير.

فهو نبي ورسول بمعنى «نـــذير وبشير» (٢ : ١١٩؛ ٧ : ١٨٧! ١١ : ٢؛ ٣٥ : ٢٤؛ ٣٤ : ٢٨؛ ٤١ : ٤)، او «مبشر ونذير» (١٧ : ١٠٥؛ ٢٥ : ٥٦؛ ٣٣ : ٤٥؛ ٤٨ : ٨). هذا ما يظهر **بالقصر والحصر** في قوله: «فذكر، انما أنت مـــذكر» (الغاشية ٢١)؛ «قل: انما أنا منذر» (ص ٦٥)؛ «ان يوحي اليّ الا أنما أنا نذير مبين» (ص ٧٠) — لاحظ كثرة الحصر والقصر في هذه الآية لبيان معنى النبوة فيه؛ «قل يا ايها الناس انما أنا لكم نذير مبين» (الحج ٤٩)؛ «وما أرسلناك الا بشراً ونذيراً» (الفرقان ٥٦)؛ «ومـــا أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً»، لتكفهم عن الشرك والشر (سبأ ٢٨). فهذا الحصر والقصر المتواتر في صفة نبوته يدل على معناها. وهذا المعنى يظهر ايضاً من مثل قوله: «انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً: **وإن من أمة**

إلا خلا فيها نذير » (فاطر ٢٤) ؛ فهو نذير كما في كل أمـــة نذير ؛ ومن مثل قوله : « انما انت منذر : **ولكل قوم هاد** » (الرعد ٧) ، فهو نبي ورسول اي منذر ، كما لكل قوم هاد يهديهم . وفضل محمد على المنذرين انه يهدي الى كتاب الله ، في التوراة والانجيل؛ الى اسلام أولي العلم المقسطين، الذين يرون في المسيح وامه «آية للعالمين » .

سابعاً : محمد «خاتم النبيين»

هذه هي صفة محمد الاخيرة في القـــرآن العربي : «ما كان محمد أبا احد من رجالكم ، ولكن رسول الله ، وخاتم النبيين » (الاحزاب ٤٠)

للفظ « خاتم » قراءتان : على الكسر (خاتِم) بمعنى خاتمة الانبياء؛ وعلى الفتح (خاتَم) بمعنى آلة الختم (الجلالان) .

وليس في القرآن كلـــه صفة لمحمد بمعنى **خاتمة الانبياء** . إنما يرد هذا المعنى للمسيح وحده ، بلفظ « قفينا بعيسى » (البقرة ٨٧ ؛ المائدة ٤٩ ؛ الحديد ٢٧) ، وليس من آية تقول بأنه « قفى » على المسيح بأحد .

انما الوصف المتواتر في القرآن لمحمد بأنه « خاتَم » اي **مصدّق** ، كما يصدق الختم رسالة او كتاباً : فمحمد والقرآن هما « مصدق لما معهم » (٢ : ٨٩و١٠١)، « مصدق الذي بين يديه » (٦ : ٩٢) ، « مصدق لما معكم » (٣ : ٨١) ، « مصدقاً لما معهم » (٢ : ٩١) ، « مصدق لما معكم» (٢ : ٤١ ؛ ٤ : ٤٦) ، « مصدقاً لما بين يديه » ، اي قبله (١ : ٩٧ ؛ ٣ : ٣ ؛ ٥ : ٤٩ ؛ ٥ : ٥١ ؛ ٣٥ : ٣١ : ٤٦ : ٣٠) .

فالقرآن «كتاب مصدق، لساناً عربياً» (الاحقاف : ١٢) ؛ **فهو ليس مفترى على الله**، و « لكن **تصديق** الذي بين يديد (قبله) **وتفصيل** الكتاب » (يونس ٣٧) . تلك هي صفة القرآن المتواترة ؛ لذلك فهو « **بلاغ من الله ورسالاته** » السابقة (الجن ٢٣) .

ومحمد هو « **خاتم النبيين** » **بصفة كـــونه مصدقاً لهم**، وذلك بنص القرآن القاطع : « بل جاء بالحق **وصدق المرسلين** » (الصافات ٣٧) . وهو يجعل نفسه مع المتقين في الصدق : « والذي جاء بالصدق، وصدّق به، أولئك هم المتقون » (الزمر ٣٣) ، وكل منهم قد « صدّق بالحسنى » (الليل ٦).

فنبوّة محمد ورسالته تقتصر عـــلى « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب »، بالقرآن العربي الذي هو « كتاب مصدق لساناً عربياً » .

تلك هي **القاعدة السابعة عشرة** في الحوار الاسلامي المسيحي .



بحث رابع

القرآن في عرف القرآن

(القاعدة الثامنة عشرة في الحوار المسيحي الاسلامي)

نطلب من القارىء الكريم قراءة هذا البحث بنزاهة واهتمام، قبل الاسراع الى الاتهام.

فما هو سر قوله : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » ؟ (الاحقاف ١٠)

اولاً : الوحي والتنزيل تعبيران متشابهان في القرآن

يعلن القرآن العربي عن نفسه بأنه وحي من الله، وتنزيل من رب العالمين. ولكن الوحي والتنزيل من المتشابهات في القرآن، فلا يقطع لفظهما بمعنى محدَّد فيهما.

١ ـ الوحي في لغة القرآن

الوحي تعبير يطلقه القرآن على أشياء متفاوتة، من الجماد، الى الحيوان الى الانسان، الى الشيطان، الى الملاك، الى الله.

فقد أوحى الله الى الارض : «اذا زلزلت الارض زلزالهـــا ، وأخرجت الارض أثقالها ، وقال الانسان : ما لها ؟ يومئذٍ تحدّث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها» (الزلزال ١ — ٥) .

«وأوحى ربك الى النمل» (النمل ٦٨) .

بل «أوحى في كل سماء أمرها» (فصلت ١٢) .

وفي تصرّف أمّ موسى بأمر ابنها : «وأوحينا الى أم موسى» (القصص ١١٦ و ١٥٩ ؛ يونس ٨٧ ؛ طه ٧٧ ؛ الشعراء ٥٣ و ٤٦) . ويؤكد : «أوحينا الى أم موسى ما يوحى» (طه ٣٨) — وهو مثل قوله لفظاً : «فأوحى الى عبده ما أوحى» (النجم ١٠) .

وزكريا «خرج عــــلى قومه من المحراب **فأوحى اليهم** أن سبّحوا بكرة وعشيا» (مريم ١١) .

«وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا : شياطين الانس والجن ، يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول» (الانعام ١١٢) .

«وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم» (الانعام ١٢١) .

لذلك ، بسبب تلك المتشابهات في تعبير «الوحي» ، عندما يذكر القرآن العربي مراراً وتكراراً وحيه الى محمد ، **لا نستبين طريقة الوحي اليه يقيناً** ؛ والتعبير لا يقطع بمعنى محدود .

٢ — التنزيل في لغة القرآن

ان تعبير «التنزيل» ايضاً متشابه في لغة القرآن .

« أنزل من السماء ماء » (البقرة ٢٢ ؛ قابل ١٣ : ١٩؛ ١٤ : ٣٢ ؛ ١٦ : ٦٥؛ ٢٠ : ٥٣ ؛ ٢٢ : ٦٣ ؛ ٣٥ : ٢٧ ؛ ٣٩ : ٢١) .

والتنزيل ايضاً على الارض : « فإذا أنزلنا عليها الماء » (الحج ٥) .

« وأنزلنا عليكم المنّ » (البقرة ٥٧ ، قابل الاعراف ١٥٩) .

« **وأنزل لكم من الانعام** » (الزمر ٦) : فالانعام على أنواعها منزلة من الله .

« وأنزلنا الحديد ، فيه بأس شديد » (الحديد ٢٥) . كذلك الحديد منزل من الله .

« أنزل الله سكينته » (التوبة ٩ و ٤١ ؛ الفتح ٤ و ١٨ و ٢٦) .

« وأنزل جنوداً لم تروها » (التوبة ٩) .

« ربنا أنزل علينا مائدة » (المائدة ١١٧) .

« لولا أُنزل عليه كنز » (هود ١٢) .

« لولا أُنزل اليه ملاك . . . لولا أُنزل علينا الملائكة » (الفرقان ٧ و ٢١) .

« أم أنزلنا عليهم سلطاناً » (الروم ٣٥) .

« ما أنزل الله بها من سلطان » (٧ : ٧٠ ؛ ١٢ : ٤٩ ؛ ٥٣ : ٢٣) .

« وأنزل الذين ظاهروهم من صياصيهم » (الاحزاب ٢٦) .

وقد يكون للشياطين تنزيل : « هل أنبئكم على مَن تنزّل الشياطين ؟ – تنزّل على كل أفاك أثيم » (الشعراء ٢٢١ – ٢٢) ؛ اما القرآن « ما تنزلت به الشياطين » (الشعراء ٢١٠) .

وقد يدس الشيطان تنزيله في تنزيل الله : « وما أرسلنا من قبلك من رسول، ولا نبي ، إلا اذا تمنّى (قرأ) ألقى الشيطان في أمنيته ؛ فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ، ثم يُحكم الله آياته ، والله عليه حكيم » (الحج ٥٦) .

لتلك الاعتبارات كلها ، والمتشابهات جميعها ، في تعبير « التنزيل » ، فعندما يذكر القرآن العربي تنزيله من الله ، **لا نستبين طريقة التنزيل يقيناً** كقوله : « الله الذي نزّل الكتاب بالحق ، والميزان » (الشورى ١٧) : فالكتاب والميزان كلاهما تنزيل الله .

والقرآن نفسه، الذي يؤكد مراراً وتكراراً تنزيله، **يجهل هو نفسه الطريقة:** « انما أُنزل بعلم الله » (هود ١٤) ؛ فقد « أنزله بعلمه » (النساء ١٦٥) .

أجل ان القرآن « تنزيل العزيز الرحيم » (يس ٥) ، « تنزيل من الرحمان الرحيم » (فصلت ٢) ؛ « تنزيل من حكيم حميد » (فصلت ٤٢) ؛ « تنزيل من رب العالمين » (الواقعة ٨٠ ؛ الحاقة ٤٣) . لكن طريقة التنزيل **مجهولة او مطوية** : « انما أُنزل بعلم الله » (الشعراء ١٩٢ ؛ النساء ١٦٥) .

فالتشابه قائم في **معنى التنزيل ، وفي طريقته** : تلك هي النتيجة المحتومة الحاسمة لتلك القرائن القرآنية .

لذلك عندما يصرح : «وانه لتنزيل رب العالمين . . . وانه لفي زبر الاولين» (الشعراء ١٩٣ — ١٩٧) يصح ان نستنتج ان القرآن تنزيل من « زبر الأولين » ، أي «تفصيل الكتاب » الذي قبله (يونس ٣٧) .

وعندما يؤكد : « قلْ : نزّله روح القدس من ربك بالحق » (النحل ١٠٢) لا يزول الابهام في طريقة التنزيل ؛ ونتساءل ما سر قوله : « وانك لتلقي القرآن من لدن حكيم عليم » (النمل ٢) ؟ **هل من جواب في تصريحه : « فلا**

تكن في مرية من لقائه، وجعلناه هدى لبني اسرائيل، وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا» (السجدة ٢٣ – ٢٤) ؟ – وبنو اسرائيل الذين يقتدى بهداهم ويستشهد بهم هم «النصارى»: «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨). فهل «الحكيم العليم» الذي يلقي القرآن على محمد هو الذي ينوّه به في تصريحه: «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله» (الاحقاف ١٠) ؟

ذاك التساؤل، وذاك الاستنتاج، هما حق؛ لان معنى التنزيل وطريقة التنزيل في القرآن هما من المتشابه فيه.

ثانياً: تعابير متشابهة عن مصدر القرآن العربي

هناك أربعة تعابير متشابهة عن مصدر القرآن العربي، لا ترفع الابهام والغموض في معنى تنزيله.

تعبير اول: «فلا ! أقسم بمواقع النجوم – وانه لقسم لو تعلمون عظيم – إنه لقرآن كريم، في **كتاب مكنون**، لا يمسه إلا المطهّرون، تنزيل من رب العالمين» (الواقعة ٧٥ – ٨٠).

إن القرآن الكريم هو «في كتاب مكنون». ولكن أين هو هذا «الكتاب المكنون»؟ يقول: «لا يمسه الا المطهّرون»؛ والطهارة في لغة القرآن تتعلق بجسد الانسان اكثر من قلبه؛ «والله يحب المطهّرين» (التوبة ١٠٩)، «ويحب المتطهّرين» (البقرة ٢٢٢)؛ فالتعبير ليس كناية عن الملائكة، بل عن البشر المتطهّرين، المطهّرين. وقوله: «تنزيل من رب العالمين» يدل على ان «الكتاب المكنون» قد نزل، وليس بعد في السماء؛ انما هو على الارض، لكن «لا يمسه الا المطهّرون».

تعبير ثان : « بل هو قرآن مجيد ، **في لوح محفوظ** » (البروج ٢١ – ٢٢). هاتان الآياتان هما ختام حديث طويل عن أهل الاخدود ، شهداء نجران النصارى ؛ وختام حديث مقتضب يقتصر عـــلى الاشارة : « هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود » . فكفر اهل مكة بالحديثين : « بل الذين كفروا في تكذيب » حينئذٍ يردّ عليهم بقوله : « والله من ورائهم محيط » ؛ ثم بقوله : « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » . فسياق الحديث كله انه لا يصح لاهل مكة التكذيب به لانه « في لوح محفوظ » ؛ هـــذا الاستشهاد بمصدر الحديث برهان على ان اللوح المحفوظ الذي يحويه هو على الارض ، لانه لا يعقل أن يحيلهم الى لوح محفوظ في السماء ، لا سبيل لهم اليه .

وليس من قرينة في الآية ، ولا في السورة كلها ، تدل على ان هذا اللوح محفوظ في السماء .

تعبير ثالث : « لكل أجل كتاب : يمحو الله ما يشاء ويثبت ؛ **وعنده أم الكتاب** » (الرعد ٤٠ – ٤١) . قالوا : « أم الكتاب : أصله الذي لا يتغير منه شيء ، وهو ما كتبه في الازل » (الجلالان) . هذا تعريف متناقض : ففي الازل ، قبل الخلق ، ليس الله بحاجة ان يكتب لذاته ، وليس من خلق ليكتب لهم . وهب ان الله عنده «لوح محفوظ» هو « أم الكتاب » الذي ينزل منه على خلقه : فكيف يمحو الله منه ما يشاء ويثبت ، في كل أجل ، عند تنزيل الكتاب؟ هل يبدأ الله ويعيد ؟ فليس « عنده أم الكتاب » في السماء منذ الازل ، لان قوله « يمحو الله ما يشاء ويثبت » من الكتاب بحسب كل أجل ، **دليل على كتاب على الارض** ، لا على كتاب في السماء منذ الازل ، **لان ما كتبه الله في الازل لا يتغير منه شيء** : لذلك فإن « أم الكتاب » أي اصله الذي بموجبه « يمحو الله ما يشاء ويثبت » هو قابل للتبديل والنسخ ، والمحو والاثبات ؛ وهذا لا يصح إلا في كتاب الله الذي على الارض . فلا صلة « لأم الكتاب » بالسماء ولا بالأزل ؛ لان هذا يقود الى القول بقديمين : الله وكتابه الازلي .

هذا ما يتضح من قوله ايضاً : « حم . والكتاب المبين : إنّا **جعلناه** قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ! وانه في أم الكتاب لدينا ، لعليٌّ حكيم » (الزخرف ١ — ٤) . يقسم على طريقة اهل الكتاب « بالكتاب المبين » أنه « **جعله** » قرآناً عربياً . فالقرآن العربي « مجعول » ؛ والكتاب المبين قد جُعل قرآناً عربياً . وبما أن القرآن العربي « **تصديق الذي بين يديه** (قبله) وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) ؛ فالكتاب المبين الذي جُعل قرآناً عربياً هو « الذي بين يديه » اي قبله . وفي قوله : « وانه في أم الكتاب لدينا ، لعليٌّ حكيم » ، إن لفظ « لدينا » قد يكون في السماء ، او على الارض ، فلا يقطع بمعنى مكان وجوده . فالتصريح لا يعني الا انه جعل الكتاب المبين الذي عند اهل الكتاب قرآناً عربياً . ولئلا يُطالب بابراز « أم الكتاب » **استدرك** فقال : « انه لدينا ، لعليٌّ حكيم » ، مثل قوله : « في لوح محفوظ » ، ومثل قوله : « لا يمسّه إلا المطهّرون » اي انه لا يحل للمشركين ان يلمسوه . ولمّا أحرجوه قال : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » : ان « مثل » القرآن عند اهل الكتاب ، لا في السماء .

تعبير رابع : « كلّا ! انها تذكرة ، فمن شاء ذكره ، في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهّرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة » (عبس ١١ — ١٦) . في هذا الوصف ، **التصريح بالقرآن وأصله** : إنه ذكر من « الصحف المكرمة » . يقابله قوله : « وان هذا لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى » (الاعلى ١٨ — ١٩) ؛ ويؤكده قوله : « او لم تأتهم بيّنة ما في الصحف الاولى » (ص ١٣٣) : فان « الصحف المكرمة » هي التي بين ايدي اهل الكتاب ، « مرفوعة » عن الناس ، « مطهّرة » من المشركين ، او من غير المتطهّرين من الكتابيين . وهو جواب لهم : « بل يريد كل امرىء ان يؤتى صحفاً منشّرة ! كلّا ، بل لا يخافون الآخرة ! كلّا ، انه تذكرة ، فمن شاء ذكره » (المدثر ٥٣ — ٥٥) ؛ فهو يجيب بأن « الصحف » المذكورة التي ينقل عنها الذكر هي

« مرفوعة مطهّرة » . هذا جواب للمشركين . وجوابه لليهود الكتابيين ، المطالبين « بالبيّنة : رسول من الله يتلو صحفاً مطهّرة ، فيها كتب قيمة » ؛ فيجيب : « وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب (اليهود) إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة » (البيّنة ١ — ٤) . **فمحمد « يتلو صحفاً مطهرة ، فيها كتب قيمة »** ، والقرآن العربي « تذكرة » منها . ودليل ثالث من اسم « السَفَرة » : فهو نقل حرفي للكلمة العبرية « سوفريم » اي كتبة الكتاب ؛ ومهنتهم المقدسة تجعلهم « كراماً بررة » .

فالقرآن العربي « تذكرة » من الصحف المكرمة ، **المرفوعة عن تداول العامة**، المطهّرة من مسّ غير المطهّرين؛ وهي موجودة بأيدي «سفرة بررة». فلا شيء من تلك الاوصاف كلها يوحي بأننا في السماء ، منذ الازل . واستخدام تعبيرين مكرّسين عند اهل الكتاب : « الصحف المكرمة المرفوعة المطهّرة » ثم « السفرة الكرام البررة » ، دليل ، تؤيده البراهين الثلاثة السابقة ، على ان القرآن العربي « تذكرة » من الكتاب الموجود عند اهل الكتاب .

ويقطع غموض تلك التعابير الاربعة تصريحه : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) : **فمثل القرآن هو عند بني اسرائيل النصارى**، لان اليهود من بني اسرائيل هم مع المشركين « شر البرية » (البينة ١) فلا يستشهد بهم .

وغموض تلك التعابير المتشابهة ينجلي من تصاريحه الصريحة في أصل القرآن العربي .

ثالثاً : التصاريح القرآنية عن مصدر القرآن العربي

التصريح الاول : ان القرآن من « الصحف الاولى » .

انه تصريح ثلاثي ، لا يدع مجالاً للشك في مصدره : « ان هذا (القرآن) لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى » (الاعلى ١٨ – ١٩) : « او لم ينبأ بما في صحف موسى ، وابراهيم الذي وفّى » (النجم ٣٧ – ٣٨) ؛ « او لم تأتهم بيّنة ما في الصحف الاولى » (طه ١٣٣) . ان واقع نسبة القرآن العربي للصحف الاولى ، هو نبأ عن ذلك ، وهو بيّنة عليه .

وهذا التصريح الثلاثي يأتي في سورة (النجم ٣٧ – ٣٨) بعد وصف رؤيا ملاك الوحي في نزلتين ، مما يدل على ان القرآن العربي وحي من الصحف الاولى .

يؤيده قوله : « هذا نذير من النذر الاولى » (النجم ٥٦) .

فالقرآن العربي هو « من الصحف الاولى » ، « من النذر الاولى » .

التصريح الثاني : تنزيل رب العالمين هو في زبر الأولين .

التصريح الضخم الذي يعلن ان تنزيل رب العالمين في القرآن هو من زبر الاولين : « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، بلسان عربي مبين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، وانه لفي زبر الاولين : او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل » ؟ (الشعراء ١٩٣ – ١٩٧) .

بمقارنة هـــذا النص بتصريح (الشورى ٥٢) يتضح ان الله أرسل الى محمد « روحاً من أمره » يصفه « بالروح الامين » تمييزاً عن غيره ، فخاطبه بلسان عربي مبين ، وأمره بالايمان بالكتاب الذي جعله نوراً يهدي به من يشاء من عباده . وهذا الامر بالايمان بالكتاب هو « تنزيل رب العالمين ، على قلبك لتكون من المنذرين » . والتنزيل الذي ينذر به هو « في زبر الاولين » .

ويستشهد عـــلى ان القرآن العربي « في زبر الاولين » بشهادة « علماء بني اسرائيل » اي « اولي العلم قائماً بالقسط » ، **وهم النصارى من بني اسرائيل** ،

« ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون » (الاعراف ١٥٨ قابل الصف ١٤) . فشهادة هؤلاء النصارى بأن تنزيل رب العالمين ، في القرآن العربي ، هو من « زبر الاولين » اي « كتبهم كالتوراة والانجيل » (الجلالان) هي « آية لهم » على صحة دعوة محمد بالقرآن العربي .

وهم يستطيعون ان يشهدوا على مطابقة القرآن العربي « للمثل » الذي عندهم ، بين ايديهم ؛ لا لكتاب في السماء ، ما من سبيل لهم للوصول اليه .

فالقرآن العربي ينقل للعرب **تنزيل رب العالمين من « زبر الاولين »** ، كما أمره الروح الامين ، بلسان عربي مبين . هذا مصدره ، ومصدر تنزيله .

التصريح الثالث : إمامة الكتاب للقرآن العربي .

التصريح مزدوج في إمامة الكتاب للقرآن العربي : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة : وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢) . ومن قبله أيضاً « الكتاب المنير » الذي يجادل المشركين بعلمه وهداه (لقمان ٢٠ ؛ فاطر ٢٥ ؛ الحج ٨) .

إن امامة الكتاب ، التوراة والانجيل ، للقرآن العربي ، كاملة فلا يختلف عنه إلا « باللسان العربي » . ويقتصر دور القرآن العربي على التصديق « لساناً عربياً » : هذه هي حاله . فالكتاب الذي عند أهل الكتاب هو مصدر القرآن : **« وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله »** (الاحقاف ١٠) .

التصريح الرابع : اشراف أئمة الكتاب على تعريبه بالقرآن .

يقول : « ولقد آتينا موسى الكتاب : **فلا تكن في مرية من لقائه** ؛ وجعلنا هدى لبني اسرائيل ؛ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا » (السجدة ٢٣ — ٢٤) .

إن الله جعل الكتاب هدى لبني اسرائيل؛ وجعل منهم أئمة يهدون بأمره تعالى الى هدى الكتاب؛ فما على محمد ان يشك في لقائه الكتاب، بواسطتهم.

وهؤلاء الأئمة هم «الراسخون في العلم»، من «اولي العلم قائماً بالقسط» اي النصارى من بني اسرائيل (الاعراف ١٥٨ مع الصف ١٤).

فهؤلاء الائمة النصارى هم الذين يشرفون على لقاء محمد بالكتاب، وعلى نقل الكتاب الى القرآن العربي: «وانه لتنزيل رب العالمين . . . وانه لفي زبر الاولين: أوَ لم تكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٣ – ١٩٧). فالشهادات متواترة مؤتلفة.

ويدل على اشراف أئمة النصارى على نقل الكتاب الى القرآن العربي تصريحه بأن القرآن نفسه «هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم» (العنكبوت ٤٧)؛ وتصريحه بأن «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» (الانعام ٢٠؛ البقرة ١٤٦) اي معرفه أبوية مصدرية.

التصريح الخامس: مرادفات «التنزيل» تفسر معناه.

رأينا ان تعبير «التنزيل» في لغة القرآن من متشابهاته، فلا يقطع بمعنى محدود.

والآن نرى ان مرادفاته لا تساعد على تحديد معناه.

١ – **التنزيل هو تيسير القرآن للعرب**: «ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدّكر» (القمر ١٧ و ٢٣ و ٣٢ و ٤٠). فهو تيسير عربي لذلك الكتاب: «فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين، وتنذر به قوماً لدّاً» (مريم ٩٧)؛ «فإنما يسرناه بلسانك، لعلهم يتذكرون» (الدخان ٥٨). لاحظ دقة التعبير: «يسرناه بلسانك».

٢ — التنزيل هو **تصريف** الآيات في القرآن للعرب : « ولقد صرّفناه بينهم ليذكروا » (الفرقان ٥٠) . لقد صرّفه ، وصرّف فيه : « ولقد صرّفنا في هذا القرآن ليذّكروا » (الاسراء ٤١) . وصرّف فيه من كل مثل : « ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل » (الكهف ٥٥) . وبيانه بالامثال لم يحملهم على الهداية : «ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل، فأبى أكثر الناس إلا كفوراً » (الاسراء ٨٩) ؛ كما « صرّفنا فيه من الوعيد ، لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكراً » (طه ١١٣) . فالتعريف دليل المقدرة البيانية ، ولا يحمل معنى التنزيل : « وكذلك نصرف الآيات » (الانعام ١٠٥ ؛ الاعراف ٥٧) . فالتصريف في البيان والتبيين ، ولا يقطع بمعنى الوحي والتنزيل : « انظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون » (الانعام ٤٦) .

٣ — التنزيل هو **تبيين** آيات الله للعرب : « يبيّن الله لكم الآيات » (٢ : ٢١٩ و ٢٦٦ ؛ ٢٤ : ١٨ و ٥٨ و ٦١) ؛ « يبين الله لكم آياته » (٢ : ٢٤٢ ؛ ٣ : ١٠٣ ؛ ٥ : ٩٢ ؛ ٢٤ : ٥٩) . والتبيين يتعلق بلسان القوم أكثر منه بالتنزيل : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبيّن لهم » (ابراهيم ٤) . وموضوع هذا البيان نوعان ؛ الاول : « وما أنزلنا عليك الكتاب الا **لتبين لهم الذي اختلفوا فيه** » (النحل ٦٤) ؛ والثاني : « وأنزلنا اليك الذكر **لتبين للناس ما نزّل اليهم** ، ولعلهم يتفكرون » (النحل ٤٤) . فالقرآن هو بيان الكتاب الذي نزّل اليهم واختلفوا فيه الى يهود ونصارى (النمل ٧٦) . وهو ايضاً بيان للعرب : « **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم** » (النساء ٢٥) . فالقرآن هو تبيان الكتاب المنزل قبله ، بلسان محمد ، ولسان قومه .

٤ — التنزيل هو « **تفصيل الكتاب** » المنزل من قبل : « وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ؛ ولكن تصديق الذي بين يديه (قبله) وتفصيل الكتاب ، لا ريب فيه ، من رب العالمين » (يونس ٣٧) . وهو يفصّل جملة

وتفصيلاً : « وكذلك تفصّل الآيات » (٦ : ٥٥ ؛ ٧ : ٣١ و ١٧٣ ؛ ١٠ : ٢٤ ؛ ٣٠ : ٢٨) . فالصلة القائمة بين الكتاب والقرآن ، **هي صلة التنزيل في الكتاب بتفصيله في القرآن** : « تنزيل من الرحمان الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً » اي عرّبت (فصلت ٢ – ٣) ؛ فالتنزيل « كتاب أحكمت آياته ، **ثم فصلت** من لدن خبير حكيم » (هود ١) . **فالتفصيل في لغة القــرآن يعني التعريب** : « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا : لولا فصلت آياته » (فصلت ٤٤).

وهذا هو **القول الفصل** في معنى التنزيل في القرآن : انه « تفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) اي تعريب الكتاب ، بحسب « المثْل » (الاحقاف ١٠) .

فقوله : « وكذلك **أنزلناه** قرآنــاً عربياً » (النحل ١١٣) يعني : « انا **جعلناه** قرآناً عربياً » (الزخرف ٢ – ٣) .

فالقرآن العربي هـــو نقل الكتاب المنزل قبله الى العربية بالتيسير ، والتصريف ، والتبيين ، والتفصيل ، اي بالتعريب ؛ وقوله المتواتر «أنزلناه» يعني « جعلناه » . **هذا هو** تنزيل القرآن بلغته واصطلاحه .

التصريح السادس : واسطة الهداية والبعثة ، وواسطة القرآن.

في القرآن العربي ظاهرتان متقاربتان ، لكنهما تختلفان معنى ومضموناً.

الاولى يصرّح فيها : « انا أنزلناه في ليلة القدر » (القدر ١) ؛ « انا أنزلناه في ليلة مباركة . . . **أمراً** مـــن عندنا ، انا كنا مرسلين » (الدخان ١ – ٥) ؛ « شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس » (البقرة ١٨٥) . هنا يظهر ان القرآن **نزل جملة واحدة** .

ثم يصرّح ايضاً : « وقرآنا فرّقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه

تنزيلاً » (الاسراء ١٠٦) اي « نزلناه مفرقاً في عشرين سنة او وثلاث (لتقرأه على الناس على مكث) مهل وتؤدة ليفهموه (ونزلناه تنزيلاً) **شيئاً بعد شيء** على حسب المصالح » (الجلالان) . يؤيد ذلك ردّه على الكفار : « وقال الذين كفروا : لولا نزّل عليه القرآن **جملة واحدة** ؟ ـ كذلك ، لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلاً » (الفرقان ٣٢) اي « نزلناه (كذلك) متفرقاً (لنثبت به فؤادك) نقوي قلبك (ورتلناه ترتيلاً) **أتينا به شيئاً بعد شيء** بتمهل وتؤدة لتيسير فهمه وحفظه » (الجلالان) . وهنا يظهر ان القرآن نزل منجماً، مفرقاً، مدى عشرين سنة وثلاث .

لتفسير تلـــك الظاهرة القرآنية الغريبة المتعارضة طلعوا بنظرية نزول القرآن جملة واحدة ، ليلة القدر ، من شهر رمضان ، الى بيت العزة ، في السماء الدنيا ؛ ثم نجّمه جبريل على محمد مدة عشرين سنة وثلاث. انها نظرية متعارضة في ذاتها ، ولا أساس لها في القرآن ، وهي تكثر من الوسائط في تنزيل القرآن مما يعطل اعجازه في التنزيل . والجواب الصحيح هو في سورة الدخان : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة ... **أمراً** من عندنا » . فالذي نزل الى محمد ليلة القدر من شهر رمضان هو الأمر بالايمان بالكتاب (الشورى ٥٢) . وهذا ما يصرّح به مراراً ، كقوله : « **وأمرت** ان اكون من المسلمين ، وان اتلو القرآن » معهم (النحل ٩٠ ـ ٩١) . فهناك موقفان متباينان : ظهور ملاك في رؤيا غار حراء لمحمد يأمره بالايمان بالكتاب والدعوة له بين العرب ؛ ثم « تفصيل الكتاب » اي تعريبه بلسان قومه لكي يفهموه . والواسطة تختلف بين الموقفين .

وهذه هي **الظاهرة الثانية**. يعلن بتواتر : « قـــل نزّله روح القدس ، من ربك ، بالحق » (النحل ١٠٢) ؛ « نزل به الروح الامين ، بلسان عربي مبين ، على قلبك لتكون من المنذرين » (الشعراء ١٩٤ ـ ١٩٥) ؛ « **قول رسول كريم** ، ذي قوة عند ذي العرش مكين ، ومطاع ثم أمين ، وما صاحبكم بمجنون ،

« لقد رآه بالافق المبين ، وما هو على الغيب بضنين » (التكوير ١٩ — ٢٤) ؛ وانه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر ! . . ولا بقول كاهن ! » (الحاقة ٤٠ — ٤٢) . ففي هذه كلها ، الرسول الكريم ، الروح الامين ، هو الملاك الذي أتاه في رؤيا غار حراء يأمره بالايمان بالكتاب (الشورى ٥٢) ، والدعوة له (الشورى ١٥) .

وهو غير الذي يتلقى القرآن عنه : « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » (النمل ٦) . يتضح معناها من قوله : « كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود ١) . فقد تمّ « تفصيل الكتاب » اي تعريبه ، بواسطة خبير حكيم ، غير الروح الامين الذي رآه في غار حراء .

ويتضح السّر بالتصريح التالي .

التصريح السابع : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » .

يتحدّى لاثبات صحته واعجازه « بحديث مثله » (الطور ٣٤) ؛ « لا يأتون بمثله » (الاسراء ٨٨) ؛ « فأتوا بعشر سور مثله » (هود ١٣) ؛ « فأتوا بسورة مثله » (يونس ٣٨) ، بل « بسورة من مثله » (البقره ٢٣) .

ولكن هذا التحدّي « **بمثله** » ساقط لان « **مثله** » موجود قبله : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله » (الاحقاف ١٠) .

وفي وجود هذا « المثل » قبل القرآن العربي سره ، كما يظهر ايضاً من تصريحه « أفمن كان على بيّنة من ربه — **ويتلوه شاهد منه** ، ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة — أولئك يؤمنون به ؛ ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعوده **فلا تك في مرية منه** ؛ انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » (هود ١٧) .

لقد تضاربت آراء المفسرين في فهم الآية لغموض الضمائر . والقرائن العديدة تشير بأنه يقسم الناس في موقفهم من القرآن الى أهل الكتاب الذين يؤمنون به لانهم على بينة من ربهم ، والى الاحزاب الذين يكفرون به ، وهم من اليهود والمشركين . فما عـــلى محمد أن يكون « في مرية منه » ، في شك وريب ؛ لانه « يتلوه شاهد منه ، ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة » . قيل : الشاهد هو جبريل أو الملك أو على قول الشيعة علي بن أبي طالب . والاصح فهم قوله : « ويتلوه شاهد منه » تعالى ، على ضوء قوله : « وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ... ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٠ و ١٢) . وهكذا يفسر القرآن بعضه بعضاً ، حيث الموقف واحد ، والشاهد واحد .

قال البيضاوي : « وقرئ (كتاب) بالنصب ، عطفاً على الضمير في (يتلوه) اي يتلو القرآن **شاهد** ممن كان على بينة دالة على أنه حق ، كقوله (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) ، ويقرأ من قبل القرآن التوراة (إماماً) كتاباً مؤتماً به في الدين » .

وهكذا فإن « **مثل** » **القرآن موجـــود عند بني اسرائيل النصارى** ؛ وهذا « **المثل** » **هو** « **القرآن** » الذي يذكره القرآن العربي ؛ ويتلوه شاهد من بني اسرائيل النصارى على محمد ؛ فما عليه ان يكون في مرية منه . وذلك مثل قوله : « فلا تكن في مرية من لقائه » (السجدة ٢٤) : انـــه يلقى الكتاب نفسه ، بواسطة هذا « المثل » الذي يتلوه الشاهد الاسرائيلي النصراني . وهذا الشاهد هو « الحكيم العليم » الذي يتلقى محمد منه القرآن (النمل ٦) ، وهو « الحكيم الخبير » الذي يقوم بتفصيله قرآناً عربياً[1] (هود ١) .

---

(١) كون الشاهد « نصرانياً » لا يدل على انه غير عربي : فإن ورقة بن نوفل استاذ محمد كان قسّ النصارى بمكة . لذلك فقوله : « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » (النحل ١٠٣) لا ينطبق على الشاهد النصراني ؛ انما يقصد شخصاً آخر .

فذاك « **المثل** » الذي يتلوه الشاهد الاسرائيلي النصراني هــو « **القرآن** »، قرآن الكتاب الإمام، والكتاب المنير، والذي يفصله القرآن العربي للعرب.

فسر القرآن العربي هو في ذاك « المثل »، الذي هو « القرآن ».

رابعاً: صفات القرآن الذاتية تؤيد نسبته الى « المثْل ».

الصفة الاولى: القرآن العربي ذكر اوتذكرة من تلك «الصحف المكرمة».

« ان هو الا **ذكر** للعالمين » (يوسف ١٠٤ قابل ٣٨ : ٨٧ ؛ ٨١ : ٢٧). كذلك : « ما هو الا ذكر للعالمين » (القلم ٥٢). ويكرر للتوضيح والترسيخ : « ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدّكر » (القمر ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠). فصفة القرآن العربي انه ذكر، للذكر: « وانه لذكر لك ولقومك » (الزخرف ٤٤) وهو ذكر من الذكر الذي مع « أهل الذكر » : « هذا ذكر من معي وذكر من قبلي » (الانبياء ٢٤). بذلك يشهد أهل الذكر أنفسهم : « فاسألوا أهل الذكر، اذا كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣–٤٤).

« ذلك **ذكرى** للذاكرين » (١١ : ١١٥)، « ان هــو الا ذكرى » (٦ : ٩٠)، « ذكــرى للمؤمنين » (٧ : ١ ؛ ١١ : ١٢٠)، « ذكرى للعابدين » (٢١ : ٨٤)، « ذكرى لقوم يؤمنون » (٢٩ : ٥٠)، « ذكرى لاولي الألباب » (٣٨ : ٤٣ ؛ ٤٠ : ٥٤). وهذا التعبير يجعل صفة القرآن العربي تذكرة للعرب بذكر « أهل الذكر ».

« وانه **لتذكرة** للمتقين » من العرب (الحاقة ٤٨) ؛ « كلاّ ! انه تذكرة، فمن شاء ذكره » (المدثر ٥٤ – ٥٥) ؛ « كلاّ انها تذكرة، فمن شاء ذكره » (عبس ١٢).

وهذه التذكرة « في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة كرام بررة » (عبس ١١ — ١٦) . فهذه « الصحف المكرمة » هي مصدر القرآن العربي؛ لأن محمداً « يتلو صحفاً مطهّرة ، فيها كتب قيّمة » (البيّنة ٢ — ٣) ، ويستعلي عليهم بدراستها (سبأ ٤٤ ؛ القلم ٣٧) .

الصفة الثانية : القرآن العربي « حديث » من كتاب الله .

« الله نزّل أحسن الحديث ، كتاباً متشابهاً » (الزمر ٢٣) يشبه « المثل » الذي « يتلوه شاهد منه » . لذلك ، « ما كان حديثاً يفترى » (يوسف ١١١) ؛ « ومن أصدق من الله حديثاً » (النساء ٨٦) . فلا يحق لاحد ان « يكذب بهذا الحديث » (القلم ٤٤) : « أفبهذا الحديث أنتم مدْهنون » ! (الواقعة ٨١) .

وهو يتحداهم : « فليأتوا **بحديث مثله** ، إن كانوا صادقين » (الطور ٣٤) ؛ لأنه هو عنده « مثل » هـــذا الحديث الذي « شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ، فآمن واستكبرتم » (الاحقاف ١٠) . فعلى محمد ان يدعهم « حتى يخوضوا في حديث غيره » (النساء ١٣٩ ؛ الانعام ٦٨) .

فالقرآن العربي « حديث » من كتاب الله ، في « المثل » الذي عند أهله .

الصفة الثالثة : القرآن العربي « بيّنة ما في الصحف الاولى » .

نوجز ما فصلناه سابقاً . يعلن « هذا بيان للناس » (آل عمران ١٣٨) . لكنه ليس بياناً جديداً ، إنما هو « بيّنة ما في الصحف الاولى » (طه ١٣٣) ، « لتبيّن للناس ما نزّل اليهم » في الكتاب الإمام ، والكتاب المنير (النحل ٤٤).

وقد جاء محمد بالبيّنة التي طلبها اليهود والمشركون : « رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ، فيها كتب قيمة . وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءتهم البيّنة » (البيّنة ١ — ٤). فهو يصرّح بأن محمداً تلا « صحفاً مطهرة ، فيها كتب قيمة » ؛ وقد « درسها » (الانعام ١٠٥ و ١٥٦) . ومـــا القرآن العربي سوى « ما في الصحف الاولى » (الاعلى ١٨) .

الصفة الرابعة : القرآن العربي تصديق الكتاب المنزل قبله .

يؤكد اثنتي عشرة مرة ان القرآن العربي «تصديق الذي بين يديه» اي قبله (يونس ٣٧) ، « وآمنوا بما أنزلتُ مصدقاً لما معكم » « مصدق لمـــا معهم » ، « مصدق لما بين يديه » (البقرة ٤١ و ٨٩ و ٩١ و ٩٧) .

ان القرآن العربي تنزيل لانه تفصيل التنزيل ، وتصديق له : «نزّل عليك الكتاب بالحق ، مصدقاً لما بين يديه» (آل عمران ٣) ، « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه» (المائدة ٤٧) اي « شاهداً له » (الجلالان) .

فقدسية القرآن العربي تقوم على صفة التصديق فيه : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، مصدق الذي بين يديه » (الانعام ٩٢) . لذلك « هو الحق مصدقاً لما بين يديه » (فاطر ٢١ ؛ الاحقاف ٣٠) . فصفته الذاتية انه « تصديق الذين بين يديه » (يونس ٣٧ ؛ يوسف ١١١) ، لا وحي جديد .

الصفة الخامسة : القرآن العربي «تفصيل الكتاب» عن «المثْل» النصراني .

لاستجماع اللوحة ، نكرر ما سلف . القرآن « تفصيل الكتاب » الذي قبله (يونس ٣٧) ؛ فقد « فصلناه تفصيلاً » (الاسراء ١٢) . وهذا التفصيل كان جملة وتفصيلاً : « وكذلك نفصل الآيات » (٦ : ٥٥ ؛ ٧ : ٣١ و ١٧٣ ؛ ١٠ : ٢٤ ؛ ٣٠ : ٢٨) . وهذا « التفصيل » تصريف وبيان وتيسير .

فالقرآن العربي « **تفصيل الكتاب** » اي تعريبه ، بحسب اصطلاحه . لكنه على الخصوص هو **تعريب** « **المثل** » الذي شهد به الشاهد الاسرائيلي النصراني كما يظهر من استخدام النكرة في « **كتاب** » يفصله القرآن العربي : « تنزيل من الرحمان الرحيم : **كتاب** فُصلت آياته قرآناً عربياً » (حم السجدة ١ — ٣) . فالقرآن العربي هو تفصيل « كتاب » : فما هو ؟ والتصريح مكرر : «آلر .

كتاب أحكمت آياته، ثم فُصّلت من لدن حكيم خبير » (هود ١) . فهناك تفاوت في الزمن بين القرآن العـــربي المفصَّل ، و « كتاب » محكم يجري تفصيله على يد حكيم خبير . والابهام في استخدام النكرة في التصريحين ، يزيله **الاعلان الضخم** : « وشهد شاهد من بني اسرائيل **على مثله** » (الاحقاف ١٠) . فهذا « المثل » هو « القرآن » الذي يفصله القرآن العربي . ولا يزيد عليه سوى اللسان العربي : « وهذا كتاب مصدّق ، لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢) .

فالصفات الذاتية في القرآن العربي تدل على انه « **تفصيل الكتاب** » (يونس ٣٧) على العموم ، لانه بنوع خاص **تعريب** « **المثل** » الذي يشهـــد به الشاهد الاسرائيلي النصراني .

خامساً : صفات القرآن الموضوعية دليل ذاته

هناك سبع صفات تحدد صلة القرآن الموضوعية بالكتاب .

١ — القرآن العربي هـــو **تعليم العرب «الكتاب والحكمة»** اي التوراة والانجيل (٢ : ١٢٩ و ١٥١ ؛ ٣ : ١٦٤ ؛ ٦٢ : ٢) . وقد فصلنا ذلك من قبل. وهو « يعلمهم الكتاب والحكمة » لان فيهما الدين الذي شرعه للعرب ، دين موسى وعيسى معاً بلا تفريق (الشورى ١٣) .

٢ — وهو يجادل العرب **بعلم وهدى وكتاب منير** ، بينما « من الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (الفرقان ٢٠ ؛ الحج ٨) . فمع الكتاب المنير ، يجمع القـــرآن العربي « العلم » و « الهدى » . والهدى في اصطلاحه ما آتى الله موسى : « ولقد آتينا موسى الهدى » (٤٠ : ٥٣) ؛ وهو ايضاً كناية عن علم الكلام المبني عليه . و « العلم » كناية عن التنزيل الانجيلي ،

والكلام المبني عليه ، بحسب اصطلاح النصارى من بني اسرائيل . فالقرآن العربي يجادل العرب بالكتاب المنير ، ثم بكلام الهدى ، وبكلام العلم ، المبنيين عليه : « بعد الذي جاءك من العلم » (٢ : ١٢٠ و ١٤٥ ؛ ٣ : ٦١) .

وهناك تعبير آخر يشبهه : « أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله » (٤٨ : ٢٨ ؛ ٦١ : ٩ : ٣٤) . فالهدى ودين الحق مرادف للهدى والعلم . ففي القرآن كلام الهدى ، وكلام العلم ، مع الكتاب المنير .

٣ ــ في القرآن العربي ، « ما يقال لك إلا ما قيل للرسل من قبلك » (فصلت : ٤١) . لذلك فقد جاء « بلاغاً من الله ورسالاته » (الجن ٢٣) . فهو **بلاغ من رسالات** الله قبله . فمع الكتاب بلاغ من الرسالات المبنية عليه .

٤ ــ « ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ، **ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم** ، وموعظة للمتقين » (النور ٣٤) . ففي القرآن العربي آيات مبينات لكتاب الله ؛ وفيه أيضاً قصص الذين خلوا من قبلهم ، من أهل الكتاب ، ومن العرب ايضاً ؛ وذلك كله « موعظة للمتقين » من العرب .

٥ ــ « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ، والقرآن العظيم » (الحجر ٨٧) . لقد تعددت الروايات والاقوال في « المثاني السبع » . فروي انها الفاتحة ــ ولكنها من القرآن نفسه ، وتمييزها عنه يقتضي معنى آخر . وروى بعضهم انها السور السبع الطوال ــ وهي ايضاً من القرآن ، فلا يصح تمييزها لولا معناها المستقل .

وعندنا ان التعبير القرآني من اصطلاح أهل الكتاب : فالقرآن العظيم هو الكتاب نفسه ، يعبرون عنه بحرف « مقرا » ؛ ولفظ « المثاني » معدول عن «المشنة» العبرية، وهي كتاب السنّة، تفصيل كتاب الله. ففي القرآن العربي قرآن

الكتاب مع « سبع » من السنة ، كالقصص السبع التوراتية فيه ، ينقلها كما ترويها السنة في التلمود ، لا كما ترويها التوراة .

فالقرآن العربي تفصيل من « الكتاب والسنة » .

٦ — « شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن ، هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان » (البقرة ١٨٥) .

كان القرآن في اصطلاح أهل الكتاب كناية عن الكتاب نفسه . وهكذا ورد في القرآن العربي . وكان « الفرقان » عندهم كناية عن التفسير المتواتر بالحديث والسنة عن الآباء ؛ وفي التلمود كتاب « قرقة أبوت » اي فرقان الآباء اي تفصيلهم الكتاب . وكان الفرقان عندهم كلام الله المنقول بالسماع . لذلك جاء : « آتينا موسى الكتاب والفرقان » (البقرة ٥٣) . فكما « آتينا موسى وهارون الفرقان » (الانبياء ٤٨) ، كذلك « نزل على عبده الفرقان » (٢٥ : ١) مع قرآن الكتاب .

ففي القرآن العربي « بينات من الهدى والفرقان » اي من القرآن والفرقان، الكتاب والتفسير بالحديث.

فكل تلك الصفات الموضوعية تدل على مدى الصلة الموضوعية القائمة بين القرآن العربي والكتاب الامام مع الكتاب المنير. فالقرآن العربي فيه، على غرار «المثل» الذي يفصله، من الفرقان والمشنة، وكلام الهدى، و كلام «العلم»، ومن قصص الماضين . وهذا هو سبب الفوارق الظاهرة بين القرآن والكتاب ، مع ان القرآن « تفصيل الكتاب » ، لكن عن طريق تفصيل « المثل » الذي شهد به الشاهد الاسرائيلي النصراني .

٧ — وهناك صفة سابعة : القرآن العربي « بشرى »

يمتاز بهذه الصفة المتواترة : « هدى وبشرى للمؤمنين » (البقرة ٩٧؛ النمل ٢) ؛ « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً، لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين » (الاحقاف ١٢) ؛ « قل : نزّله روح القدس من ربك بالحق ، ليثبّت الذين آمنوا ، **وهـــدى وبشرى للمسلمين** » (النحل ١٠٢) . لاحظ التمييز بين جماعة محمد « الذين آمنوا » والمسلمين .

في اصطلاحه : « الذين آمنوا » كناية عـــن « المتقين » من العرب ، جماعة محمد ؛ و « الذين ظلموا » مقرونة « بالمحسنين » كناية عن اليهود والنصارى . وبتمييزه بين « الذين آمنوا » وبين « المسلمين » ، يكون « **المسلمون** » كناية عن النصارى المحسنين .

وفي اصطلاحه أيضاً : « الهـــدى » كناية عن « كتاب موسى » : التوراة ؛ وتعبير « **البشرى** » ترجمة حرفية للفظ الانجيل .

فالقرآن العربي ، كما هو « بيان للناس ، وهدى وموعظة للمتقين » من العرب (آل عمران ١٣٨) ؛ كما هو انذار لليهود الذين ظلموا ، وبشرى للنصارى المحسنين (الاحقاف ١٢) ؛ هو ايضاً تثبيت « للذين آمنوا » من جماعة محمد ، « وهدى وبشرى للمسلمين » اي بحسب اصطلاحه ، **توراة وانجيل للمسلمين النصارى** .

فمن صفات القرآن العربي ، ومـــن أهدافه انه توراة وانجيل « للمسلمين » النصارى ، كما كان « المثل » الذي شهد به أحد علمائهم (الاحقاف ١٠) .

فسر القرآن ، في عرف القرآن ، نستبينه من آيتين :

الاولى : « وشهد شاهد من بني اسرائيل **على مثله** » (الاحقاف ١٠) . فمثل

القرآن موجود مع النصارى من بني اسرائيل ؛ وهذا « المثل » هو « القرآن » الذي يفصله القرآن العربي .

الثانية ، في هدف الدعوة القرآنية : « يا ايها الذين آمنوا ، كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من انصاري الى الله؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله . فآمنت طائفة من بني اسرائيل (وهم النصارى) ؛ وكفرت طائفة (وهم اليهود) : فأيدنا الذين آمنوا (النصارى) على عدوهم (اليهود) فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . فالدعوة القرآنية تأييد « للنصرانية » على اليهودية ، في الجزيرة العربية ، حتى النصر المبين .

فبعد دعوة العرب للتوحيد الكتابي ، تلك غاية الدعوة القرآنية : فهي من أساس قيامها **تأييد لاهل الانجيل** . هذا هو القرآن ، في عرف القرآن .

تلك هي **القاعدة الثامنة عشرة** في الحوار المسيحي الاسلامي .



فصل الخطاب

« تنزيل » القرآن — ونزول « كلمة الله »



قلنا
ان
يق
ـة»
آن
ل
ـله

القرآن تنزيل . يصرح بذلك نحو ١٦٢ مـــرة ، بصور شتى من فعل واسم وصفة ؛ منها ١٤ مرة باسم « تنزيل » .

لكنه تنزيل بالواسطة : أمر به « روح من أمر الله » (الشورى ٥٢) ؛ وتم « بتفصيل الكتاب » (يونس ٣٧) للعرب . لذلك فالقرآن العربي ينتسب في تنزيله على الاطلاق الى الكتاب ، « كتاب موسى الامام » (هود ١٧ ؛ الاحقاف ١٢) ، و « الكتاب المنير » اي الانجيل (لقمان ٢٠ ؛ فاطر ٢٥ ؛ الحج ٨) .

والانجيل هو نزول « كلمة الله » ؛ فالمسيح هو « رسول الله ـ وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه » (النساء ١٧٠) .

فما هي الصلة بين « تنزيل » القرآن ، ونزول « كلمة الله » ؟

اولا : « تنزيل » القرآن

(القاعدة التاسعة عشرة ، في الحوار الاسلامي المسيحي)

في البحث السابق درسنا الصفات المتنوعة التي تفسر معنى « التنزيل » في

لغته واصطلاحه . والنتيجة الحاسمة منها كلها ان القــرآن « **تنزيل** » **لانه من تنزيل الكتاب قبله** ؛ ومحمد **نبي ورسول** ، لانه بأمر من الله تلقاه في غار حراء ، قام « بتفصيل الكتاب » ، عن « المثل » الذي مع النصارى من بني اسرائيل ، اي بنقل نبؤته الى العرب والدعوة برسالته .

١ ــ القرآن هو الوحي الكتابي نفسه

هذا ما يصرح به في تضاعيف سوره : « إنا أوحينا اليك ، كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » (النساء ١٦٢) ، « بلاغاً من الله ورسالاته » (الجن ٢٣) . لذلك « ما يقال لك إلا ما قيل للرسل مــن قبلك » (فصلت ٤٣) ؛ « وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك » (هود ١٢٠) ؛ « وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا انا فاعبدون » (الانبياء ٢٥) . والنتيجة الحاسمة : « إن هذا لفي الصحف الاولى » (الاعلى ١٨) ؛ « أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى » (طه ١٣٣) .

فالقرآن هو الوحي الكتابي عينه ؛ وليس فيه من وحي جديد .

٢ ــ القرآن هو التنزيل الكتابي نفسه

إنه « تنزيل العزيز الرحيم » (٣٦ : ٥) ، « تنزيل مــن الرحمان الرحيم » (٤١ : ٢) ، « تنزيل من حكيم حميد » (٤١ : ٤٢) ، « تنزيل من رب العالمين » (٥٦ : ٨٠ ؛ ٦٩ : ٤٣) . وقد « نزلنا عليك القرآن تنزيلاً » (٧٦ : ٢٣) ، « ونزلناه تنزيلاً » (٢٥ : ٢٥) ، « تنزيلاً ممن خلق الارض والسماوات العلى » (٢٠ : ٤) .

لكنه « تنزيل الكتاب » (٣٢ : ٢ ؛ ٣٩ : ١ ؛ ٤٠ : ٢ ؛ ٤٥ : ١ ؛ ٤٦ : ٢) .

وهذا التصريح لا يدع مجالاً لريب أو مرية: «وانه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الامين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين؛ وإنه لفي زبر الاولين: أو لم تكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل» (الشعراء ١٩٣ — ١٩٧).

فتنزيل القرآن هو من «زبر الاولين» اي «كتبهم كالتوراة والانجيل» (الجلالان)، وذلك بشهادة علمـــاء بني اسرائيل النصارى — لا اليهود «اول كافر به» — انهم يعلمونه، اذ «هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم؛ وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون» (العنكبوت ٤٩): فأولو العلم المقسطون، اي النصارى، يعرفونه حق المعرفة؛ أما اليهود الظالمون فيستنكرن تلك الصلة المصدرية لانها تفضح كفرهم؛ والنبي نفسه، «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم» (البقرة ١٤٦؛ الانعـــام ٢٠) اي معرفة الأب ابنه، معرفة مصدرية.

وهو «تنزيل الكتاب» في التشريع، كما في التوحيد: «يريد الله ليبيّن لكم، ويهديكم سنن الذين من قبلكم» (النساء ٢٥) اي «سنن الذين من قبلكم من الانبياء، في التحليل والتحريم، فتتبعوهم» (الجلالان).

فالقرآن هو التنزيل الكتابي عينه في التوحيد، وفي التشريع: فليس فيه من تنزيل جديد.

٣ — القرآن هو الدين الكتابي عينه الذي يشرعه للعرب

التصريح به صريح لا مرية فيه: «**شرع لكم من الدين** ما وصّى به نوحاً — والذي أوحينا اليك — وما وصينا به **ابراهيم وموسى وعيسى**: أن أقيموا الدين، ولا تتفرّقوا فيه. كبر على المشركين ما تدعوهم اليه» (الشورى ١٣).

القرآن يشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً ديناً واحداً ، هو دين الانبياء من نوح الى ابراهيم الى موسى الى عيسى الى محمد . فـــلا تفرقة في هذا الدين الكتابي، ولا تفريق .

وبما أنه يشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً ، استكبر المشركون ذلك ، واستنكروه لسبب سياسي أكثر مما هو ديني : « وقالوا : إن نتبع الهدى معك، نتخطفْ من أرضنا » ! (القصص ٥٧) . فهم يقفون عـــلى الحياد بين الفرس والروم ؛ واذا **تبعوا الهدى الكتابي مع محمد** كانوا عرضة للغزو من احدى الامبراطوريتين ، مـــن الفرس أنصار اليهود بين العرب ، أو من الروم حماة المسيحية في الجزيرة العربية .

فالقرآن يشرع للعرب دين موسى وعيسى معاً « لا نفرق بين احد منهم ، ونحن له مسلمون » (البقرة ١٣٦ ؛ آل عمران ٨٤) ؛ « لا نفرق بين احد من رسله ، ونحن له مسلمون » (البقرة ٢٨٥) . فليس فيه من دين جديد .

٤ ــ ايمان القرآن هو الايمان « بالكتاب كله »، التوراة والانجيل

كانت بعثة محمد هداية الى الايمان بالكتاب ، وذلك بنص القرآن القاطع : « وكذلك أوحينا اليك روحاً مـــن أمرنا (اي ملاكاً) : **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان** ؛ ولكن جعلناه (الايمان بالكتاب) نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا، **وانك لتُهدى[1] الى صراط مستقيم**، صراط الله» (الشورى ٥٢). الهداية الى الصراط المستقيم هي الهداية الى الايمان بالكتاب؛ وهذا ما يأمر به روح من أمر الله محمداً في غار حراء . فلبى الامر والنداء واهتدى الى الايمان بكتاب موسى وعيسى ، وأخذ يهدي العرب بهما : « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لاعدل بينكم » (الشورى ١٣ ـــ ١٥) .

---

(١) قراءة « لتُهدى » أصح من قراءة « لتَهدي » كما يقتضيها السياق : الايمان بالكتاب .

٤
نا
ن
ن
»
ن
،
ه

وهو يعلن الايمان برسل الله وكتبه : «آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته **وكتبه**، لا نفرّق بين احد من رسله» (البقرة ٢٧٥). ويدعو جماعته الى هذا الايمان عينه : «يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله، والكتاب الذي نزل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل : ومن يكفر بالله وملائكته **وكتبه ورسله**، واليوم الآخر، فقد ضل ضلالاً بعيداً» (النساء ١٣٥).

ويستعلي مع جماعته على اليهود بالايمان «بالكتاب كله» (آل عمران ١١٩). ثم يعلن وحدة الاله ووحدة التنزيل ووحدة الاسلام مع النصارى من أهل الكتاب؛ فلا جدال معهم إلا بالحسنى؛ أما مع اليهود الظالمين فيحق الجدال بغير الحسنى اي بالسيف : «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن – إلا الذين ظلموا منهم – **وقولوا** : آمنا بالذي أنزل الينا وأُنزل اليكم، والهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون» (العنكبوت ٤٦).

هذا هو ايمان القرآن : فليس فيه من ايمان جديد.

٥ – القرآن هو «الكتاب مفصلاً»

يصرّح : «أفغير الله أبتغي حكماً، وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصّلاً. والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق، فلا تكوننّ من الممترين» (الانعام ١١٤). ان القرآن هو «الكتاب مفصّلاً»؛ فما على محمد ان يشك في ذلك؛ وليس للعرب ان يماروا، والله نفسه هو الحكَم، بشهادة أهل الكتاب أنفسهم. وهذا بنص القرآن القاطع : «تصديق الذي بين يديه (قبله) وتفصيل الكتاب، لا ريب فيه، من رب العالمين» (يونس ٣٧) : فهو «تفصيل الكتاب» الذي من قبله.

فكتاب موسى هو إمام القرآن في الهدى والبيان : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة ، وهذا كتاب مصدّق لساناً عربياً » (الاحقاف ١٢ ؛ هود ١٧) .

في تفصيل – تعريب – القرآن للكتاب الامام، « تصديق الذي بين يديه » ، **لا جديد فيه سوى اللسان العربي .**

والقرآن يستعلي على العرب ، ويجادلهم بالعلم والهدى اللذين في الكتاب المنير : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير » (لقمان ٢٠ ؛ الحج ٨ ؛ قابل فاطر ٢٥) . ان « العلم » كناية عن العلم المنزل في الانجيل ، كما يقول به « أولوا العلم قائماً بالقسط » اي النصارى ؛ فيكون « الكتاب المنير » كناية عن الانجيل ، الذي به يحاور العرب .

فالقرآن هو « تفصيل الكتاب » اي الكتاب الامام لموسى ، والكتاب المنير لعيسى ؛ لكن على طريقة « المثل » للقرآن ، كما يشهد عالم اسرائيلي نصراني : « وشهد شاهد من بني اسرائيل **على مثله** » (الاحقاف ١٠) . إن « مثل » القرآن موجود عند النصارى من بني اسرائيل ، وهو « يفصله » للعرب . لذلك فالقرآن هو « الكتاب مفصلاً » ؛ وليس فيه من كتاب جديد .

٦ – اسلام القرآن هو اسلام « النصارى »

لقد رأينا ان « أولي العلم » مرادف لأهل الذكر ، وأهل الكتاب . وعرفنا ان القرآن يقسمهم الى « أولي العلم » الظالمين اي اليهود ، و « أولي العلم » المحسنين او المقسطين ، اي النصارى . وها القرآن يشهد للاسلام بشهادة النصارى ، أولي العلم القائمين بالقسط : « شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم : ان الدين عند الله الاسلام . وما اختلف الذين اوتوا الكتاب (من اليهود) إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » (آل عمران ١٨ – ١٩) .

فالنصارى، اولوا العلم المقسطون، هم الذين يشهدون «أن الدين عند الله الاسلام»، وشهادتهم مـــن شهادة الله وملائكته؛ والقرآن يشهد للاسلام بالشهادة «النصرانية».

وهذا الاسلام «النصراني» هو الذي اختاره الله ديناً للعرب كما «نزل يوم عرفة، في حجة الوداع» (الجلالان): «اليوم أكملت لكم دينكم! وأتممت عليكم نعمتي! ورضيت لكم الاسلام ديناً» (المائدة ٤ – وهي جملة اعتراضية في الآية).

فمحمد قد أمر به منذ بعثته في غار حراء: «وأمرت ان أكون من المسلمين، وأن اتلو القرآن» معهم (النمل ٩٠ – ٩١) على حسب «المثل» الذي معهم (الاحقاف ١٠) كما «يتلوه شاهد منه»، شاهد من بني اسرئيل النصارى.

فإسلام القرآن هو اسلام «النصارى»؛ وليس فيه من اسلام جديد.

٧ – لذلك فالقرآن تأييد للدعوة «النصرانية»

غاية القرآن الاولى هي الدعوة للتوحيد الكتابي بين العرب؛ دين ابراهيم وموسى وعيسى ديناً واحداً، هو الاسلام القرآني «النصراني».

وغايته الاخرى هي تأييد «النصرانية» على اليهودية في الجزيرة العربية، باسم هذا الاسلام. **فهو يقسم بني اسرائيل الى طائفتين:** «فآمنت طائفة من بني اسرائيل، وكفرت طائفة» بدعوة الحواريين للمسيح (الصف ١٤). وهذه الطائفة من بني اسرائيل التي آمنت بالمسيح هي «مـــن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون» (الاعراف ١٥٨). فهذه الامة، او هذه الطائفة، هي «النصارى» حصراً في اصطلاح القرآن: هم «يهدون بالحق وبه يعدلون»؛ وهم يؤمنون بالمسيح وأمه «آية للعالمين». **وهـــذه «النصرانية» هي التي يظاهرها**

القرآن على اليهودية حتى النصر المبين : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) . لقد انتصرت « النصرانية » على اليهودية ، في الجزيرة العربيه ، بالدعوة القرآنية ، تحت اسم جديد قديم هو « الاسلام » (الحج ٧٨) .

هذا هو **العدل القرآني** بين اليهودية والمسيحية : « وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لاعدل بينكم . الله ربنا وربكم ؛ لنا اعمالنا ولكم اعمالكم ؛ لا حجة بيننا (اي لا خصومة بيننا) ؛ الله يجمع بيننا واليه المصير » (الشورى ١٥) فالاله واحد ، والكتاب واحد ، فلا خصومة صحيحة بين أهل الكتاب . هذا ما يريد افهامه لليهود : « ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون » (النمل ٧٦) ، وهو الانجيل والمسيح . فالقرآن دعوة للانجيل والمسيح .

وما تكفير القرآن لالهية المسيح ، ولمقالة « الثلاثة » سوى تكفير للتثليث المنحرف ، وللعقيدة المنحرفة في الهية المسيح ، كما كفرتها المسيحية من قبل القرآن . فهو انما يردع بعض أهل الانجيل عن « **الغلو** » في أمر المسيح وأمه . لكنه يتضامن مع النصارى في الايمان بالمسيح والانجيل ضد اليهدية ، ويعلن ان دعوته تأييد للنصرانية على اليهودية حتى النصر المبين (الصف ١٤) .

هذه هي **الخاتمة الحاسمة ، والقاعدة الاساسية** ، في الحوار الاسلامي المسيحي .

فالمحور الاول للدعوة القرآنية هو التوحيد الكتابي (الشورى ١٣) .

والمحور الثاني فيها انما هو الايمان بالمسيح والانجيل ، على الطريقة « النصرانية » . لذلك فأهل القرآن وأهل الانجيل هم « **أمة واحدة** » (المؤمنون ٥٧ ؛ الانبياء ٩٢) .

وهذا هو أساس الحوار بينهم، وقوامه، وهدفه، وحتميته. واذا ما قلنا انه ليس في القرآن من وحي جديد، او تنزيل جديد، او دين جديد، او ايمان جديد، او كتاب جديد، او اسلام جديد؛ فإنما ذلك لأن القرآن « تصديق الذي بين يديه، وتفصيل الكتاب » (يونس ٣٧)، تأييداً للدعوة «النصرانية» حتى النصر المبين(الصف ١٤). لذلك حسم القرآن كل جدل بين أهل القرآن وأهل الانجيل بهـذا الامر الصريح : « وقولوا : آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم، والهنا والهكم واحد، ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٨) اي الاله واحد، والتنزيل واحد، والاسلام واحد.

والقرآن، بين اسماء المسيح الحسنى، يفضل اسم « كلمة الله »، وهو الاسم — العقيدة الجامع بين الاسلام والمسيحية :

باسم « كلمة الله » صدق زكريا وابنه يحيي (آل عمران ٣٩).

باسم « كلمة الله » بشرت الملائكة مريم بالمسيح (آل عمران ٤٥).

باسم « كلمة الله » يمتاز ايمان النبي العربي « بالله وكلمته »(الاعراف ١٥٦).

والخلاف الاكبر بين المسيحية والاسلام على تأويل معنى « كلمة الله ». والقرآن فسره تفسيراً وافياً بمرادفته مع اسم « روح الله » : « انما المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله — **وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه** » (النساء ١٧٠). فكلمة الله ليس كلام الله، أو أمر الله بتكوين عيسى؛ انما هو « روح منه » اي صادر منه قبل القائه الى مريم، وهذا ما يميّزه عن سائر الارواح المخلوقة. قال الرازي : « سمي كلمة الله كأنه صار عين كلمه الله . . . او لأنه أبان كلمة الله أفضل بيان » (على آل عمران ٤٥). **فهو كلمة الله الذاتية والمنزلة معاً**؛ وعلى حد قول أهل السنة، كما نقل الرازي ايضاً : « وكلامه صفة قديمة قائمة بذات الله » (آل عمران ٣٩).

وهذا الاسم الكريم هو **صلة الوصل الجامعة المانعة** بين التنزيل القرآني والتنزيل الانجيلي ، وما بين أهل الانجيل وأهل القرآن .

فالقرآن هو تنزيل الكتاب ، اي « تفصيل الكتاب » .

أما الانجيل ، وأما المسيح فهو نزول « كلمة الله » عينه .

تلك هي القاعدة التاسعة عشرة في الحوار الاسلامي المسيحي

ثانياً : نزول « كلمة الله » في المسيح

(القاعدة العشرون في الحوار المسيحي الاسلامي)

الانجيل هو تنزيل كلام الله على لسان « كلمة الله » ، المسيح .

اما المسيح نفسه فهو نزول « كلمة الله » في عيسى ابن مريم .

وفي فاتحة الانجيل بحسب يوحنا ، وهي آخر صفحة من صفحات الوحي الانجيلي ، نرى كيف يسوع المسيح هو « كلمة الله » ، وما هي منزلة « كلمة الله » من ذات الله :

« في الازل كان الكلمة والكلمة كان في الله
والله كان الكلمة : فهو منذ الازل في الله
والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا
وقد شاهدنا مجده مجد الآب في ابنه الوحيد
فهو الممتلىء حقيقة ونعمة ومن ملئه أخذنا نعمة على نعمة
فإن الشريعة نزلت بموسى وبيسوع المسيح الحقيقة والنعمة

إن الله لم يره أحـــد قط   إلا الاله، الابن الوحيــــد
إنــــه قائم في حضن الآب   وهو نفسه قـــد أظهره»

الاسم في لغة الكتاب والانجيل دليل الذات. ويسوع المسيح هو «كلمة الله». وقد فسر الوحي الانجيلي معنى هذا الاسم الذي يشكف عن ذات المسيح.

ان «كلمة الله» هو كلام الله في ذاته، **نطقه الذاتي**: «والكلمة كان في الله». ونطق الله في ذاته، قديم في الله مثل ذاته: «فهو منذ الازل في الله». والنطق الذاتي، والذات نفسها، واحد في الله: «والله كان الكلمة».

و «كلمه الله»، نطق الله الذاتي، يصدر من ذات الله، في ذات الله، صدوراً ذاتياً نطقياً، يسمى في لغة المخلوق «ولادة»، ينبثق عنها أبوة وبنوة؛ وفي الله هي ولادة روحية عقلية نطقية ذاتية تسمو عـــلى المخلوق وما يمت الى المخلوق بصلة. لذلك فكلمة الله في ذات الله بمنزلة «الابن الوحيد» من ذات الله، فإنما هي بنوة الهية ذاتية روحية نطقية. ولا يضيرها اذا سميت بلغة المخلوق ولادة، وأبوة، وبنوة.

و «الكلمة صار بشراً»، اي «كلمته ألقاها الى مريم»: وهذا يعني، بلغة الكلام، تأنس «كلمة الله» في عيسى، وتجسده من مريم. فلم يتحوّل «كلمة الله» الى بشر، هذا مستحيل على الله نفسه؛ ولم يصر البشر، عيسى ابن مريم، «كلمة الله»: هذا تأليه، وهو يستحيل على المخلوق. إنما تأنس «كلمة الله» من مريم، في عيسى؛ كما تتأنس روحنا في جسدنا من أمنا. مع الفارق الجوهري أن روح الانسان مخلوق، وكلمة الله هو «روح منه» تعالى القاه الى مريم.

فصار كلمة الله يسوع المسيح، ابن مريم، وكان يسوع ابن مريم كلمة الله.
ذات واحدة في شخصية ثنائية.

وهذه الثنائية في شخصية المسيح هي **واقع انجيلي وواقع قرآني معاً** . لا مجال لمرية في ذلك . قال الزمخشري : « ان مريم ولدت من غير مسيس ؛ **وعيسى روح من الله ألقي اليها** » (المؤمنون ٥١) . فهـــو روح ملائكي يتجسد ، لا روح بشري يولد . قال الرازي : « فكان المعنى : روح من الارواح الشريفة القدسية العالية » (على النساء ١٧٠) . فهو يفسر « روح منه » بمعنى ملاك «من المقربين». ومن يقول بتأنس ملاك في عيسى ، أليس أصح له ان يقول بتأنس « كلمة الله » الذاتية ، من مريم ؟ هذا ما يقول به عن الانجيل علم الكلام المسيحي ، لتفسير الثنائية في شخصية المسيح ، بحسب الواقع الانجيلي : أقنوم واحد في طبيعتين ، الالهية والانسانية ، اللاهوت والناسوت . فلا ينطبق على هذه العقيدة تكفير القرآن : « كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح، ابن مريم » (المائدة ١٧ و ٧٥).

لذلك يحمل السيد المسيح ، كلمة الله المتأنس ، « مجد الآب في ابنه الوحيد» ؛ فقد ظهر « ممتلئاً حقيقة ونعمة » ، « ومن امتلائه أخذنا كلنا نعمة على نعمة » ، فقد نزل « بيسوع المسيح الحقيقة والنعمة » .

فكلام الله ، بواسطة كلمة الله ، هو « النعمة والحقيقة » على الاطلاق : الحقيقة التي تكشف لنا سر الله في ذاته — وهذا فوق سلطان النبوة والكتاب — والنعمة التي « تؤتينا السلطان ان نكون أبناء الله » في « الابن الوحيد » : هو بالبنوة الذاتية ، ونحن بالتبني ، على مثاله — وهذا فوق طاقة المخلوق . وبما ان المسيح في ذاته السامية هو « كلمة الله » ، نطقه الذاتي ؛ فبظهوره بشراً من مريم قد « أظهر الله » نفسه لنا ، في ذاته ؛ وهذا هو **الكشف الذاتي** لسر الله ، وهو فوق طاقة المخلوق . وبما ان الله لم يره أحد قط ، إلا الابن الوحيد ، القائم في حضن الآب ، فبكلامه يكشف لنا كشفاً — لا وحياً فقط او تنزيلاً — سر الله ؛ وهذا هو **الكشف المنزل** ، وهو فوق طاقة النبوة والكتاب .

ففي إلقاء « كلمة الله » الينا بمريم ، روحاً منه تعالى (النساء ١٧٠) ؛ في تأنس

« كلمة الله » بشراً سكن في ما بيننا (يوحنا ١ : ١٤) ، بلغ التنزيل الالهي كل مداه ، حتى الكشف المنزل ، والكشف الذاتي : **ففيه صار تنزيل كلام الله نزول « كلمة الله »** . لقد تجسم التنزيل الالهي في المسيح فصار شخصاً منزلاً ، هو « كلمة الله » عينه .

في المسيح ، كلام الله هو « كلمة الله » عينه ؛ و « كلمة الله » هو كلام الله نفسه . في المسيح ، **تمّ نزول « كلمة الله » الذاتية والمنزلة معا** .

فالتنزيل المسيحي هو **شخص منزل ، أكثر مما هو كلاما منزلاً** .

هذا هو معنى نزول « كلمة الله » في المسيح ، بحسب الانجيل .

وتلك هي **القاعدة العشرون** في الحوار المسيحي الاسلامي .

فختام الوحي الانجيلي هو اعلان المسيح «كلمة الله » .

وذروة الوحي القرآني ، بعد التوحيد الكتابي ، هو ايضاً اعلان المسيح « كلمته القاها الى مريم وروح منه » .

فحرف الايمان في المسيح ، «**كلمة الله** »، واحد بين الانجيل والقرآن . وهذا الاعلان الجامع المشترك لشخصية المسيح هو **محور الحوار** الواجب الوجود بين المسيحية والاسلام .

وبما ان الكتاب « إمام » القرآن (هود ١٧ ؛ الاحقاف ١٢) ؛ والقرآن، بعلم الكتاب المنير وهداه، يجادل الناس (لقمان ٢٠ ؛ الحج ٩) ؛ وعلى النبي العربي نفسه ان « يقتدي » بهدى الكتاب وأهله (الانعام ٩٠) ؛ وعند الشك

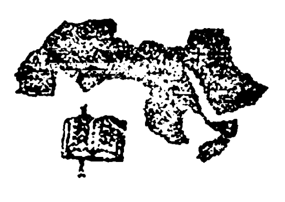
ممّا أوحي اليه ، ان « يسأل الذين يقرأون الكتاب من قبله » (يونس ٩٤) ؛ فعلينا ان نسترشد ، في **مشتبه القرآن** وفي تأويل معنى الاسم الكريم «كلمة الله»، بهدى الكتاب وأهله ، عملاً بأمره : « فاسألوا أهل الذكر ، إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر » (النحل ٤٣ ؛ الانبياء ٧) ؛ فالقرآن نفسه « هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم » (العنكبوت ٤٩) مـن أهل الكتاب والذكر الحكيم ؛ بينما أهل القرآن ، في سر « الروح » — وكلمة الله هو « روح منه » — « ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » (الاسراء ٨٥) .

ففي حقيقة الانجيل والقرآن ، ان المسيح من حيث هو **«كلمته وروح منه»** اسمى من بشر ؛ انه من عالم « الروح » المطلق .

وحول هـذا الجامع المشترك ، **والمحور في الحوار** الاسلامي المسيحي ، قد جمعنا في هذا الكتاب **قواعد الحوار العشرين** .

وهي اجتهاد مؤمن « **بالامة الواحدة** » (الانبياء ٩٢ ؛ المؤمنون ٥٣) : فإن أصاب فله أجران ، أجر الايمان وأجر الاجتهاد ؛ وإن اخطأ فله أجر الايمان . ولا يُكفّر مؤمن مخلص في اجتهاده : « وعـلى الله قصد السبيل » (النحل ٩) ؛ « وقل : ربي زدني علماً » (طه ١١٤) .

تلك هي قواعد الحوار الاسلامي المسيحي .





الهيئة الإنجيلية الثقافية - الأردن

Jordan Evangelical Theological Seminary

خاتمة: والمدخل الى الحوار الاسلامي المسيحي

هو هذه **الشهادة الجامعة** بين أهل الانجيل وأهل القرآن :

أشهد ان لا اله إلا الله، وان « المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ــ وكلمته القاها الى مريم وروح منه » (النساء ١٧٠).

وقد اعلناها على رؤوس الاشهاد ، بحضور أئمة رجال الدين ، من المسيحيين والمسلمين ، في دار الافتاء ببيروت ، وسط عاصفة مدوية من التصفيق .

أجل يُجمع المسلمون والمسيحيون عــلى **حرف** الشهادة؛ لكنهم قد يختلفون في **تأويله**.

ولا يصح تأويل « كلمة الله » بمعزل عن مرادفه « روح منه » فإن « كلمة الله » ليس كلام الله او امر الله ، انما هو « روح منه » : **فهو ذات**.

ان « كلمة الله » من حيث هو « روح منه » هو حديثه النفساني ، نطقه الذاتي ، الذي لا ينفصل عن ذاته . و « كلمة الله » الذاتية ، في نظر المسلمين والمسيحيين على السواء ، كما نقل الرازي على (آل عمران ٣٩)، هي « **صفة قديمة قائمة في ذات الله** » .

وفصل الخطاب أن تلك **الشهادة الجامعة** بين اهل الانجيل واهل القرآن هي المدخل الى الحوار الاسلامي المسيحي.





ملحق

خطاب حوار في دار الافتاء ببيروت



فذلكة : لما انتخب غبطة البطريرك مكسيموس حكيم ، زاره للتهنئة وفـــد من العلماء تبعية سماحة مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد . وقد ردّ الزيارة صاحب الغبطة بصحبة بعض المطارنة والوزراء والنواب، في دار الافتاء ببيروت. فاجتمع في حفل عائلي كريم، الرؤساء والعلماء والوزراء والنواب من الطائفتين . ولما استقر المقام بالحضور ، طلب سماحة مفتي الجمهورية وغبطة البطريرك كلمة من الاستاذ الحداد في تلك المناسبة الكريمة . فارتجل هذا الخطاب (١). ونحن نقدمه هنا مثالاً على الحوار الاسلامي المسيحي الذي يجمع أهل الملتين في « أمة واحـــدة » ، بالوطنية والقومية والدين .

سماحة مفتي الجمهورية ، الشيخ حسن خالد

غبطة البطريرك مكسيموس حكيم

أيها الحفل الكريم

ما احكم وأحسن أن تجتمع الحسنى والحكمة ، في قيادة الامة ، خصوصاً في عهد وعهدة الإمامين العظيمين المفتي الحسن والبطريرك الحكيم .

ومتى اجتمعت الحسنى والحكمة ، في قيادة الامـــة ، أفلحت الامة ؛ وتغلبت على الاخطار المحيطة بها،والتي تهددها في وطنها وفي قوميتها وفي دينها.

وقيادة الامة ، على الحسنى والحكمة ، تطيب متى كانت هذه الامة مثلنا مبنية على وحدة لها وطنية وقومية ، وأكاد اقول دينية .

---

(١) ونحن ننقله على قدر ما تعيه ذاكرتنا . وهذا عندنا أول تسجيل له بعد القائه .

قد لا يماري احد في وحدة لنا وطنية وقومية . ولكن هناك من يماري في وحدة لنا دينية جذرية .

نحن جميعاً أهل التوحيد ؛ وعلى ايمان واحد بالله واليوم الآخر . ولكن قد يجهل بعضنا ان **حرف التوحيد نفسه واحد بيننا** في التوراة والانجيل والقرآن .

ففي التوراة ، سفر التثنية ، الفصل السادس ، الآية الرابعة نقرأ : « اسمع يا اسرائيل : ان الله الهنا هو الله احد » — وبالعبرية « يهوه احد » . وذهبت عندهم شهادة لهم في توحيدهم ، وفاتحة لهم في صلاتهم .

ولما ظهر السيد المسيح ، سأله علماء الشريعة عندهم : « أية وصية هي اولى الوصايا جميعاً » ؟ فأجابهم بحرف شهادتهم ، وفاتحة صلاتهم : « اجاب يسوع : الأولى هي « اسمع يا اسرائيل : إن الله الهنا هو الله أحد . فأحبب الله الهك بكل قلبك ، وكل نفسك ، وكل ذهنك ، وكل قوتك » . ثم أضاف : « والثانية هي هذه : أحبب قريبك كنفسك . على هاتين الوصيتين تقوم الشريعة كلها والنبيون . فليس من وصية أخرى أعظم منهما » (مرقس ١٢ : ٢٨ — ٣١ ؛ متى ٢٢ : ٣٤ — ٤٠) .

ونعلم جميعنا ان سورة الاخلاص في القرآن هي : « قل : هو الله أحد » .

فحرف التوحيد نفسه واحد بيننا في القرآن والانجيل والتوراة .

لذلك آن لنا ان نمتنع عن اتهام بعضنا بعضاً بشرك أو بسواه ؛ فنحن جميعنا أهل توحيد واحد ، هو التوحيد الكتابي عينه بالحرف الواحد نفسه .

وأقول أكثر من ذلك : **إن ايماننا بالمسيح هو ايضا على حرف واحد** ، مهما اختلفنا في التأويل . المسيح هو « كلمة الله » في الانجيل وفي القرآن .

ففي فاتحة الانجيل بحسب يوحنا نتلو: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان في الله، والله كان الكلمة، فهو منذ البدء في الله... والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا». أي كما يقول القرآن: «كلمته ألقاها الى مريم وروح منه».

والآن، في هذا الحفل الكريم، تسمحون لي بهذه **الشهادة الجامعة**، وهي عنوان ايماننا جميعاً بالسيد المسيح:

أشهد ان لا اله الا الله، وأن «المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه» (النساء ١٧٠).

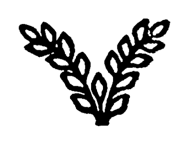
فليس السيد المسيح «عيسى ابن مريم» فقط؛ بل إنما هو ايضاً «كلمته ألقاها الى مريم وروح منه».

فحرف ايماننا جميعاً بالسيد بالمسيح واحد: انه «كلمة الله». ولكن قد نختلف في **تأويله**.

ومهما اختلفنا في تأويل هذا الاسم الكريم، فلا يصحّ ان نفسّر «كلمة الله» بمعزل عن «روح منه». إنهما مترادفان يفسّر بعضهما بعضاً. فليس «كلمة الله» مجرد كلام الله، او أمر الله؛ انما هو «روح منه» تعالى: فهو ذات قائمة «**منه**» و«فيه» قبل إلقائه الى مريم.

فنحن على وحدة لنا **جذرية** في ايماننا نفسه بالسيد المسيح. وهذا محور ايماننا، وحوارنا بالحسنى والحكمة، في «أمة واحدة».

ومتى بنيت الامة عـــلى أساس هذه الوحدة الدينية والقومية والوطنية أفلحت، خصوصاً بقيادة البطريرك الحكيم والمفتي الحسن، على الحسنى والحكمة. والسلام على آل الحسنى والحكمة أجمعين.



المطبعة البولسية
جونية - لبنان